

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة الطائف  
عمادة الدراسات العليا  
كلية الآداب - قسم اللغة العربية

## الاتجاه الإنساني في شعر خير الدين الزركلي

### - دراسة نقدية -

بحث تكميلي ضمن متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب  
لعام 1432 - 1433 هـ / 2011 - 2012م

إعداد الطالب

خالد بن ناصر بن دشن القحطاني

إشراف الدكتور

شعبان زكي عبد الحفيظ

## ملخص الدراسة

تحدث الدراسة عن الاتجاه الإنساني الذي يعنى بالإنسان وقضاياه المختلفة، وهو اتجاه يدعو إلى الخير ولكل ما تحتضنه الإنسانية من غايات نبيلة تتطلع إلى مظلة إنسانية تهدف إلى عيش كريم تتجاوز من خلاله كل الحواجز والعقبات التي تدعو إلى الانغلاق في زوايا أحادية تنظر بعين التعصب والتفرقة ولا تنظر إلا إلى ذاتها، وتتمحور هذه الدراسة حول شعر خير الدين الزركلي الذي عني بهذا الاتجاه وعبر عنه أصدق تعبير.

وتتكون الدراسة من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول تعقبها الخاتمة والفهارس، والمقدمة تدور حول الحديث عن النقاط الأساسية التي تشتمل عليها الدراسة، والتمهيد يشتمل على مفهوم الاتجاه الإنساني، وعلى سيرة حياة الشاعر، وأما الفصول فيتناول الفصل الأول: روافد الاتجاه الإنساني ويشتمل على ستة مباحث، وهي: الدين الإسلامي، الشعر العربي، الصحافة، العمل السياسي، أسفاره، التكوين الثقافي وتجارب الحياة. والفصل الثاني: يتناول مظاهر الاتجاه الإنساني ويشتمل على سبعة مباحث، وهي: الوطنية، الحرية، والغربة والحنين، وقضايا المجتمع، والمساواة والإخاء، وموقف الشاعر من الحرب الكونية وتداعياتها، وأخيراً النموذج الإنساني. والفصل الثالث: ويتناول البناء الفني لشعر الاتجاه الإنساني ويشتمل على أربعة مباحث من خلال العنوان والهيكلة العام، والصورة الفنية، والمعجم الشعري، وأخيراً الموسيقى. وأما الخاتمة فتناولت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة. وأخيراً الفهارس وتشمل المراجع والمصادر ومحتويات البحث.

## ***Study Summary***

*The study deals with the human trend which cares about man and his various matters (affairs). It is a trend that calls for good and for all what humanity includes. From noble purposes that looks forward to a human cover that aims to prosperous life. Through this life it can overcome all the barriers and obstacles which call for staying in single angles that look with the eye of Fanaticism and separation and don't look to anything but itself. This study is in the poetry of Chair Alden ALZarkali who cared about this trend and expressed it honestly.*

*This study consists of an introduction, preparation and three chapters and at the end, the conclusion and the index. The introduction talks about the main points that the study includes. The preparation includes the meaning of the human trend and the autobiography of the poet. As for the chapter, chapter one explains the roots of the human trend and it contains six items. They are the religion of Islam, Arab poetry, press, politic work, travels the cultural Form and life experiences. Chapter explains the aspects of the human trend and it includes seven items. They are nationalism, Freedom, homesickness, society affairs, equality and brother hood and the poet's altitude towards universal war and its Consequences and finally the human model. Chapters explains the artistic structure to the human trend poetry and it includes Four items. This is through the title and the general Form, the artistic picture, the poetic dictionary and finally music. As for the conclusion, it explained the most important outcomes that the study reached. Finally, the indexes that includes references, sources and the research contents.*

## إهداء

إلى الشعلة المضيئة ..

التي ملأت المكان فرحاً وسروراً وبهجةً ونوراً .. ابني فهد.

إلى الروح الغالية ..

التي صبرت وكابدت قسوة المرض والتقت بباريها .. أخي مسفر.

إلى الروح الشهيدة ..

شذى العطر أهديتها من أرض الحرمين إلى أرض الرافدين .. أخي سالم.

تحية محبة وتقدير ..

الباحث

## المقدمة

الحمد لله المتفرد بالبقاء، أهل الجود والعطاء، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وبعد:

تعدد نواحي الشعر واهتماماته وطرقه المتوخاة في البحث عن دواخله واستكناه أبعاده المختلفة، ويعظمها قيمة ما يقترب من الشعور والإحساس الصادق المنبثق من حرارة ودفقة مفعمة بالحب دون زيف وكذب، ويأتي بحجم هذا الموقف عندما يتجه الشعر نحو الإنسان يعبر عن رؤاه ومواقفه وآلامه وأحزانه وكيفية البحث عن السعادة والعيش اللذين ينعم فيها مرتاح البال في أمن وأمان.

ويزداد هذا الاهتمام عند النظر للواقع الذي نعيشه في وقتنا الحاضر الذي يعيش فيه الإنسان في زاوية مغلقة إن حاول أن يخرج من دائرتها المرسومة بالظلم والتهميش نكل به وأعدم وأحرق، وتعرض لما يتعرض له الجماد والحيوان دون الاعتبار له والنظر فيما يحلم به من تطلعات حقوقية.

من هذا المنطلق اتجه اهتمامي إلى البحث عن الشعر الذي يلامس كيان الإنسان وشغاف قلبه، ويقترب من قضاياها واهتماماته ويعبر عن نفثاته المكبوتة من أحزان وأفراح ليعيش معه بكافة أطراف وألوان الحياة التي تكتنفه وتلف حوله بالليل والنهار.

ومع تضافر الجهود مع أستاذي العزيز الدكتور شعبان زكي وقع الاختيار على أن يكون البحث في "الاتجاه الإنساني"، وأن يكون في سماء ذلك شعر شاعر عبر عن هذا الاتجاه أصدق تعبير، وتوق إلى هذه الغاية السامية والكريمة بعيداً عن التعصب والتفرقة، والتطلع إلى عالم يسوده الإخاء المنزه عن النفعية المتجاوز للحواجز والعقبات، والذي يصبو إلى مصير مشترك وأهداف إنسانية واحدة، ألا وهو الشاعر خير الدين الزركلي، الذي عاش في فترة من أصعب الفترات وأقساها في تاريخ وطنه وأمته، والتي كانت تعج بالمساوي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فكان حريئاً أن يقدم في شعره فوحاً معطراً سامياً يقوده إلى تقديم رؤية كونية للعالم الإنساني.

وللحق أن الزركلي كان لحمة امتزجت مع تلك الرغبة، وأضفى عليها الدافع الأساسي الذي دفعني قدماً في اختيار موضوع البحث، فالزركلي ذاع صيته بأنه مؤرخ قدم للمكتبة العربية العديد من الأعمال التاريخية وعلى رأسها موسوعته الرائعة (الأعلام)، وتنوسي إبداعه الشعري بالشرح والتحليل فغلبه شهرته كمؤرخ على شهرته كشاعر. لذا أتى البحث ليعيد التوازن الفكري والفني إليه.

ومن الأسباب أيضاً قلة الدراسات التي تناولت شعره، مع أنه شاعر فياض الشعرية لا يقل روعة أو جمالاً أو تصويراً عن أقرانه الشعراء في مصر والعراق وغيرها من البلدان العربية الأخرى الذين بسطت لهم المؤلفات والبحوث بما يتناسب مع إبداعهم الشعري، وربما ذلك يقودنا إلى قضية من أخطر القضايا النقدية والأدبية قديماً وحديثاً وهي دائرة الانتقائية. لذا جاء هذا البحث إسهاماً في بيان القيمة الفنية، ومحاولة لإعطاء شعر الزركلي بعض حقه على النقد الأدبي بوصفه شاعراً مهمشاً.

وكما أن الزركلي مثل وطني المملكة العربية السعودية في عدة محافل دولية، وقام بأعمال دبلوماسية مختلفة، لذا أراه في طليعة الشعراء السعوديين في العصر الحديث، حمل معه في شعره فترة زاهية من حياة هذا الوطن الغالي، جامعة بين الوطنية والقومية والإنسانية في أبهى مظهر. ومن خلال ذلك تقودني الرغبة في خدمة الأدب في موطني العزيز، بالإضافة إلى إعجابي الشديد بالتجربة الشعرية التي أبدعها.

لأجل ذلك كله وقع الاختيار على عنوان البحث "الاتجاه الإنساني في شعر خير الدين الزركلي"، سائراً فيه وفق مخطط مكون من تمهيد وثلاثة فصول كل فصل يحتوي على عدة مباحث تتبعها خاتمة ونتائج، فأما التمهيد: فقد ضمنته عنصرتين العنصر الأول تحدثت فيه عن مفهوم الاتجاه الإنساني من خلال المفهوم اللغوي والاصطلاحي عند العرب، والمفهوم الغربي للإنسانية، وأخيراً الإنسانية في الأدب. والعنصر الآخر تحدثت فيه عن سيرة مختصرة عن حياة الزركلي من النشأة حتى موارد الشرى.

وفي الفصل الأول: تحدثت فيه عن روافد الاتجاه الإنساني عند الزركلي، مقسماً إياها إلى ستة مباحث، الأول منها تحدثت فيه عن الدين الإسلامي ومدى العلاقة الحميمة بينه وبين شخصية

الزركلي ومدى ارتباطه به، والثاني عن الشعر العربي وعن العلاقة الوثيقة بتأثر الشاعر بالتراث الشعري القديم وإعجابه بنتاج شعري لشعراء سبقوه في هذا المجال، وأما الثالث فقد أمضيت فيه الحديث عن الصحافة التي عمل فيها الزركلي، وكان لها حضور جيد في قسط كبير من حياته، وأما الرابع فقد كان العمل السياسي والذي اهتم الشاعر بشؤونه اهتماماً ملفتاً، وعمل فيه بصفة رسمية وغير رسمية، وأما الخامس فقد كان الحديث فيه عن أسفار الشاعر التي قام بها في مسيرته الحياتية، والتي شكلت منعطفاً مهماً وزاوية قيمة في حياته، وأما السادس فقد كان الحديث فيه عن أثر الثقافة التي تمتعت بها شخصية الزركلي، بالإضافة إلى جانب التجارب الحياتية التي مر بها الزركلي في حياته؛ وذلك بالنظر إلى أشكال الصعوبات والعقبات التي من شأنها أن تذكي عواطفه وأحاسيسه.

وفي الفصل الثاني: تحدثت فيه عن مظاهر الاتجاه الإنساني عند الزركلي، مقسماً إياها إلى سبعة مباحث، الأول منها الوطنية وفيه ألقى الضوء على الحب العام الذي يكنه الشاعر تجاه وطنه، ودفاعه عن حقوقه، ورحمته الواسعة بأبناء وطنه، وغضبه العام تجاه القيادات الوطنية التي فضلت مصالحها على مصالح الوطن، والثاني الحرية وقد تحدث فيها عن الحرية الفكرية وعن حرية الشعب التي كانت بارزة عند الشاعر، والثالث الغربة والحنين وتحدثت فيها عن كل شق على حدة فالغربة تمحور الحديث عنها في غربة الشاعر المكانية من ناحية، ومن ناحية أخرى عن الغربة النفسية والروحية التي لحقت به من جراء الأحداث المتعاقبة، والحنين ألقى الضوء فيه على حنين الشاعر تجاه وطنه وأهله وأحبته، والرابع قضايا المجتمع وكان الحديث فيه يدور على أهم القضايا التي تمس المجتمع وتهدد كيانه واستقراره، والخامس المساواة والإخاء ويشمل الحديث فيه عن المساواة والعدل بين الإنسان والإنسان الآخر، والدعوة إلى الإخاء الإنساني، والسادس موقف الشاعر من الحرب الكونية وتداعياتها وقد تحدثت فيه عن موقف الشاعر الراض للحرب الكونية الأولى والثانية، ودعوته الصادقة إلى السلام وترك الخصام، والسابع والأخير هو النموذج الإنساني الذي سلطت الضوء فيه على ذلك النموذج البشري الذي ورد عند الشاعر مثلاً يحتذى.

وفي الفصل الثالث: تحدثت فيه عن الدراسة الفنية لشعر الاتجاه الإنساني عند الزركلي، مقسماً إياها إلى أربعة مباحث، الأول منها العنوان والهيكلة العام، وقد أمضيت فيه الحديث عن عناوين

القصائد، وعن مطالع القصائد وطولها وقصرها ومضمونها ووحدتها وأخيراً عن خاتمة القصائد، والثاني عن الصورة الفنية، وقد تحدثت فيها عن روافد الصورة، وعن أنماط الصورة، والثالث عن المعجم الشعري، ملقياً الضوء فيه على دلالات الألفاظ وسمات الألفاظ وأخيراً عن الأسلوب المتبع في المعجم، والرابع عن الموسيقى الخارجية مشتملة على الأوزان والقوافي، والموسيقى الداخلية مشتملة على التكرار وحسن التقسيم والتصريح وغيرها.

وأخيراً الخاتمة وفيها خلاصة البحث وأهم النتائج التي توصل إليها البحث، متبعاً إياها بقائمة المصادر والمراجع التي استفاد منها البحث.

وقد سرت في هذا البحث مستخدماً بعضاً من المناهج النقدية يأتي في طليعتها المنهج النفسي، ومن ثم التاريخي، ومن ثم الاجتماعي، وأخيراً الفني، محاولاً في ذلك استجلاء شعر الزركلي ووضع موازنة نقدية تعتمد على التكامل وتقوم على الدراسة الموضوعية والجمالية في آن واحد.

وأخيراً أتقدم بالشكر الجزيل والمغدق إلى كل يدٍ بيضاء ساعدتني في إكمال هذا البحث، وأخص منهم أُمي الغالية وزوجتي الأثيرة اللتين لم تبخلا علي بكل طلب أو مساعدة، كما أزجي بالغ الحب والتقدير والثناء إلى أستاذي الكريم الدكتور شعبان زكي على ما قام به من وافر العطاء المعنوي والمادي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين عدد خلقه وزنه عرشه ومداد كلماته ..

الباحث

خالد بن ناصر بن دشن القحطاني



## التمهيد

١ - مفهوم الاتجاه الإنساني.

1- الدلالة اللغوية والاصطلاحية.

2- المفهوم الغربي للإنسانية.

3- الإنسانية في الأدب.

٢ - خير الدين الزركلي (سيرة حياة).

## 1- مفهوم الاتجاه الإنساني :

لقد انتشرت كلمة (الإنسانية) أو (الإنساني) وذاع صيتها وكثر الحديث عنها في نواحي وأجزاء أدبية ونقدية مختلفة، وظهر على إثرها تيارات ومذاهب كالاتجاه الإنساني، والنزعة الإنسانية، والمذهب الإنساني، والإنسانية في الأدب إلى غير ذلك من الأسماء والعناوين. وهذه الانتشار بلا شك بدأ يأخذ طريقه بالذات في عصرنا الحديث بعد أن اتصلنا بالمعارف الإنسانية واقتبسنا من علومها وآدابها وفنونها الشيء الكثير، وبعد أن اضطهد الإنسان وانتهكت محارمه، وأولع الاستعمار مطامعه وجشعه في أرضه، وبعد أن عانى من شظف العيش السقيم، والظلم الاجتماعي الرهيب، وويلات الحروب المدمرة التي فتكت بالإنسان وأودت به إلى مهالك الدروب.

ونظراً للأهمية البالغة في معرفة ماهية الإنسانية ومفهومها لما لها من علاقة بالبشر، وارتباط بقضاياهم في مختلف الأماكن. كان لزاماً علينا تحديد مفهوم الإنسانية واستقصاء أبعادها المختلفة، الذي لم يتفق العلماء من نقاد وفلاسفة وغيرهم على معنى محدد وواضح، فكل شخصية تجد فيه مفهوم غير المفهوم الذي عند الآخر مما أوجد كثرة المفاهيم والتأويلات تطفو على السطح بكثرة.

والجدير بالذكر أن التوصل إلى مفهوم الإنسانية شائك محفوف بالصعوبات ؛ لأن هذه الكلمة مشتقة في الأصل من الإنسان، ومفهوم الإنسان كما يقول (الكسيس كاريل): واسع شامل يصعب تحديده، فهو ذو عقل وذو عاطفة وهو ذو نفس وروح وجسد<sup>(١)</sup>.

ولتحديد هذا المفهوم الشائك بنظرة شمولية بعيدة عن الجزئية العابرة نطمح في تحديد هذا المفهوم من خلال مفهوم الإنسانية لغة واصطلاحاً، والمفهوم الغربي للإنسانية، والإنسانية في الأدب.

---

(١) عزيزة مریدن، القومية والإنسانية في شعر المهجر الجنوبي، ص440، الدار القومية للنشر والتوزيع.

## 1- مفهوم الإنسانية لغةً واصطلاحاً :

### ● الدلالة اللغوية :

كلمة (إنسائي) نسب مأخوذ من لفظة (إنسان) كما هو الحال في المصدر الصناعي (إنسانية) المشتقة من ذات اللفظ، ونحن عندما ندقق النظر في كلمة (إنسان) فإننا نجد أنها مأخوذة من مادة (أنس) التي تدور حول السكن والألفة، ومنها: " أنس به وإليه أنساً: سكن إليه وذهبت وحشته" (٢). ومنها: أنس به أي آلفه ولم ينفّر منه، ومنها الأُنس بالضم، ويقال الأُنسة: ضد الوحشة (٣). وأنس: هم جماعة الناس، وسمي الإنسان إنساناً لظهورهم وإدراك البصر إياهم، وهو فعّالان ويصغر: أنيسيان وأنيسيين (٤).

وأصل كلمة (إنسان) إنسيان - كما جاء عند ابن منظور في لسان العرب - على وزن إفعال من النسيان، وروي عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال: " إنما سمي الإنسان إنساناً لأنه عهد إليه فنسي" (٥)، ويقول القرآن بهذا الصدد: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾ (٦).

ولفظ (الإنسان) يطلق على الذكر والأنثى من جنس البشر، ثم إنها تطلق على الواحد والجمع، فالذي يدلنا على أنها تطلق على الواحد قوله سبحانه وتعالى: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾، ثم

(٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص29، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 1426هـ-2005م.

(٣) سعيد الخوري الشرتوني، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، ج1، ص21، مكتبة لبنان.

(٤) الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، مج1، ص41، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1994م.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص232، تصحيح أمين محمد عبدالوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط3، 1419هـ - 1999م.

(٦) سورة طه، الآية 115

قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾<sup>(٧)</sup>، ففي استثناء الجماعة من هذا الاسم دلالة بينة على أن المراد هو العموم والكثرة<sup>(٨)</sup>.

ويقول أيضاً في ذلك صاحب المصباح المنير: "الإنسان اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والواحد والجمع" و "هو الأنيس الذي يستأنس به، واستأنست به وتأنست به: إذا سكن إليه القلب ولم ينفر"<sup>(٩)</sup>.

وفي تاج العروس يذكر فيه الزبيدي قولاً لمحمد بن عرفة الواسطي معللاً سبب تسمية الإنسان قائلاً: "سمي الإنسيون لأنهم يوانسون أي: يرون، وسمي الجن جنناً لأنهم مجنونون عن رؤية الناس أي متوارون"<sup>(١٠)</sup>.

وأما معجم محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني فقد أضاف مع من بعده من أصحاب المعاجم العربية الحديثة لفظة (الإنسانية) بخلاف المعاجم القديمة التي اقتصر على تعريف لفظة (إنسان) وشرح معناها ومدلولها واشتقاقها، فقال في ذلك: "ما اختص به الإنسان وأكثر استعمالها لمحمد الأخلاق ومحاسن النفس من نحو الجود وكرم الأخلاق.."، وأضاف كذلك بأن لفظة الإنسانية تعني (البشرية)<sup>(١١)</sup>.

ولم يختلف عنه كثيراً صاحب أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، بحيث اتفقا على أن الإنسانية هي ما اجتمع فيها مجموعة خصال حميدة وفي مقدمتها الجود وكرم الأخلاق ، وذلك لقوله "الإنسانية هي ما اختص به الإنسان من المحامد من نحو الجود وكرم الأخلاق"<sup>(١٢)</sup>.

(٧) سورة العصر، الآية 2-3

(٨) ابن سيده الأندلسي، المخصص، مج1، ص95، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٩) أحمد الفيومي، المصباح المنير، ص18، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 1425هـ - 2004م .

(١٠) الزبيدي، تاج العروس، مج4، ص99، دار صادر، بيروت.

(١١) المعلم بطرس البستاني، معجم محيط لمحيط، ج1، ص45، دار المعرفة، بيروت.

(١٢) سعيد الخوري الشرتوني، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، ج1، ص21، مكتبة لبنان.

وأما صاحب (التعريفات) الجرجاني فيقول: "الإنسانية هي المعنى الكلي على الخصائص المشتركة بين جميع الناس .. ويشير هذا اللفظ أيضاً إلى مجموع أفراد الناس، كما يشير من ناحية أخرى إلى الرحمة والتعاطف التلقائي مع البشر" (١٣).

وتكاد تجتمع كل المعاني السابقة في نص المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية فيذكر في نضه: "والإنسان: الكائن الحي، والإنسان الراقى ذهنأً وخلقأً، والإنسان المثالي الذي يفوق العادي بقوى يكتسبها بالتطور..."، وبعدها يقول: "الإنسانية: خلاف البهيمية وجملة الصفات التي تتميز الإنسان أو جملة أفراد النوع البشري الذي تصدق عليه هذه الصفات" (١٤).

إذا فالإنسانية في مدلولها اللغوي مأخوذة من لفظة (إنسان) التي تعني الظهور والنسيان والسكن والألفة، وتدل على الذكر والأنثى، وتطلق على الجمع والمفرد، وهي تعني: "مجموع الطبائع المشتركة بين الناس، وهي الشعور الذي لا يفرق بين طبقات الناس، ولا سلالتهم، ولا ألوانهم، ولا أوطانهم، والإنسان أكرم وأشرف المخلوقات" (١٥)، ثم هي ممارسة هذا الإنسان لمحامد الأخلاق ومكارمها وعلى رأسها الجود وكرم الأخلاق.

#### ● الدلالة الاصطلاحية :

إذا تجاوزنا المفهوم اللغوي إلى المفهوم الاصطلاحي واجهنا عدة تعريفات لا حصر لها لهذا الكائن البشري (الإنسان) ، أصل مفهوم الإنسانية ومنبتها ؛ لأنه وكما ذكرنا بأن معرفة مفهومه شائكة ومحفوفة بالمصاعب والمتاعب.

ولتكن البداية بالقرآن الكريم الذي كان نصيب الإنسان منه وافر وكبير وعظيم وجليل، فقد ظهر فيه الإنسان كمنظومة تقبل السلب والإيجاب والقبح والثناء والذم والمدح والخير والشر على السواء، فهو أهل للكمال والنقص بما فطر عليه من استعداد لكل منهما، أي أهل للخير والشر،

---

(١٣) الجرجاني، علي محمد الشريفي (التعريفات: معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لغوي نحوي)، ص63، دار الرشد، القاهرة، 1991م

(١٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 29-30، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1426هـ - 2005م.

(١٥) جبور عبدالنور، المعجم الأدبي، ص37، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979م.

لأنه أهل للتكليف والمسؤولية بين خلائق السماء والأرض<sup>(١٦)</sup>. قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾<sup>(١٧)</sup> ثم رددناه أسفل سافلين<sup>(١٧)</sup>. فهو بذلك أهل للتمام والكمال والجمال بخلاف الضد تماماً.

والخير هو فطرته التي جبله الله عليها والشر مصدره هو، وأعطاه الله العقل الذي يتدبر ويتفكر به، فيتجنب القبيح المخزي ويسلك طريق الحسن الجميل في كافة الأمور والأعمال.

والإنسان في القرآن الكريم ظلوم كفار، جاحد طاغي، عجولاً قتوراً إلى غيرها من الصفات التي ذكرت تبعاً في القرآن الكريم<sup>(١٨)</sup>، ولكنه مع ذلك ضعيف جداً، عديم التصرف في أموره وأعماله لا يقوى على شيء إلا بإرادة الخالق عز وجل.

والقرآن الكريم لم يقدم لنا مفهوم الإنسان فحسب بل أتى بمفهوم الإنسانية، وإنسانيته هي أسرة واحدة لها نسب واحد أفضلها من عمل حسناً واتفق سيئاً وأحسن النية فيما أحسنه واتفق<sup>(١٩)</sup>، فهم بذلك إخوة الإنسان أخو الإنسان في القيمة الإنسانية نشأوا من نفس واحدة واشتركوا في المبدأ والمصير، يقول تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾<sup>(٢٠)</sup>.

وبذلك نرى أن القرآن الكريم قام على الواقعية، فهو يتناول الإنسان من جوانبه كلها ولا يهمل شيئاً منها، كما لا يفرض عليه شيئاً خارجاً عن طبيعته، فوضع الضوابط والقواعد للإنسان لكي لا يخرج من إنسانيته، عندما تتحول الرغبات الجنسية إلى فواحش، وتنقلب نزعة التملك إلى اغتصاب، وينحدر الحب والألفة إلى ضغينة وكره وأذى وتسفل.

---

(١٦) محمود عباس العقاد، الإنسان في القرآن، ص4، نهضة مصر، القاهرة.

(١٧) سورة التين، آية 4 - 5

(١٨) انظر سور: إبراهيم (34)، العلق (6)، العاديات (6)، الإسراء (11)، (100).

(١٩) الإنسان في القرآن، ص 8

(٢٠) سورة الحجرات، آية 13

ومما لاشك فيه أن هذه الإنسانية - إنسانية القرآن - هي التي حررت الإنسان من قيود الاستعباد والذل والعرقية والجهل وفتحت له آفاق المعرفة والتبصير والتفكير، وكونت مجتمعاً مثالياً أصبح الناس فيه سواسية كأسنان المشط لا تميز بين أبيض ولا أسود ولا بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح النبيل الذي يهدف إلى خدمة الإنسان والأمة والعقيدة المباركة. والتي أعتقد أنها عندما تغرس في ذات الإنسان تسمو وترتقي به أعلى الدرجات وتنطلق به إلى عالم الإنسانية الحقة، فتظهر جليلة في تصرفاته وكتاباتاته وتعاملاته، فيسود الخير الإنساني الذي تضمحل فيه الضغائن وتنزل به الخصومات في مشارق الأرض ومغاربها.

وحينما نعود إلى التراث العربي والإسلامي نجد أن المفهوم قد تطرق له عدة علماء ونقاد كثر، وأول ما يطالعنا في ذلك أبو حيان التوحيدي في إحدى مقاييساته، عندما قال: "الإنسانية أفق، والإنسان متحرك إلى أفقه بالطبع ودائر على مركزه، إلا أنه مرموق بطبيعته ملحوظ بأخلاق بهيمية، ومن رفع عصاه عن نفسه هـ، وألقى حبله وسيب هواه في مرعاه، ولم يضبط نفسه عما تدعو إليه بطبعه، وكان لين العريكة لا تباغ الشهوات الردية، فقد خرج عن أفقه وصار إلى أرذل من البهيمية لسوء إثاره"<sup>(٢١)</sup>.

وهذا النص يدلنا على أن الإنسانية نظام يجري فيه الإنسان مادام مبتعد عن الأهواء والشهوات، وأما إذا لانت عريكته واتبع هواه فسوف يخرج عن هذا النظام إلى فلك البهيمية بسبب عطائه وتصرفاته.

وأما أبي علي ابن مسكويه، فيرى " أن الإنسان من حيث هو حيوان قد شارك البهائم في غرض الحيوانية وكمالها .. إلا أن الحيوانية لما لم تكن صورته الخاصة به، المميّزة له عن غيره، لم تصدر هذه الأشياء منه على أتم أحوالها " ويضيف إلى ذلك " ولما كانت صورته الخاصة به والتي ميزته عن غيره هو العقل وخصائصه من التمييز والروية، وجب أن تكون إنسانيته في هذه الأشياء، فكل من كان

---

(٢١) أبو حيان التوحيدي، المقاييسات، المقاييس (37)، تحقيق حسن السندوي، المطبعة الرحمانية، القاهرة.

حظه من هذه الخصائص أكثر كان أكثر إنسانية، كما أن الأشياء التي عدناها كلما كان منها حظه من صورته الخاصة به أكثر كان فضله في أشكاله أظهر"<sup>(٢٢)</sup>.

ونخلص من ذلك بأن الإنسان حيوان كبهيمة الأنعام إذا لم يتسم بالعقل وبخصائصه من الروية والتميز، وأما إذا اتسم بالعقلانية وخصائصها فقد حقق الإنسانية، وإذا اتبع تلك الخصائص من خلال تزويد العقل بحقائق العلوم والمعارف وإعمال الفكر فيها واختار الأفضل والأمثل واستعملها في أمور خيرية شريفة فإنه بذلك أكمل صورة الإنسانية، وبذلك يقول " فالروية والفكرة والاختيار الأمثل إنما تكمل بها صورة الإنسانية إذا استعملت في الأمور الإلهية، ليرتقي بها إلى منازل شريفة"<sup>(٢٣)</sup>.

وأما محمد فريد وجدي فيقول وكأنه يؤيد ما قاله ابن مسكويه والتوحيدى فيما ذهباً إليه في جزئية الاتسام بالعقلانية وخصائصها، ولكنه يضيف على ذلك بضرورة تكمل العقلانية وهي وجوب تحقق صفات نفسية تتبع العقلانية وتكملها: " لفظ الإنسان يقال على ضربين عام وخاص، العام: أن يقال لكل منتصب القامة، مختص بقوة الفكر، واستفادة العلم، والخاص: لمن عرف الحق فاعتقده، والخير فعمله بحسب وسعه، وهذا معنى يتفاضل فيه الناس ويتفاوتون فيه تفاوتاً بعيداً، وبحسب تحصيله يستحق الإنسانية .."<sup>(٢٤)</sup>.

وأما العقاد فالذات الإنسانية عنده "جملة من القوى قوامها النفس والعقل والروح، فالإنسان له نصيبه من العقل الفعال في جوهره، وتنزهه عن المادة والهيولى، وله روح يعلو به عن سائر الموجودات، ونفس قد تقترب بها من الكائنات التي تنمو وتلد وتزيد على درجات"<sup>(٢٥)</sup>.

---

(٢٢) أبوحيان التوحيدى، الهوامل والشوامل، ص 217، نشر أحمد أمين وأحمد صقر، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، 1951م.

(٢٣) نفس الكتاب السابق، ص 219

(٢٤) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، مج 1، ص720، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1917م

(٢٥) الإنسان في القرآن، ص 27



وكأن العقاد في معرض حديثه السابق يوضح لنا بأن الإنسان الذي يستحق لفظ الإنسانية هو من يتصف بجملة من القوى قوامها النفس والعقل والروح، بل ويزيد على ذلك من خلال تبيانه وفلسفته لمفهوم الإنسان " وقيل الكائن الحي، وقيل إنه روح وجسد، ودنيا وآخره، ينجو بشطره بمقدار ما يهلك شطره، ويصح له الوجود بمقدار ما صح له من عقبي الفناء. وقيل إنه إنسانان: إنسان صحيح مقبول، وإنسان زائف مدخول. وقيل إن الإنسان يولد بذنب غيره ويموت بذنب غيره.. ولكنّه في عقيدة القرآن هو الخليفة المسؤول عن جميع ما خلقه الله.. يدين بعقله فيما رأى وسمع، ويدين بوجدانه فيما طواه الغيب فلاتدركه الأبصار والأسماع"<sup>(٢٦)</sup>.

وأما الجرجاني صاحب التعريفات، فيقول " الإنسان الكامل هو الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية والكلية والجزئية، وهو كتاب للكتب الإلهية والكونية. فمن حيث روحه وعقله كتاب مسمى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه كتاب المحو والإثبات، فهو الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة التي لا يمسه لا يدرك أسرارها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية، فنسبة العقل الأول إلى العالم الكبير وحقائقه بعينها، نسبة الروح الإنساني إلى البدن وقواه، وإن النفس الكلية قلب العالم الكبير، كما أن النفس الناطقة قلب الإنسان، ولذلك يسمى العالم بالإنسان الكبير"<sup>(٢٧)</sup>.

وفي ذلك وضوح تام في تمثل أسلوب الفلاسفة والمتكلمين في تعبيراته مما أضفى الغموض في العبارة والفكرة، وكأنه يريد القول بأن الإنسان من الكائنات المعقدة التي يصعب تحديد كنهها تحديداً قطعياً<sup>(٢٨)</sup>. وأنا أعتقد بأن ما ذكره الجرجاني من حديث سابق تجاه الإنسان يذكرنا بما قدمه لنا المذهب الإنساني الغربي عندما آمن بالإنسان إيماناً تاماً حتى أوصله بأنه مركز الكون. وهذا ما سوف نتطرق له بإذن الله.

---

(٢٦) الإنسان في القرآن، ص4

(٢٧) محمد علي الفاروقي، كشف اصطلاحات الفنون، ج 1، ص 109-112، المؤسسة المصرية العامة للترجمة والطباعة والنشر، مصر، 1963م.

(٢٨) د. إبراهيم محمد حور، النزعة الإنسانية في الشعر العربي، ص15، مكتبة المكتبة، الإمارات العربية المتحدة، 1998م.

## 2- المفهوم الغربي للإنسانية :

حاول الفيلسوف لالاند أن يحدد مفهوم كلمة إنسانية في معجمه في الثقافة الأوروبية، فأورد عدة تعريفات لها ووجد أنها تعني: مجموعة الصفات العامة لكل البشر، وأنها كذلك تدل على مجموعة الصفات التي تتضمن الفروق الخاصة المميزة للنوع الإنساني بالنسبة لأنواع الأخرى، كما تدل على مجموعة الأناس الذين يؤلفون كتاباً تعاونياً، وكما تدل أيضاً على الشفقة وإحسان الإنسان اللغوي تجاه الآخرين المشابهين له<sup>(٢٩)</sup>.

ويرى أوجست كونت أن الإنسانية لا تعرف بالإنسان بل يعرف الإنسان بالإنسانية، فهي وحدة اجتماعية كبرى تتصف بالتضامن والاستمرار وهما صفتان أساسيتان في المجتمع ... والتكامل الإنساني لا يقتصر على الأفراد والشعوب في عصر واحد وبيئة واحدة ، بل يشمل الأجيال المتعاقبة في الزمان والمكان، فهي تسهم في بناء الصرح الواحد، ويبدل كل جيل منها قسطاً معيناً، فينتج عن ارتباط هذه الأجيال بعضها ببعض مفهوم كامل للجنس البشري، وهذا المفهوم يظهر بوضوح من الناحية الفلسفية والإنسانية حين تتجه إرادة العمل على التنمية التي تعود بالخير على المجتمع<sup>(٣٠)</sup>.  
وأما كانت فيرى أن الإنسانية "غاية خلقية وحسب"<sup>(٣١)</sup>.

والمفهوم الغربي تجاه الإنسانية بدأ يأخذ متسعاً آخر ذا طابع ذو أشكال ودلالات عدة، لقي اهتمام أكثر الكتاب والمفكرين ؛ وذلك عندما ظهر الاتجاه أو المذهب الإنساني بتعدد مسمياته المختلفة، وهذا الاتجاه أطلق في الأصل على الحركة الفكرية التي شهدها عصر النهضة الأوروبية من القرن الرابع عشر إلى السادس عشر مع فلاسفة إنسانيين في ذلك العصر، أمثال: بترارك، وبوجيو، وبوديه وغيرهم. وهي حركة أوضحت سماتها تدعو إلى التفكير في الإنسان من الناحية الاجتماعية

---

(٢٩) د. مفيد قميحة، الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 27، منشورات دار الآفاق الحديثة، بيروت، ط1، 1401هـ - 1981م.

(٣٠) فصل سالم القيسي، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص 76، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2006م. نقلاً عن النزعة الإنسانية في عصر التوحيدي، محمد العجيلي، ص 34-35

(٣١) يوسف خياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، ص 24، دار لسان العرب، بيروت.

والسياسية والنفسية والعاطفية بغض النظر عن مقاصد هذا الاتجاه عند فلاسفة النهضة الأوروبية في ذلك القرن.

يقول دي رجمون: "إن المذهب الإنساني يدل على نظرة عامة للحياة - السياسية والاقتصادية والخلقية - تدور على الاعتقاد بأن خلاص الإنسان يتحقق بالجهد الإنساني وحده" (٣٢).

وقد قام هذا المذهب على نقيض مذهب سابق يرى أن الإنسان شرير ضئيل القدر، كتب عليه الهلاك في الحياة؛ فكانت لهذا المذهب رؤية مخالفة لتلك الرؤى السابقة، فهو يرى أن الإنسان مركز الكون، وأن السعادة والعقل والكرامة والأخلاق من حقه (٣٣).

ويقول أحد الباحثين بهذا الصدد، المذهب الإنساني "هو حركة أوضح سماته السعي إلى الإعلاء من كرامة الفكر الإنساني، ومقاومة روح التقليد والسلطة والجمود، وسبيل أنصارها هي تحطيم قيود العصر الوسيط" (٣٤). وكان شعاره الحرية، والمساواة، والإخاء.

والمذهب الإنساني عند رالف بيرري: "عقيدة موقوفة على الإنسان تمجده دون أن تفصله عن الطبيعة، هدفها هو الإنسان الكائن الحي بالنظر إلى المميزات والمآثر التي تجعله جلياً"، ويقول أيضاً: "أن هذا المذهب يمتدح الإنسان لا زهواً، ولكن احتراماً لقدرة الإنسان الخاصة على الاختيار النير... (٣٥)".

ومهما تعددت دلالات هذا المذهب، فكلها ذات طابع واحد حدده لنا عبد الرحمن بدوي بقوله "أنه من الإنسان، وإلى الإنسان، وكل شيء للإنسان، ولا شيء ضد الإنسان، ولا شيء خارج الإنسان" (٣٦). وقد قام عبد الرحمن بدوي بتحديد ركائز هذا المذهب، بحيث أجملها في خمسة نقاط

---

(٣٢) النزعة الإنسانية في الشعر العربي، ص 19

(٣٣) إبراهيم فتحى، معجم المصطلحات الأدبية، مادة (نزعة إنسانية)، ص 369، المؤسسة العربية للناشرين المبتدئين، المطبعة التعااضدية للنشر والتوزيع، صفاقس - تونس، ط 1، 1986م

(٣٤) النزعة الإنسانية في الشعر العربي، ص 19

(٣٥) رالف بيرري، إنسانية الإنسان، بتجمة سلمى الخضراء الجيوسي، ص 12، مؤسسة المعارف، بيروت، 1989م

(٣٦) عبد الرحمن بدوي، النزعة الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، ص 16، دار القلم، بيروت، ودار المطبوعات،

وهي: أنها تتركز في إعطاء العقل مطلق الحرية وأن كل المعارف ترد إليه، كما ينظر إلى أن الإنسان مقياس كل شيء في العالم، وأن التقدم كله يتم بالإنسان نفسه وبقواه الخاصة لا بقوى خارجية، وكما يمجّد هذا المذهب الطبيعة ويقدها، ويميل إلى النزعة الحسية الجمالية التي ترجع إلى العاطفة وتستلهمها<sup>(٣٧)</sup>.

وقد تحدث الدكتور جميل صليبا عن معنى الإنسانية في الفلسفة الحديثة ، ورأى أن لها ثلاثة معانٍ<sup>(٣٨)</sup>:

أولها: أن الإنسانية هي المعنى الكلي الدال على الخصائص المشتركة بين جميع الناس كالحياة والحيوانية والنطق وغيرها.

ثانيها: أن الإنسانية هي مجموع خصائص الجنس البشري المقومة لفصله النوعي التي تميزه عن غيره من الأنواع القريبة.

ثالثها: أنها مجموع أفراد النوع الإنساني من جهة أنهم يؤلفون موجوداً جمعياً.

وخلاصة القول نجد أن كلمة (الإنسانية) في مفهومها الغربي شملت عدة دلالات ومفاهيم مختلفة، وفي مجملها أنها ترد على الإيمان بالإنسان وعقله إيماناً لا حد له، فجعلته مركز الكون، وجعلته مسؤولاً عن وجوده الفردي بل ومسؤولاً عن جميع الناس وكل البشر، وأن له الحق في كل شيء، وأن ليس وراءه قوى خارقه وراء عالمه الإنساني. وهذا ما يتنافى مع ما أتى في عقيدتنا السمحة المباركة وتراثنا الإسلامي والعربي حيث استدل بها على الإنسان بما فيه من نقائص و عيوب ومحاسن ومساوئ.

وبذلك نؤكد على أن الإنسانية - مهما تعددت دلالاتها واختلفت معانيها - هي التي إذا حلت في قلب الإنسان رفعتة إلى الدرجة السامية حيث العدل والمحبة والمساواة والمعرفة والخير، وإن

---

الكويت، 1403هـ - 1982م.

(٣٧) بتصرف من كتاب النزعة الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، ص 19 - 25

(٣٨) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 27 - 28

فقدما نزلت به إلى الدرك الحيواني حيث البغض والظلم والحقد والوحشية والجهل. وهي بلا شك " قوة معنوية وروحية لا يمكن تجسيدها واقعياً بالكلمات لأنها تتصل اتصالاً مباشراً بالفعل الإنساني الصادر عن الذات الخيرة الصافية التي تهدف في كل أعمالها إلى خير الإنسانية وسعادتها، وإلى إصلاح الجنس البشري سعياً وراء الكمال والمعرفة ووصولاً إلى حقيقة الإنسان المطلقة البعيدة عن كل الشوائب" (٣٩).

### 3- الإنسانية في الأدب :

بعد أن تحدثنا عن مفهوم (الإنسانية) في مدلولها اللغوي والاصطلاحي، وأوضحنا مفهومها عند الغرب، يجدر بنا القول أن نتحدث عن مفهوم الإنسانية في الأدب، والذي تعدد تحت عناوين كثيرة كما ذكرنا سابقاً، كالنزعة الإنسانية، والاتجاه الإنساني، والمذهب الإنساني، والأدب الإنساني إلى غير ذلك من الأسماء.

وهنا لا بد أن نشير إلى موضوع مهم جداً وهو أن الأدب إنساني الطابع، فالأديب يقدم رؤيته تجاه كل ما تقع عليه عينه أو يرقبه إحساسه وشعوره، ولذا رأينا الشعراء الرومانسيين وقد أنسنوا كل مظاهر الكون من حولهم<sup>(٤٠)</sup>، ويرى الدكتور حسن جاد بأن الأدب الإنساني هو الأجدر بأن يطلق عليه اسم الفن والأدب؛ لأن الأدب الإنساني هو الأكثر اتصالاً بالإنسان، وهو الأدب الذي عبر أصدق تعبير عن همومه وآلامه، وألغى الفوارق بين الطبقات، وهو الذي يحمل في طياته حب الوجود كله، ويعيش آلام الآخر وآماله ويسعى في حل مشكلات المجتمع، ويرى أن المجتمع كله ذات واحدة لا فرق بين جنس وطبقة فيه<sup>(٤١)</sup>.

ويقول رالف بيرري: "إن مضمون الآداب والفنون مضمون إنساني أصيل، فهو يعرض الحياة بشكل ملموس مقدماً نماذج قد تثير الإعجاب والاستنكار، قد نقبله أو نرفضه، إنه يوسع مجال

(٣٩) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 28

(٤٠) د. شعبان زكي عبد الحفيظ، الجانب الإنساني في شعر العقاد، ص 9، 1430هـ-2009م.

(٤١) حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص 36، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع، 1405هـ-

1985م.

التجربة المباشرة وينقلها بشعور وإحساس، إنه يحرك الخيال ويحطم قوالب العادات، ويعبر عن رؤى البشر وأشواقهم المختلفة...<sup>(٤٢)</sup>.

ويؤكد صلاح عبد الصبور من أن الفن الحقيقي لا يخدم المجتمع، ولكنه يخدم الإنسان<sup>(٤٣)</sup>. ومن ثم تتسع غاية الفن أيضاً لتشمل الإنسان في مجموعة لا المجتمع في حدوده الضيقة<sup>(٤٤)</sup>.

والحديث عن الاتجاه الإنساني في الأدب ليس وليد أظروف معينة أو لتجديد معين أو لقصد محدد، بل انبثق من صميم الواقع المرير والمعاش بكافة زواياه الذي أدى إلى زيادة احتكاك الشعراء بقضايا الإنسان، الذي بدأوا يلتمسون فيه لأحوال الناس ومشكلاتهم، وينادون فيه بالفضائل والأخلاق والسمو والحرية والعيش الكريم لبني الإنسان، ويحاربون فيه الظلم والفقر والجهل والاستبداد السياسي الذي ترك جروحاً لا تندمل فرقة بين أبناء المجتمع الواحد والأمة الواحدة، فبعثت فيهم رؤى جديدة وغايات نبيلة تختلف عن أسلافهم، والسبب أن الشعراء " لم يكونوا يفكرون فيما حولهم ولم تكن مشاكل المجتمع ولا مشاكل البشرية ميداناً لأقلامهم. فلما خرجنا من عصورنا الوسطى ووجدنا أنفسنا بإزاء مشاكل إنسانية مختلفة، أخذ شعراؤنا يوجهون إليها نشاطهم الفكري، وأخذت تعمل في صميم قلوبهم. فإذا شاعرنا لا يعيش لنفسه، وإنما يعيش لمواطنيه، وقد يمتد بصره إلى مثل أعلى فيعيش للإنسانية كلها، وهو في ذلك جميعه ينفصل من عالم الذاتية والفردية، ويلحق بمحيط أوسع يتصل فيه بالناس ممن حوله وممن هم بعيدون عنه<sup>(٤٥)</sup>.

ومن هنا نشأ الحديث عن الاتجاه الإنساني أو الإنسانية في الأدب، وامتدت المشاعر الإنسانية لدى الشعراء، وأحدثت نوعاً من التواصل المحبب بين أروقة العالم كافة، وتحول الأدب فيه من تسجيل لنماذج معروفة إلى أدب ينفذ إلى الأعماق ويكشف ما خلف الأسوار، حمل معه هموم الإنسان وآماله وتطلعاته ونبت كل ما يعكر صفوه ويكدر عافيته.

(٤٢) رالف بيرري، إنسانية الإنسان، ص 89-90

(٤٣) صلاح عبد الصبور، حياتي في الشعر، ص 88، دار اقرأ، بيروت، 1981م.

(٤٤) نفس الكتاب السابق، ص 96

(٤٥) د. شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص 62، دار المعارف، القاهرة، ط 10.

والاتجاه الإنساني في الأدب هو اتجاه يدعو إلى الخير ولكل ما تحتضنه الإنسانية من دعوة إلى الحب والتآلف والتصالح مع جميع البشر، بكل خلق نبيل وصفة جميلة، نظرتها حول السمو بالمبادئ السامية والمثل العليا بين الناس، ومحاربة كل تيار يدعو إلى الضغينة بين المرء وأخيه الإنسان، والعمل على وجود مجتمع إنساني يتخلله أجواء من الرحمة والألفة والمحبة والعدل والرضا بعيداً عن الظلم والقهر والشقاء وغيرها من مشبطات الحياة.

وقد ظهر اهتمام النقاد والأدباء الم عاصرين بالتطرق إلى الإنسانية في الأدب، وأخذت هذه الكلمة تترد على أفواههم وتظهر جلية وواضحة في أدبهم وإن اختلفت تعريفاتهم بقدر ما تتفق، والتمن في ذلك توفر " نظرة شاملة نحو البشر تطمح إلى السمو بالنفس نحو المثل العليا وتطهيرها من شوائب الأنانية والنفعية، وتنزيهها عن التعصب والتحزب، والبحث عن عاطفة شاملة تضم البشر وتعتبرهم أخوة وتشدهم إلى أهداف سامية مشتركة، وكأهم أسرة كبرى تذوب بينها الفروق العارضة والصفات المميزة، ولا يقام معها كبير اعتبار لعرق أو لجنس أولدين، ولا مفاضلة بين أسود وأبيض، أو شرقي أو غربي..."<sup>(٤٦)</sup>.

ومن الأدباء والنقاد الذين عرفوا الإنسانية جورج صيدح الذي يقول عنها: " لقد عرفتها عن طريق ضميري ووجداني، واكتفيت بذلك، إنها في البدء شعور غريزي بقرابة تربطني بيني الإنسان، وبتضامن مع جميع خلق الله"، ويضيف أيضاً بقوله: " وهي بعد ذلك عمل إيجابي وسعي صادق لخدمة البشرية في حدود مواهب وإمكاناتي"<sup>(٤٧)</sup>، وهو بذلك ينظر إلى الإنسانية على أنها ضمير داخلي، وشعور غريزي يربطه بأخيه الإنسان، تحتم عليه التواصل الحسن والألفة الطيبة والسعي وراء حب الخير وخدمة البشرية بحسب المستطاع .

وكذلك شاعر العصبة الأندلسية فوزي معلوف يرى الإنسانية بأنها "شعور الإنسان مع الإنسان بكل ما في هذا التعبير من شمول"، بل ويذهب إلى أبعد من ذلك فيقول: "هو أيضاً شعور الإنسان

(٤٦) د. عمر الدقاق، الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، ص170، دار الشرق العربي، بيروت، 1985م.

(٤٧) القومية والإنسانية في شعر المهجر الجنوبي، ص446

مع الحيوان والنبات، وأحياناً شعوره بدافع الألفة مع الجماد، فهذا العطف الذي يدفع الجنس إلى الحذب على جنسه يتعذر خلقه غالباً إلا في الإنسان<sup>(٤٨)</sup>.

وأما صلاح عبد الصبور فيصف الإنسانية في الشعر بأنها "الفضيلة الأم"؛ لأنها الحافز على استمرار التواصل بين الإنسان والحياة، ولأنها تؤكد قيمة الشعر<sup>(٤٩)</sup>.

والإنسانية عند شوقي ضيف غير محدودة الدلالة، ولا محصورة الفكر، ومن الممكن أن تفهم بمعان كثيرة، فقد تطلق على السمو بالحياة البشرية وأن يجتاز الإنسان كل العقبات التي تقف في طريقه، بحيث تعم في العالم وحدة إنسانية لا تكفيها حواجز من وطن أو جنس، ولا تحدها عصبية من دين وغير دين. والإنسانية عنده ثلاثة دلالات وأكثر، لكل دلالة تعريف ونمط محدد يختلف عن سابقه، وهي الدلالة المثالية، والدلالة الإنسانية، والدلالة الواقعية..<sup>(٥٠)</sup>.

ومفهوم الإنسانية عند جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة يرتبط بشمول فهمهما للوطن الكبير، فهما لا يؤمنان بأن الوطن والأمة هي تلك القطعة من الأرض التي تضمهم فوق ثراها فقط؛ بل يرون أن كل هذا الكون وطنهم، وكل هذه البشرية أسرهم<sup>(٥١)</sup>. ويقول جبران بهذا الصدد "إن الأرض كلها وطني، وجميع البشر مواطني"<sup>(٥٢)</sup>.

وأما نظير زيتون فيرى أن الإنسانية "هي الشعور الكلي العميق المطلق بأن الإنسان واحد على اختلاف الألوان والسلالات والأوطان، وبأنه أكرم المخلوقات وأشرفها وأعظمها وأسمها، وبأن أعماله وأقواله وأهدافه يجب أن تنبع من كرامته وشرفه وعظمته وسموه، وهي الصفات التي تتمثل في العطاء يداً وقلباً وفكراً، والإصلاح بناءً وتنويراً وتحريراً، والإبداع روحاً وخلقاً وعملاً، والبطولة مروءة

---

(٤٨) نفس الكتاب السابق، ص 446

(٤٩) صلاح عبد الصبور، قراءة جديدة لشعرنا القديم، ص 15، دار العودة - بيروت، ط 3، 1982م.

(٥٠) دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص 58-59

(٥١) د. نظمي عبدالبدیع، أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب، ص 521، دار الفكر، القاهرة، 1976م.

(٥٢) جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة، ص 87، المطبعة التجارية الحديثة، مصر، 1914م.



وإحساناً وتسامياً ، إلى جانب الحب المطلق مطلباً ومذهباً ومأرباً، والجمال نفساً ومورداً  
ومنهجاً... " (٥٣).

وهذه النظرة الإنسانية الخالصة التي تسعى لإسعاد الإنسان وحب الخير له لدى أدباؤنا ونقادنا،  
ولأن الشعر من أرقى الفنون، سجلت ونظمت الإنسانية في أشعار من ذهب ولألى من الزبرجد،  
فأصبحت الإنسانية قضية وموضوع خصب يتطرق له الشعراء في كل حين من ضمن المواضيع  
المتعددة، وذلك عندما أدركوا مدى ثراء الإنسان ومدى إثرائه للشعر، ولذا نجد عبد الوهاب البياتي  
يقول: " وعندما يكون الهم الإنساني، والتجارب الوجودية معاشة حقيقة، فالشاعر لا ينضب " (٥٤)،  
ويقول الشاعر خير الدين الزركلي معبراً عن نفحة إنسانية أصيلة (٥٥):

يكفر فينا معشرٌ معشرٌ على الحق والإنسان قد يتبصر  
دع الناس لا تبغ الذين تهودوا بشر ، ولا تبغ الذين تنصروا  
عجبت لأمر الناس أبناء واحد يفرقهم دين وجنس وعنصر

ولأهمية موضوع الإنسانية في أدبنا العربي تصورها الأدباء والنقاد في الجانب الأدبي في مذهبين،  
وهما: المذهب الرومانسي، والمذهب الواقعي، ولم تطفو على السطح في المذهب الكلاسيكي على  
المستوى المطلوب، وهذا ما أشار إليه الدكتور محمد مصطفى هدارة حينما قيم الدور الذي لعبه  
الشعراء الكلاسيكيون على وجه العموم، فقال: " وهكذا نجد الاتجاه الكلاسيكي يقوم بدوره أحياناً  
في إيقاظ الغافلين واستنهاض الهمم، ولكنه يحد - بصفة عامة - من تدفق الشعور القومي والانفعال  
بالقضايا الأساسية للشعب، لا في أوليات عصر النهضة فحسب ولكن في أيامنا هذه " (٥٦).

والإنسانية في المذهب الرومانسي شملت معاني " جميع الفضائل المتمثلة بالخير والمحبة والعدل، كما  
جمعت تحت لوائها توق الإنسان وطموحه إلى أسمى وأنبلى الغايات بعيداً عن كل أشكال التعصب

(٥٣) القومية والإنسانية في شعر المهجر الجنوبي، ص 468

(٥٤) عبد الوهاب البياتي، مجلة الشعر، العدد السادس، إبريل 1977م، ص 148.

(٥٥) ديوان خير الدين الزركلي ( الأعمال الشعرية الكاملة )، ص 66، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421هـ - 2001م.

(٥٦) د. محمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، ص 106، دار الثقافة، بيروت.

والتفرقة والاختلاف. فهي بمحتواها الجديد تمثل لهم أكثر ما تحلم الأفكار في لحظات الصفاء والمودة، والتطلع بعين الإخلاص والصدق والرضى بعيداً عن الأنانية والمصلحة والجشع، إنها تطلع إلى عالم يسوده الإخاء الشامل البعيد عن كل الحواجز والعقبات والأغراض التي تفرق بين البشر، عالم تحيي فيه الفوارق وتختفي فيه المذاهب والعقائد، ويصبح الناس سواسية بحيث تضمهم إنسانية موحدة شاملة...<sup>(٥٧)</sup>.

وهكذا نرى أن الإنسانية في نظر أصحاب الاتجاه الرومانسي إنسانية لا تحدها حدود، ولا تربطها قيود، مطلقة مرفرفة في العلامي، خيالية مثالية نقية خالية من الشوائب والأنانية<sup>(٥٨)</sup>.

والإنسانية بهذا المنظور دعوة محبة وإخاء شامل، ولكنها اتهمت بأنه انطواء ذاتي مطبق وهروب من الواقع تجسد في الأحلام لا غيرها<sup>(٥٩)</sup>، وهذا مما دعى الشعراء والأدباء يبحثون عن اتجاه آخر، فظهر الاتجاه الواقعي الذي اتجه في حل مشكلات المجتمع وقضاياها، وأصبحت الإنسانية "لم تعد تستمد وجودها من المثالية المطلقة بل من الإنسان ذاته الذي يعيش ضمن الواقع ويلتحم بالأرض بكل مقوماته الوجودية.."<sup>(٦٠)</sup>.

وبذلك نرى أن أصحاب الاتجاه الرومانسي يتفقون مع الواقعيين في الغاية التي تدعو إلى تحقيق السعادة والخير لبني الإنسان، ولكنهم يتناقضون فيما بينهم من ناحية الوسيلة، فسعادة البشرية لا تكون بالأحلام عند الواقعيين كما عند الرومانسيين، وإنما بمعايشة الواقع ومحاولة إشراك الجميع في هذه المعايشة، بحيث تكون إمكانية التغيير ممكنة وسريعة. ولذلك رأوا أن الأدب المحرض على الظلم

---

(٥٧) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص44

(٥٨) تذكرنا الإنسانية في نظر الرومانسيين بالدلالة المثالية التي ذكرت عند شوقي ضيف، في كتابه (دراسات في الشعر

العربي المعاصر) ص 58-59

(٥٩) انظر حسين مروة، دراسات في ضوء المنهج الواقعي، ص84، كلية المعارف، 1965م.

(٦٠) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص49

والفقر والاضطهاد، والمتحدث عن الحروب وأسبابها وويلاتها هو الأدب الإنساني، وما سواه فهو من باب الأحلام والهروب من الواقع، وعدم الرغبة في الدخول فيه لمعايشته ومحاولة إصلاحه<sup>(٦١)</sup>.

ومما مضى نجد أن مفهوم الإنسانية في الأدب مهما اختلف في عرضه ومفهومه عند الأدباء والنقاد، فإنهم اتفقوا على أن الإنسانية في أجمل معانيها هي: حب الخير والسعادة لبني الإنسان، والوقوف معه قلباً وقالباً، وتوفير له المحيط الملائم الذي يأمن له العيش الرغد بعيداً عن جميع منغصات الحياة، من ظلم وقهر وتفرقة وتعصب وغيرها. وهذا أساس ما دعا إليه ديننا الإسلامي القويم.

---

(٦١) النزعة الإنسانية في الشعر العربي، ص21

## 2- خير الدين الزركلي (سيرة حياة) :

أبصر النور وخرج على الدنيا شاعرنا خير الدين الزركلي ابن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، في بيروت ليلة عرفة التاسع من ذي الحجة 1310هـ، الخامس والعشرين من شهر يونيو من عام 1893م، من أبوين دمشقيين من أسرة سورية الأصل. حيث كان لوالدة تجارة في بيروت آن ذاك، فكانت بيروت المولد الحقيقي له<sup>(٦٢)</sup>.

يمت الزركلي إلى عشيرة (الزركلي) الكردية<sup>(٦٣)</sup>، من أم عربية، وأبٍ كردي من أصولٍ عربية، وقد سئل عن ذلك، فقال: "أمي عربية، وأبي كردي، ولكن أصل أبي يرجع إلى قبائل من الخوارج (الأزارقة) الذين طاردهم المهلب ابن أبي صفرة، فنزح بقية منهم إلى كردستان، واندمجوا في أهلها، ولاعبرة فيما رواه بعض المؤرخين من أن المهلب قد أفناهم"<sup>(٦٤)</sup>. وكما يقول أيضاً، "أصلي عربي الأرومة، يتصل نسبي بإسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن السبط الحسين بن علي بن أبي طالب"<sup>(٦٥)</sup>.

انتقلت عائلة الزركلي الكريمة إلى دمشق وعمره سبع سنين بعد انقضاء الحاجة في بيروت، حيث توفي والده سنة 1320هـ وهو لم يتجاوز العشر السنوات من عمره. فدأب في دمشق، ورُبي بما أبقاه له والده من ثروة متوسطة<sup>(٦٦)</sup>، وتعلم في إحدى مدارسها الأهلية، فأخذ عن علمائها على الطريقة القديمة الكثير من العلوم الخاصة الأدبية وغيرها، والذي كان لهذا الأخذ تأثير كبير على شخصية شاعرنا في كماله الثقافي والمعرفي والعلمي، فعكف على طلب العلم، وهام في حب الكتب ولاسيما كتب الأدب، فتفجرت مواهبه الإبداعية، وتراءت قريحته الشعرية منذ صباه، وظهر حبه للعلم

---

(٦٢) خير الدين الزركلي، الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، مج 8، ص 267، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط8، 1989م.

(٦٣) أدهم آل جندى، أعلام الأدب والفن، ج1، ص387، مطبعة مجلة صوت سورية، دمشق، 1954م.

(٦٤) أحمد العلاونة، خير الدين الزركلي - المؤرخ الأديب الشاعر، ص 9، دار القلم، دمشق، ط 1، 1423هـ - 2002م.

(٦٥) نفس المرجع السابق، ص10

(٦٦) خير الدين الزركلي - المؤرخ الأديب الشاعر، ص10

والتعليم مما حداه يلتحق بالمدرسة الهاشمية تلميذاً ثم مدرساً<sup>(٦٧)</sup>، ومن هؤلاء العلماء الذين أشاد بفضلهم عليه وعلى الشام كافة، محمد عبد الرزاق كرد علي الذي تتلمذ على مدرسته الفكرية والتي كانت تنزع نزعات حرة في توجي الأمة نحو الإصلاح<sup>(٦٨)</sup>، وعبد القادر بدران، وجمال الدين القاسمي، وأبو الخير المدائني، ومحمد كامل القصاب، وطاهر بن صالح الجزائري<sup>(٦٩)</sup>.

أصدر مجلة (الأصمعي) مجلة أسبوعية سنة 1330هـ - 1912م، فعطلتها الحكومة العثمانية بسبب صورة رمزية كتب تحتها أنها صورة الخليفة العربي المأمون<sup>(٧٠)</sup>. واسمها دال على عشقه للغة ورواها، إذ أراد أن ينشر على الناس ذوب تفكيره وخلاصة أدبه، وأن ييث الروح القومية، وأن يحث على حب العروبة<sup>(٧١)</sup>.

دعي إلى الجندية سنة 1916م فدخلها جندياً نحو ستة أشهر، ثم توارى واشتد عليه الطلب وهدد مع من توارى بالقتل، فلجأ إلى إرضاء جمال باشا بمدحه بأربع قصائد فأعفاه من الجندية، وفي ذلك يقول: "فأسأت إلى الشعر في مدحي له بأربع قصائد"<sup>(٧٢)</sup>.

لم يستقر الحال به في دمشق إذ عاد إلى بيروت منقطعاً في الكلية العلمانية (لايبك) تلميذاً في دراساتها الفرنسية، وبعدها رجع في أوائل الحرب العالمية الأولى إلى دمشق، وإكمالاً لأعماله الصحفية أصدر بها مع أحد الأصدقاء بعد الحرب صحيفة (لسان العرب) اليومية سنة 1918م فأقفلت. فشارك في إصدار صحيفة (المفيد) مع يوسف حيدر، فكتب فيها العديد من المقالات الأدبية والاجتماعية، إذ استمرت حتى دخول الفرنسيين دمشق سنة 1920م<sup>(٧٣)</sup>.

---

(٦٧) الأعلام، مج8، ص267

(٦٨) سامي الكيالي، الأدب العربي المعاصر في سورية، ص258، دار المعارف، مصر.

(٦٩) انظر كتاب الأعلام ترجمة لهؤلاء، مج2/ص135، مج3/ص221، مج4/ص37، مج6/ص202، مج7/ص13

(٧٠) الأعلام، مج، ص267

(٧١) د. سامي الدهان، الشعراء الأعلام في سورية، ص146، دار الأنوار، بيروت - لبنان، طبعة ثانية مزيدة، 1968م.

(٧٢) خير الدين الرزكلي - المؤرخ الأديب الشاعر، ص15

(٧٣) الأعلام، مج8، ص267

جاهر بعدائه للفرنسيين بشعره وقلمه وبعثهم بالغدر والخيانة ودعا إلى مقاومتهم، فحُكم عليه بالإعدام غيابياً وحجز أملاكه، وهو كغيره من أحرار سوريا؛ وذلك لأنهم مجرمون بالاتفاق والتحريض لكونهم عملوا الدسائس والتفاهم مع أعداء الحكومة الفرنسية لتسهيل مقاصدهم<sup>(٧٤)</sup>.

وفي هذا الشأن يقول الزركلي بنبرة متألم جريح: "جن جنون الإفرنسيين في سورية؟ فلم يكفهم أن كانوا الجناة على استقلالها، القاتلين حريتها، الوائدين نهضتها، العائقين لها عن السير في سبيل الحياة، الباذرين في قلوب بنيها بذور البغضاء والشحناء .. بل زادوا على ذلك كله مطاردة من شاء لهم الهوى أن يطاردوه من شبان سورية وأحرارها فأعلنوا أحكامهم الجائرة"<sup>(٧٥)</sup>. وكما قال أيضاً بلسان الإنسان المؤمن بربه، وبنبرة حادة وبرباط جأش<sup>(٧٦)</sup>:

ندروا دمي حنقاً علي وفاتهم      أن الشقيِّ بما لقيتُ سعيدُ  
اللهُ شاءَ لي الحياةَ وحاولوها      ما لم يشأَ ولحكمه التأييدُ

ترك الشام بعد موقعة ميلسون في عام 1920م، وغادرها خائفاً مضطرباً يترقب في القطار إلى حيفا، فأقام فيها أسبوعين، ثم قصد القاهرة، ثم الحجاز بدعوة من ملكها يومئذ الشريف الحسين بن علي، فتجنس بالجنسية العربية في الحجاز، وفي أثناء مكوثه في الحجاز أفرد كتاباً مستقلاً عن مارآه في الحجاز، أسماه (مارأيت وماسمعت)<sup>(٧٧)</sup>.

انتدب الزركلي من الملك الحسين بن علي إلى حكومة شرقي الأردن آن ذاك الأمير عبد الله، وذلك لإنشاء الحكومة الأولى في عمان، وفي أثناء ذلك تقلد عدة مناصب سياسية منها مفتشاً عاماً للمعارف، ثم رئيساً لديوان رئاسة الحكومة من عام (1921-1923)م. وفي إبان عمله هذا أبلغت

---

(٧٤) خير الدين الزركلي، مارأيت وماسمعت، ص 46، تقديم وتعليق عبالرزاق كمال، دار الشعب، القاهرة، مكتبة المعارف، الطائف.

(٧٥) نفس الكتاب السابق، ص 46-52

(٧٦) ديوان الزركلي - الأعمال الشعرية الكاملة، ص 118، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط 1، 1421هـ - 2001م.

(٧٧) انظر تفاصيل الرحلة كاملة في كتاب (مارأيت وماسمعت)، ص 35 ومابعدها.

السلطات الفرنسية أهله بدمشق أنها قررت إلغاء حكمها عليه بالإعدام، فهبط دمشق فرحاً وعاد بعائلته إلى العاصمة الأردنية عمان<sup>(٧٨)</sup>.

غادر الزركلي عمان متجهاً إلى القاهرة بعد أن رأى مارآه من الأمير عبدالله من خلال ملاينته للإنجليزية وتجاهله لاستجابات الثوار، فانصرف فيها إلى العمل الثقافي عندما أدركه اليأس من العمل السياسي، فأنشأ في حي الموسكي بالقاهرة (المطبعة العربية) وطبع فيها كتبه: (مارأيت وماسمعت)، و(عامان في عمان)، و(ديوان الزركلي سنة 1925م)، و(الأعلام) في طبعته الأولى سنة 1927م، ونشر كذلك كتباً كثيرة تراثية وحديثة منها كتاب (الورع) للمرزوقي، و(ذم الموسوسين والتحذير من الوسوسة) لابن قدامة، و(رسائل إخوان الصفا)، و(ديوان الزهاوي)<sup>(٧٩)</sup>.

ثارت سوريا على الاحتلال الفرنسي سنة 1925م، فأذاع الفرنسيون حكماً غيبياً آخر بإعدامه " لنشاطه في تغذية الثورة، ومؤازرة المجاهدين " <sup>(٨٠)</sup>، فساءت صحته في عمله بالمطبعة فباعها سنة 1927م، واستجم ثلاث سنوات زار خلالها الحجاز مدعواً من الحكومة السعودية بعد أن تم تسلم مقاليد الحكم فيها من قبل الملك عبد العزيز يرحمه الله<sup>(٨١)</sup>.

وفي عام 1930م ذهب الزركلي إلى القدس مصطحباً معه عائلته مكملاً عمله الثقافي في مزاوله الصحافة التي أعتقد أنها كانت ذا أثراً بالغ الأهمية في التأثير على شخصيته الإنسانية، ف أصدر مع زميلين له صحيفة (الحياة) اليومية سنة 1931م، ولكن سرعان ما عطلتها الحكومة الإنجليزية، فشارك في تحرير صحيفة (الدفاع) في يافا سنة 1934م، مع إبراهيم طوقان، وعبدالكريم الكرمي، وسامي السراج، وإبراهيم الشنطي<sup>(٨٢)</sup>.

---

(٧٨) الأعلام، مج8، ص267

(٧٩) خير الدين الزركلي - المؤرخ الأديب الشاعر، ص21

(٨٠) مقدمة ديوان الزركلي، ص14

(٨١) الأعلام، مج8، ص268

(٨٢) خير الدين الزركلي - المؤرخ الأديب الشاعر، ص22

وبعد أربعة أعوام قضاها في فلسطين إلى عام 1934م ففتح أن يتولى عملاً رسمياً في الحكومة السعودية، إذ كان "الملك عبدالعزيز من المعجبين بوطنيته النادرة وأخلاقه الفاضلة فمحصنه ثقته وعهد إليه"<sup>(٨٣)</sup>، فعين إلى تمثيله في عدة محافل مختلفة، وقضاء مصالحه الإدارية والسياسية والخاصة والعامّة في مصر، بوصفه مستشاراً في الوكالة العربية السعودية، ومن المندوبين السعوديين لإنشاء جامعة الدول العربية ومن الموقعين على ميثاقها، ومثل السعودية في عدة مؤتمرات دولية، ثم نُدب لإدارة وزارة الخارجية في جدة بالتناوب مع صديقه يوسف ياسين سنة 1946م والعمل في جامعة الدول العربية معاً<sup>(٨٤)</sup>.

وفي سنة 1951م عُيّن وزيراً مفوضاً ومندوباً دائماً للسعودية في جامعة الدول العربية، وبقي مندوباً فيها حتى سنة 1957م، ثم عُيّن سفيراً للسعودية بالمغرب وسبقته شهرته إليها، وقويت علاقته بالملك محمد الخامس، وتعرّف على كبار علماء المغرب، مثل: محمد المختار الشوسبي، ومحمد إبراهيم الكتّاني، ومحمد المنوني، وأبوبكر التطواني، مما جعله في حراك فكري وثقافي دائم ومشارك فعّال في الاحتفالات والمناسبات<sup>(٨٥)</sup>.

ونظراً لمكانة شاعرنا العلمية ضمّه المجمع العلمي العربي بدمشق لعضويته عام 1930م، كما أصبح عضواً لمجمع اللغة العربية بمصر عام 1946م، وعضواً بالمجمع العلمي العراقي في بغداد عام 1960م<sup>(٨٦)</sup>.

وفي حياته قام بعدة رحلات التي أعتقد أنها أفادته كثيراً وزادت من ولعه بالبحث والمطالعة، فاستزاد بعدد وافر من المخطوطات والمطبوعات النادرة التي جمعها في خزانة كتبه، وظهرت فوائدها جليلة وواضحة في (الأعلام)، ومن رحلاته رحلته إلى إنجلترا عام 1946م ومنها إلى فرنسا ممثلاً للحكومة السعودية في اجتماعات المؤتمر الطبي الدولي بباريس، ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام

---

(٨٣) أعلام الأدب والفن، ج1، ص388

(٨٤) الأعلام، مج8، ص268

(٨٥) خير الدين الزركلي - المؤرخ الأديب الشاعر، ص23

(٨٦) الأعلام، مج8، ص269



1947م بمهمة رسمية غير سياسية أمضى فيها سبعة أشهر بين كليفورنيا وواشنطن ونيويورك وغيرها، وحضر في خلالها بعض اجتماعات هيئة الأمم المتحدة، ثم انتقل إلى أثينا عاصمة اليونان عام 1954م - بصفة وزير مفوض ومندوب فوق العادة - وفي أثناء العودة قام بالمرور بتركيا وحلب وبيروت والقاهرة، وفي عام 1955م أصبح مندوباً لحضور مؤتمر إقامة الحزب الدستوري في تونس، وعاد منها إلى إيطاليا حيث تيسر له خلال شهرين الطواف في أهم مكباتها. كما قام بعدة رحلات أخرى مختلفة إلى عدد من البلدان.

وفي عام 1963م دُعي إلى الرياض وطلب التقاعد من العاهل السعودي الملك فيصل بن عبدالعزيز؛ ولكنه قبل بالرفض، فطلب الاعتكاف لإنجاز كتاب (شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز) فمُنح إجازة غير محددة، واختار الإقامة في بيروت، وفي فترة الإقامة أنجز مع كتابه السابق (الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز) وغيره من الكتب، وكذلك عرف علماء أفادوه في كتبه، كحمد الجاسر وظافر القاسمي وزهير الشاويش<sup>(٨٧)</sup>.

وفي أوائل 1976م أُرهِق فأغمي عليه، فنقل سريعاً على إثرها إلى مستشفى الجامعة الأمريكية ببيروت، وعولج بتقوية حركة القلب بألة كهربائية، وبذلك استرد عافيته شيئاً فشيئاً، وقدم دمشق في شهر آب 1976م فمكث في فيها بضيافة ابن عمه الشاعر سليم الزركلي<sup>(٨٨)</sup>، الذي ترجم لشاعرنا خير الدين في مقدمة الديوان، وقال عنه أبيات جميلة تنم عن مدى عمق الإخاء الإنساني بين الشاعرين<sup>(٨٩)</sup>:

أخيراً الأقارب والأبعدين وخير الصديق وخير الصحابِ  
وسعت الرجال بحلم الحكيم ونبل الحميم وفيح الرحابِ  
ولطف الأنيس وأنس الجليس بطول أناةٍ وصبر عُجابِ  
غدوت القلوب بجلو النشيد ورُضت العقول بسحر الكتابِ

(٨٧) خير الدين الزركلي - المؤرخ الأديب الشاعر، ص25

(٨٨) خير الدين الزركلي - المؤرخ الأديب الشاعر، ص25

(٨٩) انظر مقدمة ديوان الزركلي، ص20

حذقت السياسة فنَّ الحياة فلست تميُّ ولست تحابي  
وجُبت القفار مع الناهضين بصدق اليقين وصدق الطلاب

وفي أواخر آب 1976م سافر إلى القاهرة حيث يقيم ابنه الدكتور غيث وإخوته، فمرض هناك  
وأدخل مستشفى المعادي ثم نقل إلى مستشفى الشوربجي فتوفي حينها يوم الخميس الثالث من ذي  
الحجة (1396 / 25 تشرين الآخر 1976م) وصلي عليه يوم الجمعة في مسجد عمر مكرم،  
وهناك كانت مراسم العزاء ومحطة نهاية رجل سطر التاريخ من ذهب<sup>(٩٠)</sup>.

#### ● ذريته وصفاته :

أعقب خير الدين من الذرية أربعة أبناء، ابن وثلاث بنات، الابن هو غيث الذي مارس الطب،  
فالتحق بإدارة الشؤون الصحية بجامعة الدول العربية، وأما البنات فهن : (لميس) و(حياة) و(طريفة).  
وكلهن ربات بيوت، ومتخرجات من الجامعة الأميركية بالقاهرة<sup>(٩١)</sup>.

وأما صفاته رحمه الله فكان أسمر البشرة، طويل القامة، ممشوق القوام، جميل القسما، سهل  
الخلق، لطيف الروح، بليغ الكلام، سريع البديهة، رحيب الخاطر، كظيم الغيظ، عصبي المزاج، تربطه  
علاقة وثيقة مع أصدقائه، وأخيراً شفافاً في التعامل<sup>(٩٢)</sup>.

#### ● مؤلفاته :

1- ديوان الزركلي: الأعمال الشعرية الكاملة<sup>(٩٣)</sup>.

2- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين<sup>(٩٤)</sup>.

---

(٩٠) خير الدين الزركلي - المؤرخ الأديب الشاعر، ص25

(٩١) نفس الكتاب السابق، ص26

(٩٢) خير الدين الزركلي - المؤرخ الأديب الشاعر، ص26

(٩٣) وهو ديوان يجوي جميع أشعاره، طبع في مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، في عام 1421هـ-2001م.

3- عامان في عمان<sup>(٩٥)</sup>.

4- ما رأيت وما سمعت<sup>(٩٦)</sup>.

5- شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز<sup>(٩٧)</sup>.

6- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز<sup>(٩٨)</sup>.

هذه هي الخطوط العريضة التي من الممكن أن تلخص حياة الشاعر الكبير خير الدين الزركلي كبريم الخلق والفضل والعلم، الذي كان في جبين التاريخ شامة لا يمكن أن تنسى على مر الأجيال، وفي طريق الشعر بستان لا يمكن أن يجف وييلى، وفي سبيل رجل أعطى القسم الأكبر من حياته لخدمة أمته ووطنه وإنسانيته من خلال عمله الدبلوماسي والمناصب المتعددة التي أوكلت إليه، ومن خلال مؤلفاته وأعماله الأدبية.

- 
- (٩٤) وهو عبارة عن قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، وهو ما اشتهر به أكثر من ديوانه، طبع في دار العلم للملايين، في ثمانية أجزاء، آخر طبعة هي الطبعة السابعة عشر، في عام 2007م.
- (٩٥) وهو كتاب ألفه خير الدين الزركلي، عندما مكث في عمان عامين، وكانت التسمية من زمنية التواجد، حيث طبع عدة مرات، وآخر طبعة كانت من الأهلية للنشر والتوزيع، في عام 2009م. وفي هذين العامين يقول موثقاً إياها بشعره: عامان في عمان أسير منهما حمل القيودٍ ومنتفئٌ مُتَفَطِّعٌ .. الديوان، ص 140
- (٩٦) هو كتاب نابع من التسمية وهو ما رأه بعينه وما سمعته أذناه ممن يثق بهم، في فترة ما بين يوليو 1920م إلى آخر يناير من عام 1921م؛ أي ما يعادل سبعة أشهر تقريباً، وقد نشر هذا الكتاب دار الشعب، مصر، ومكتبة المعارف بالطائف، وقام بالتعليق عليه عبدالرزاق كمال.
- (٩٧) هو كتاب يتحدث فيه الزركلي عن أحوال شبه الجزيرة العربية في عهد الملك الراحل الملك عبد العزيز يرحمه الله، ومؤلف في جزأين، طبع في دار العلم للملايين، بيروت، آخر طبعة هي الطبعة الثامنة في عام 1998م.
- (٩٨) وهو كتاب اختصار لكتاب شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، إذ يقول عنه الزركلي في مقدمته: "أما وقد دونت ما وقفت عليه أو وقفتُ عليه، من تاريخ "شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز" وجاء شيء من الإسهاب لا يتسع وقت الطالب الدارس لاستيعابه، فكان علي أن أضع للناشئة الواعية موجزاً يتدارسونه، ويرجع إليه المعجل منهم ومن غيرهم، يصور لهم حياة عبدالعزيز صورة صحيحة كالأولى، لازلفى فيها ولا باعث إليها إلا خدمة التاريخ في شخص رجل من كبار رجال؛ فاكثفت عن الكثير بالقليل، وبالخلاصة عن التفصيل، وسميته "الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز" راجياً ألا أكون قد أحللت في الإيجاز ولا أمللت في البسط، ومن الله وحده". وقد طبع الكتاب في مجلد واحد، في دار العلم للملايين، بيروت، آخر طبعة هي الطبعة العاشرة في عام 2000م.

## الفصل الأول

### روافد الاتجاه الإنساني عند الزركلي

- ١ - المبحث الأول: الدين الإسلامي
- ٢ - المبحث الثاني: الشعر العربي
- ٣ - المبحث الثالث: الصحافة
- ٤ - المبحث الرابع: العمل السياسي
- ٥ - المبحث الخامس: أسفاره
- ٦ - المبحث السادس: روافد أخرى

## الفصل الأول: روافد الاتجاه الإنساني عند الزركلي

الاتجاه الإنساني سمة أصيلة في كل البشر من لدن آدم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومتأصل في النفوس والقلوب، ومفعوله سارٍ بين الأوردة والعروق، ومتفاوت بين الناس بين القوة والضعف، بحسب ما يدور حول الإنسان من روافد وعوامل تساعد الإنسان على زيادة معيار أو نقص معيار هذه السمة الإنسانية الأصيلة في البشر.

وأول تلك الروافد طابع العصر العام الذي كان يعيش فيه الزركلي، ذلك الزمن الذي شهد تحولات خطيرة ومهمة سواء في سوريا أو في الوطن العربي أو العالم بأسره، بكافة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي شكلت نقلة شاملة ومختلفة في كافة المجالات الحياتية، أودت بظلالها على الإنسان، وأجهشت القلوب لأجله، ودفعت الأقلام الشاعرة بإزاء مشاكل الإنسان المعاصر وتطلعاته وهمومه، فأصبح الإنسان ميداناً خصباً لأروقة كتاباتهم وهدفاً أساسياً لموضوعات قصائدهم.

وتلك روافد رئيسية يشترك فيها معظم الشعراء، ويلتقون في الإفراد والتأثر منها. ويتبع تلك الروافد الرئيسة روافد تتسم بطابع الخصوص، تقود الشاعر وترشده إلى مضمار الإنسانية؛ لتسمو به إلى الغايات النبيلة السامية تحت مظلة إنسانية تصبو إلى مصير مشترك وأهداف إنسانية واحدة ، فالشاعر ليس " كدودة الحرير تنسج حول نفسها قبراً ترقد فيه، بل هو لوحة حساسة يرتسم عليها ما يحيط به من مؤثرات فتمتزج بنفسه ثم تظهر للناس رسوماً ذات روعة وتأثير " (٩٩) وشاعرنا الفذ خير الدين الزركلي حلقة من ضمن منظومة شعراء تأثروا من عدة روافد مختلفة ذات طابع خصوصي، جعلت الاتجاه الإنساني في شعرهم بارزاً وظاهراً، ومعيناً لا ينضب.

ولعل هذه الروافد تختلف من شاعر إلى آخر ومن فئة إلى أخرى، بحسب ما تمليه عليه تربيته ومعيشته ونظراته الحياتية تجاه الأشياء، فالشاعر يعيش ضمن مجموعة من الأشياء يتأثر بها كما يؤثر

---

(٩٩) أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ص11، دار العلم للملايين، ط7، 1982م.

فيها، فهو " لا يعيش ضمن فراغ زمني أو مكاني بل يتأثر من كل اهتزازات الذبذبة الإنسانية سلباً وإيجاباً، ويتأثر بكل ألوان الطيف الحياتي التي تنسكب في وعاء وجوده كإنسان يمثل طبيعة الوجود"<sup>(١٠٠)</sup>. وعلى سبيل التقريب لا الجزم والقطع نرى أن روافد الاتجاه الإنساني عند خير الدين الزركلي، التي كانت لها الأثر البالغ عليه، تتنوع وتتموضع في: الدين الإسلامي، والشعر العربي، والصحافة، والعمل السياسي، وأسفاره، والتكوين الثقافي وتجارب الحياة.

---

(١٠٠) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 119. نقلاً عن محمد الجزائري، الآداب، أدب المعركة أو أدب الثورة، العدد الأول، ص12، 1969م.

## المبحث الأول: الدين الإسلامي

من أول الروافد المهمة لدى شاعرنا خير الدين الزركلي هو الدين الإسلامي، فهو من الركائز المهمة في التأثير على شخصية الفرد، ولاسيما إذا كان هذا التأثير ينصب في مسار الاتجاه الإنساني في علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، والزركلي بانتمائه لهذا الدين القويم ساعد كثيراً في تقويم سلوكه الإنساني وتهذيب تصرفاته وتصويب أفعاله وأقواله في مسارها الصحيح، وظهور ذلك في أشعاره وكتاباتاته فجعل منه قوام الإنسان الذي يحمل على عاتقه هموم الإنسانية.

والحق أن الدين الإسلامي دين الإنسانية، دين الرحمة والسلام، دين العالمين، ليس دين جنس أو قوم، بل هو للعالمين كافة. يُكرم فيه كل الناس بصفاتهم الإنسانية، وبصرف النظر عن أصولهم وألوانهم وأديانهم، يقول تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾<sup>(١٠١)</sup>.

والدين الإسلامي دين ودنيا وروح ومادة ونظام وعقيدة ومنهاج شامل يقدم الكليات والإشارات الضرورية لمسيرة الحضارة الإنسانية حتى تحتفظ بأساليب إنسانية وتصل إلى غايات كريمة، والإسلام ينظر إلى الناس على أنهم سواسية لا تفاضل بينهم، فكلهم لآدم وآدم من تراب ولا فرق بين رجل أو امرأة، ولا غني أو فقير ولا أسود أو أبيض فالجميع سواء في القيمة الإنسانية، فلا تفاضل بين الناس في هذه الناحية إلا بالعمل الصالح والكفاءات الممتازة، وبما يقدمه كل فرد لربه ولإخوانه ووطنه، فأبوهم الإسلام وأمهم شرعته، ومثله وقيمه، وأفضلهم في هذا النسب أتقاهم، يقول تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾<sup>(١٠٢)</sup>، ويقول الرسول ﷺ مؤكداً هذه الخصيصة في خطبة الوداع: « يا

(١٠١) سورة الإسراء، آية 70

(١٠٢) سورة الحجرات، آية 13

أيها الناس! إن ربكم واحد وأباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي ولا أسود على أحمر ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى ..» (١٠٣).

ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه مقتدياً بالرسول الكريم (١٠٤):

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهم آدم والأُم حواء  
فإن يكن لهم من أصلهم شرف يُفاخرون به فالطيب والماء

ويروى أيضاً أن أبا ذر ساءب رجلاً فغيره بأمه فقال له الرسول ﷺ: «يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية. إخوانكم حولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» (١٠٥).

والدين الإسلامي قضى على الطوائف والعصبيات الجاهلية، فلا تفرقة بين الطبقات، ولا بين العبيد والأحرار، فكان الرسول ﷺ يقرب إليه كثيراً من العبيد ويقدمهم على بعض الصحابة الأحرار، كما كان يرسلهم قادة للجيوش التي تضم بين صفوفها خيرة الصحابة وأجلاهم، فلا تفرقة في الإسلام من أجل حسب أو نسب، يقول تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحياه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (١٠٦).

---

(١٠٣) نور الدين على أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحديث 5622، مج3، ص587، دار الفكر، بيروت، 1412هـ - 1992م.

(١٠٤) ديوان الإمام علي بن أبي طالب، ص15، شرح د. يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، ط8، 1423هـ - 2002م.

(١٠٥) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 1، ص106، تحقيق محق الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط2، 1407هـ - 1987م.

(١٠٦) سورة النحل، آية 97



والإسلام بني على المساواة والعدل وحسن الخلق والتسامح والمحبة والأمانة والعديد من الفضائل والشمائل الحسنة النبيلة، وكل شعارات تنسي فضائل الأمور وتنعرج إلى الرذائل هي شعارات فارغة المضمون مخادعة ومعادية للإنسان.

وروعة الثقافة وجمالياتها الإسلامية وما احتوت من محاسن الأمور جعلت الزركلي ينادي بالفضائل والأخلاق الكريمة، ويستشعر الظلم فينادي بالحق، ويعرف كم على الدين الإسلامي من فضل على الإنسانية، لذلك تجده في ديوانه يتمثل قيم الدين الإسلامي وكأنها طبع وجبلة تسير في دمه، وهما هو ذا مثلاً ينادي ويقر بقانون الإسلام السامح الذي به ترفع راية الحق وينصر فيه المظلوم على الظالم كأول علاقة تأثرية تأثر بها الزركلي من الدين الإسلامي، فتجده يقول<sup>(١٠٧)</sup>:

كل نفس تجزى بالذي كسبت الحيف بالحيف والأنداء بالديم

من يخطيء ينل عقابه وما زرعه من باطل ينل حصاده، فالحيف بالحيف كما أن الأنف بالأنف والأذن بالأذن، فالعدل هو المبدأ الذي يحفظ كرامة الإنسان وحقه.

وهما هو ذا أيضاً يخط لنا بيتاً من أجمل الأبيات المفعمة بالإنسانية الحقة الجميلة التي تبدي بما في جوفها من نبل وسمو ومثالية رائعة، مصحوبة مع تجربة مريرة، محاولاً نبذ التفرقة والعنصرية التي فرقت بين أبناء الوطن الواحد<sup>(١٠٨)</sup>:

هوأي إحاء الناس، والناس أخوة ولكنهم يأبون إلاّ التعاديا

ما أتمناه وأهواه بحق هو أن أجد العالم بناسه وإحساسه أخوة كالبناء الموحد متجاوزون التعادي، يسود بينهم المودة والمحبة والإخاء، لا ظلم ولا تفریق، ولكن واحيية العمر أنهم يصرون ويأبون إلاّ التعادي والتطاحن والتنافر.

---

(١٠٧) الديوان، ص 194

(١٠٨) الديوان، ص 286

والتسامح وما حمله لنا الدين الإسلامي مع الآخر من فلسفة جميلة نجد الزركلي يتمثل ذلك فيقدم لنا من مائدته الإنسانية الفياضة بالمشاعر عنواناً للتسامح فيه نوع من النبيل والسمو الإنساني الكريم، مؤكداً لنا الزركلي أن الدين الإسلامي أحد روافد الاتجاه الإنساني عنده، عندما قال (١٠٩):

دع الناس لا تبغ الذين تهودوا بشرٍ ولا تبغ الذين تنصروا  
عجبت لأمر الناس: أبناء واحدٍ يفرقهم دينٌ وجنسٌ وعنصرٌ!

فالإنسان يجب معاملة الإنسان على أنه إنسان، فلا يؤذ هذا ويتمنى ويتقصد لذلك بالشر لمجرد دينه أو جنسه أو لونه، فالكل أبناء آدم وما أعظم العجب أن يتفرقوا أو يتناحروا لمجرد أنك كذا وأنا في المقابل غير ذلك، ولعل طبيعة العصر عند شاعرنا وما كان يحمل في طياته الكثير من الصراعات الدينية والمذهبية وأمثالها حتمت عليه ذلك كردة فعل إنسانية نبيلة.

ومن أجمل ما تمثله الزركلي أيضاً بوصفه رافداً جميلاً استقبله من الدين الإسلامي القويم مكارم الأخلاق التي نادى بها الرسول الكريم، مما جعله ينادي بها، من أجل العفة من الرذائل (١١٠):

قد فرض الإيمان مكارم الأخلاق  
عفو عن الأسلاب كُفُو عن الأغرار  
تجنبوا الأطناب لا تهتكوا الأستار

فالإيمان العظيم قد فرض مكارم الأخلاق وأعظمها وأفضلها وأحسنها فتجنبوا الخبيث منها، وعليكم بأطياب الأخلاق ومكارمها. فعفوا وكفوا، وتجنبوا ولا تهتكوا، وما أجمل هذا النهي المفيد الذي أتى به شاعرنا، الذي يجعل النفس تعف به عن سفاسف الأمور وغثائها وقذائها. لذلك فلا عجب أن نرى هذا التأثير، فمكارم الأخلاق في الإسلام تعود فوائدها وتمتد آثارها إلى الإنسانية عامة

---

(١٠٩) الديوان، ص66

(١١٠) الديوان، ص53

محققة العدل والرحمة الشاملة لكل الناس، فالعدل فيها مطلق، والكرامة الإنسانية مطلقة، والرحمة كذلك موجهة لكل الناس.

وتأثير الدين الإسلامي على الإنسان ينعكس على شخصيته فيأتي رقيق الشعور، مهذب الفكر، تُبعث له نسمات الطمأنينة والراحة، بمجرد التفكير في أي شيء، وهذا ما ظهر واضحاً وجلياً عند الزركلي عندما انعكس الشعور الإسلامي إليه عند تأدية مناسك العمرة بالطمأنينة والراحة الإنسانية التي تنسل خيوطها بين أدفة الذات، والذي يشعرك بمدى إنسانية الإسلام، عندما يرى الكعبة المشرفة ومشهد الطائفين حولها متحابين متآلفين، كلهم أخوة، في مأمّن وسلام، وحمام الحرم تروح وتغدو آمناً كل أذى راتعات في كل جانب،" أجلت النظر في ذلك البناء المقدس فراقني مشهد الطائفين حول قبلة الإسلام، ولذني مرأى الحمام تزدحم وتقتحم وتروح وتغدو آمناً كل أذى، راتعات في كل جانب.."<sup>(١١١)</sup> ، وهذا الشعور الإسلامي الإنساني العميق جعل الزركلي يتمثله في شعره فيقول في حمام الحرم متمنياً أن يكون مثلها يعيش في آمان وسعادة بعيداً عن الظلم وعن الناس الذين يخدعون بعضهم بعضاً بالسلاح مما نشر الفوضى والحروب بينهم<sup>(١١٢)</sup>:

ألايتني حول (المقام) حمامةً يرفرف بين (المروتين) جناحي  
أروح وأغدو، حيث شاء لي الهوى طليقاً غدوي في يدي ورواحي  
أبيت قرير العين أنعم بالكرى مسائي ممسى غبطة وصباحي  
أزف فراخي هاتفاً لهاتفها وأرشفها من ماء (زمزم) راحي  
وآمن لادهري يروع بظلمه ولا أهله يغشونني بسلاح

---

(١١١) خير الدين الزركلي، مارأيت وماسمعت، ص56، تقديم وتعليق عبدالرزاق كمال، دار الشعب، القاهرة، الناشر مكتبة المعارف، الطائف.

(١١٢) الديوان، ص162

الحرية في الغدو والرواح، والمبيت والممسي في مأمنٍ وآمان، والحمام مع فراخها وهي تلهو وتلعب وغيرها مما أتى بها الشاعر، لهي ألفاظ نبيلة توحى بعمق إنساني رفيع عند الشاعر، وبضمير حي وقض دالّ دلالة قاطعة بوجود المنزع الإنساني الأصيل عنده.

وإضافة إلى النفحة الدينية السابقة لتجده يقول في تضرع وخضوع للرب سبحانه وتعالى مما يدل على نهج إسلامي قويم وتأصل إيماني متين وحرية فكرية صحيحة، في قصيدة تسييحات<sup>(١١٣)</sup>:

رَبِّ سُبْحَانَكَ مَا أَجْهَلَنِي حِينَ أَعْصِيكَ وَلَكِنْ أَنَا مَنْ؟  
ومضّةٌ في راعِدٍ أو ذرّةٌ في هبوبِ الرِّيحِ أو طَيْفٌ وَسَنٌ

ومما مضى ليس كل ما تأثرت به إنسانية الزركلي من الدين الإسلامي المبارك، بل يعد قطرة من بحر فالديوان وغيرها من كتب شاعرنا تعج بالأخلاق والفضائل الإنسانية التي انعكست من الدين الإسلامي تباعاً على شخصية الزركلي.

## المبحث الثاني: الشعر العربي

يعد الشعر العربي ثاني الروافد التي أفاد منها شاعرنا خير الدين الزركلي وأسهمت في تكوين الاتجاه الإنساني عنده، فالشعر العربي تغنى فيه شعراؤنا بالقيم الإنسانية والصفات النبيلة التي صاغتها ألسنتهم غناء عذباً تردد على ألسنتهم، ولحنأً خالداً تعلق به كل من كان له صلة بفن الكلام. ولاشك أنهم في جميع الأمم وفي مختلف العصور في طليعة المنادين والمترنمين بالإنسانية، يفوح شعرهم وأثير قولهم بعطر معانيها النبيلة، ويصدح صوتهم بقيمها السامية الرفيعة.

والشعر العربي بعامة لو نظرنا إليه بعض الشيء لوجدنا يحمل في طياته من الفضائل والأخلاق الإنسانية الشيء الكثير، لطالما تغنوا وفاخروا بها بالشعراء، ومن هذه الفضائل الإصلاح بين الناس، والدعوة إلى السلام والفضيلة، ونجدة المستغيث، والاعتزاز بالنفس، ورفض الظلم، وصون الكرامة، والوفاء والكرم. ولعل أول ما يلقانا بذلك في شعرنا العربي الشعراء الصعاليك، وكيف كانوا يحثون على الفضيلة والعطاء ومشاركة الناس ما لهم وسعادتهم، ولعل عروة بن الورد من أبرع من عبر عن هذا الإحساس النبيل في لفظة سامية عنوانها الإنسانية، بقوله<sup>(١١٤)</sup>:

أقسم جسمي في جسمٍ كثيرةٍ وأحسُّ قراحَ الماءِ والماءِ باردُ

وتجده أيضاً في إكرام الضعفاء والمساكين والمحترجين في قمة الإنسانية، لدرجة أنه سوف يترك فراشه لهذا الإنسان، وسيقوم بإكرامه على الوجه الأكمل، ولن يشغله أحدٌ عنه أياً كان<sup>(١١٥)</sup>:

فراشي فراشُ الضعيفِ والبيتُ بيتهُ ولم يلهني عنه غزالٌ مقنَعُ

أحدثه إنَّ الحديثَ من القـرى وتعلمُ نفسي أنه سوف يهجعُ

---

(١١٤) ديوان عروة بن الورد، ص 61، شرح ودراسة وتحقيق أسماء أبويكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418 هـ - 1998 م.

(١١٥) نفس الكتاب السابق، ص 83

ولو نظرنا أيضاً إلى الصعلوك الآخر السليك بن السلكة لوجدناه "يرسم لنا صورة إنسانية مؤثرة لماتلاقيه خالاته الإمامة السود من الضيم والهوان، وهو عاجز لفقره عن أن يفعل من أجلهن شيئاً حتى ليشيب رأسه مما يقاسيه نفسياً من أجلهن"<sup>(١١٦)</sup>، إذ يقول<sup>(١١٧)</sup>:

أشأب الرأس أني كل يوم أرى لي خالة وسط الرجال  
يَشُقُّ عليّ أن يَلْقَيْنَ ضيماً ويعجزُ عن تَخْلُصِهِنَّ مالي

فالسليك بن السلكة هنا يبيث لنا آلامه وأحزانه المعذبة على ما تلاقيه الإنسانية الأمة من استصغار وهوان بسبب لون بشرتهن، وهو هنا يقدم لنا لوحة إنسانية راقية تجاه هذه الفئة، محاولاً رفع الظلم ونبد العنصرية عنهن، وذلك بمشاعر مرهفة رقيقة تحمل لواء الإنسانية النبيلة.

ولهؤلاء الصعاليك من الشعر الإنساني والقيم المثلى الشيء الكثير والوافر، ولذلك رأينا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول في لامية الشنفرى<sup>(١١٨)</sup>: "علموا أولادكم لامية العرب، إنها تفتح الأشداق، وتعلم مكارم الأخلاق"<sup>(١١٩)</sup>.

ولو نظرنا إلى زهير بن أبي سلمى في هذا الاتجاه لوجدناه داعياً إلى السلم والسلام وحاضناً للصلح والوئام، وذلك عندما تغنى بهرم بن سنان، والحارث بن عوف، الذي عملا على الصلح بين قبيلتي عبس وذبيان، وتحملاً ديات القتلى في الحرب الضروس في حرب داحس والغبراء، وهذا الأمر

---

(١١٦) د.يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص230، مكتبة غريب، القاهرة.

(١١٧) ديوان السليك بن السلكة، ص89، تقديم: د.سعدى الضناوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ 1994م.

(١١٨) الشنفرى: شاعر جاهلي، وكان فارساً شجاعاً، التقى مع جماعة عانوا من الحرمان والظلم، ومنهم عروة بن الورد، والسليك بن السلكة، وتأبط شراً وغيرهم. وهؤلاء ومن كان على شاكلتهم أطلق عليهم اسم الشعراء الصعاليك. ولامية العرب هي أشهر قصائده، وهي من عيون الشعر الجاهلي.

(١١٩) صلاح الدين خليل الصفدي، الغيث السجم في شرح لامية العجم، ج 1، ص27، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1395هـ.

يعكس لنا مدى اقتناع الشاعر بأهمية ما قاما به من عمل سامٍ وموقف إنساني نبيل، عندما قال في موقفهما الإنساني<sup>(١٢٠)</sup>:

يمينا لنعم السيدان وجدتمنا على كل حال من سحيل ومبرم  
تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم  
وقد قلتما إن ندرك السلم واسعاً بمال معروف من القول نسلم  
فأصبحتما منها خير موطن بعيدن فيها من عقوق ومأثم  
عظيمين في غلّيّا معد هديتما ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم

فالشاعر في الأبيات السابقة يوضح لنا إحدى صور الإنسانية المشرقة النبيلة التي تجلت لنا واضحة من خلال موقف الرجلين، والذي تمثل في إغداق المال وبذل الجهد من أجل السلام وإصلاح ذات البين بين الإنسان وأخيه، ومما لاشك فيه " أن ما قاما به يعد موقفاً إنسانياً عظيماً، وبالتالي فمديح زهير لهما إكمال لإبراز هذا الموقف الإنساني العظيم الرائع"<sup>(١٢١)</sup>.

وزهير لم يترك الأمر سدى بحيث امتدح الرجلين اللذين دأبا على الإصلاح فقط، بل قام بوصف الحرب والتي تعتبر ضد الإنسانية ومقبرة لها، فقال في إنسانية رائعة محذراً منها:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتُم وما هو عنها بالحديث المرجم  
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً وتضري إذا ضريرتموها فتضرم  
فتعركم عرك الرحي بثفالها وتلقح كشافاً ثم تنتج فتسهم  
ثم يصور ما تأتي به من بقايا ونتائج<sup>(١٢٢)</sup>:

---

(١٢٠) الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص66-67، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1423هـ - 2002م.

(١٢١) د. عبدالله باقازي، بين معلقتي امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى، ص 88، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ط 1، 1410هـ - 1990م.

(١٢٢) شرح المعلقات السبع، ص69-70

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمرٍ عادٍ ثم ترضع فتفطم

وهناك أيضاً الحديث عن أواصر الود، وكيف أنها تتعدى الحدود القريبة إلى الحدود الجميلة التي تقرب الإنسان من أخيه الإنسان، فيصبح الخير هو العلاقة الحميمة التي تجمع ولا تفرق، ولهذا يقول الأعشى<sup>(١٢٣)</sup>:

سأوصي بصيراً إن دنوت من البلى وصاة امرئٍ قاسى الأمور وجربا  
بأن لاتبغ الود من متباعــــدٍ ولاتناً عن ذي بغضة إن تقربا  
فإن القريب من يقرب نفسه لعمر أبيك الخير لامن تنسبا

والإنسانية في شعرنا العربي ليست كل ماضى بل نجد هناك قيماً أخرى كالحلم، والعدل، والعفة، والكرم وغيرها والتي أظهرتها لنا النوازع الإنسانية، "ولاريب أنها كانت إرهاساً بالقيم التي أتى بها الإسلام، والتي لم تكن في معظمها إلا القيم ذاتها، مع إسباغ طابع ديني عليها"<sup>(١٢٤)</sup>.

ومع ظهور الدين الإسلامي القويم غزت المعاني الإنسانية والفضائل النبيلة جميعها قلوب بعض الشعراء، فكان شعرهم صوتاً للحق ونداءً للإنسانية، بدءاً بالدفاع عن هذا الدين – دين الإنسانية – دفاعاً جميلاً كما نرى عند حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة وغيرهم، ولم يبق الأمر هكذا بل كانت هذه المنافحة عن الحق والعدل والكرامة، وهامو ذا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – الذي أمدته مدرسة الإسلام بالمعاني النبيلة والأخلاق الفاضلة، فيقول<sup>(١٢٥)</sup>:

---

(١٢٣) ديوان الأعشى، ص163، شرح د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1403هـ - 1983م.

(١٢٤) د. عبدالغني أحمد زيتوني، الإنسان في الشعر الجاهلي، ص515، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ط1، 1421هـ - 2001م.

(١٢٥) ديوان الإمام علي بن أبي طالب، ص 122، شرح د. يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، ط 8، 1423هـ - 2002م.



إن المكارم أخلاقٌ مطهرةٌ فالدين أولها والعقل ثانيها  
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والفضل سادسها  
والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين باقيها

فمن الأخلاق الإنسانية الدين والعقل والحلم والعلم والجود وعمل الخير والبر والصبر وشكر  
النعم ولين الجانب.

ويقول في العزة والكرامة التي تكفل بحفظها الدين الإسلامي لجميع البشر بأبيات جميلة<sup>(١٢٦)</sup>:

إذا أضمأتك أكف الرجال كفتك القناعة شعباً ورياً  
فكن رجلاً رجله في الثرى وهامةٌ همتُهُ في الثرى  
أبياً لنائل ذي ثروة تراه لما في يديه أبياً  
فإن إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء الحيا

وما يريده الشاعر في هذه الأبيات هو التحلي بالقناعة والتجمل بالإباء، وبذل الحياة رخيصة من  
أجل حفظ الكرامة وحفظ ماء الوجه.

ويقول حسان بن ثابت - رضي الله عنه - مؤكداً على الأخوة الإنسانية، عندما يمدح عمرو  
بن الحارث وقومه وكيف أنهم تحلوا بالأخوة الإنسانية، فلم يفرقوا بين غني ولا فقير<sup>(١٢٧)</sup>:

والخالطون فقيرهم بغنيهم والمنعمون على الضعيف المرمل

ويالها من أخوة إنسانية جميلة وصفها لنا الشاعر تستحق صفة النبيل، عندما نرى الإنسان ينظر  
إلى الفقير والغني على أنهم بنفس المستوى وبنفس الطبقة.

---

(١٢٦) نفس الكتاب السابق، ص 127

(١٢٧) ديوان حسان بن ثابت، ص 36، صححه عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1401هـ، 1981م.

وأيضاً هاهو ذا عبدة بن الطيب يحث على الفضيلة والأخلاق الإنسانية وذلك بطاعة الوالدين وبرهما وترك الضغينة ومجانبة النمام، فيقول<sup>(١٢٨)</sup>:

أوصيكم بتقى الإله فإنــــه يعطي الرغائب من يشاء ويمنع  
وبر والدكم وطاعة أمــــره إن الأبر من البنين الأطوع  
ودعوا الضغينة لاتكن من شأنكم إن الضغائن للقرابة توضع  
واعصوا الذي يُزجي النمائم بينكم مُتنصحاً ذاك السمام المنقُع

فالوصية الإنسانية التي يريدتها الشاعر هي تقوى الإله الذي بيديه ملكوت السماوات والأرضين السبع، وطاعة الوالدين، ونبض الضغينة، وترك النمام فإنه كالسم المنقُع.

ولعل هذه القيمة الرفيعة في الشعر العربي وما تحمل في ثناياها من قيم إنسانية رائعة، كان تأثيرها واضحاً على صفوة شعراء العصر الحديث، فما أتيح لهم من تنوع ثقافي زاخر ماهو إلا بفضل ما تأثروا به من تراث الشعر العربي وما يحمل من إنسانية قيمة، فكانت لهم الصلة الواضحة به والعرى الوثيقة التي تربطهم معه.

وشاعرنا الزركلي من ضمن هؤلاء الشعراء، اكتسب أموراً متعددة من خلال تأثره بالشعر العربي ومن ضمن هذه الأمور الاتجاه الإنساني، فجاءت القيمة الإنسانية عنده ذات مستوى ناصع ورفيع، فالعرب باعتزازهم بلغتهم، وإجلالهم لما خلفه لهم أسلافهم في هذه اللغة من مدد عقلي غزير .. يعتبرون الأدب العربي والثقافة العربية خلال تلك العصور غذاءً حياً يجب التزود منه للحاضر والمستقبل"<sup>(١٢٩)</sup>. والحاضر المتلاطم حول الزركلي كان يتطلب عليه أن يستمد مما تركه لنا شعراء العربية من القيم الإنسانية النبيلة، والأخلاق المتينة التي تتعدى حدود الزمان والمكان.

---

(١٢٨) المفضل الضبي، ديوان المفضليات، ص297، شرح القاسم بن محمد الأنباري، عني بطبعه ونسخه كارلوس يعقوب، مطبعة الآباء، بيروت، 1920م.

(١٢٩) محمود تيمور، اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة، ص10-11، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية.

وولع الزركلي بالشعر العربي القديم وتأثره به كان من الصغر، ودأبه على ممارسته منذ القدم، فتنفس أريجها، وقال فيه فأحسن، ونظم فأجاد وتقدم، وذلك " لكثرة ما تداوله لسانه من الشعر القديم" (١٣٠)، "فنحى في شعره منحى المتقدمين من حيث الجزالة والمتانة والأسلوب"، و"حفظ الكثير لشعراء العرب الأقدمين"، "وهو لكثرة ما يحفظ من شعر المتقدمين وأقوالهم قد يدمج شيئاً من كلامهم في شعره حتى يخيل إلى الإنسان أنه تعمد الإغارة على معنى سبق إليه ولفظ أحكم حوكة غيره" (١٣١).

والزركلي كان شغوفاً ومحباً للشعر العربي، ولا عجب من ذلك وهو الأديب الشاعر الذي عرف الشعراء عن كذب وقرأ لهم، فوجدهم آية في الإجابة، فاتخذهم منهجاً وطريقاً فكان هذا التأثير واضح وجلياً عنده في الاتجاه الإنساني وغيره، وبدء ذلك لو اتجهنا إلى كتابه المرموق "الأعلام" لوجدنا أن في أغلب ترجماته لشعراء العربية بعد ذكر أسمائهم يذكر أشهر بيت أو بيتين، هي أشهر الأشعار من شعر الشاعر وأجملها، وكأن ذلك دلالة واضحة أنه يحفظ الكثير عنهم، ويرفد منهم متى ما يشاء من معين ذاكرته الواسعة، فهاهو ذا في ترجمته للشنفرى، يقول: هو صاحب "لامية العرب" التي مطلعها (١٣٢):

أقيموا بني أُمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميلُ

ويقول في ترجمة عمرو بن معدي كرب، له شعرٌ جيدٌ أشهره قصيدته التي يقول فيها (١٣٣):

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ماتستطيعُ

---

(١٣٠) د.سامي الدهان، الشعراء الأعلام في سورية، ص145، دار الأنوار، بيروت، ط2، 1986م.

(١٣١) سامي الكيالي، الأدب العربي المعاصر في سورية، ص262، دار المعارف، مصر، ط2.

(١٣٢) خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، مج 5، ص85، دار العلم للملايين، بيروت، ط8، 1989م.

(١٣٣) نفس الكتاب السابق، مج5، ص86

ويقول في ترجمته للراعي النميري، ومن بديع ما أورده " المبرد " من شعره<sup>(١٣٤)</sup>:

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ودعا فلم أر مثله مخذولا  
فتفرقت من بعد ذاك عصاهم شققاً وأصبح سيفهم مفلولا

ويقول في ترجمة يعقوب بن الربيع، من أبدع ما سمعت في الرثاء قوله<sup>(١٣٥)</sup>:

فلو أنني إذ حان وقت حمامها أحكم في أمري لشاطرتها عمري  
فحل بنا المقدار في ساعة معاً فماتت ولا أدري ومت ولا تدري

هكذا إلى غيرهم من شعراء العربية الذي كان يترجم لهم بلا انقطاع، بل وتجد اهتمامه بالشعر

يعلو على ذلك فلا يقتصر عليه، بل يورد أشعاراً قيلت في المترجم له، فتجده في ترجمته لفاتك

الرومي، يقول: ومدحه المتنبّي بقصيدته التي مطلعها<sup>(١٣٦)</sup>:

لا خيّلَ عندكْ تُهدّيها ولا مالٌ فليُسعِدِ النُّطقُ إن لم تُسعِدِ الحَالُ

ثم لما مات فاتك رثاه المتنبّي بقصيدة أولها:

لا فاتك آخرٌ في مصر نَقْصِدُهُ ولا لهُ خلفٌ في النَّاسِ كُلِّهِمْ

وإلى غيره ممن ترجم لهم أمثال: قيس بن عاصم<sup>(١٣٧)</sup>، ومطعم بن عدي<sup>(١٣٨)</sup> ..

ولعل ما يدلنا أيضاً على أنه شغوف بأمر الشعر العربي، ما نجده في كل سائحة من كتابه

"الأعلام" إذا واجهه أحد المترجم لهم من الشعراء، يقول: شاعر فحل، شاعر عصره، شاعر مطبوع،

---

(١٣٤) نفس الكتاب السابق، مج4، ص189

(١٣٥) نفس الكتاب السابق، مج8، ص198

(١٣٦) الأعلام، مج5، ص126

(١٣٧) انظر الأعلام، مج5، ص206

(١٣٨) انظر الأعلام، مج7، ص252

شاعر مجيد، شاعر عالي الطبقة، شاعر نبيل، من شعراء كذا، له مدائح في فلان.. إلخ<sup>(١٣٩)</sup>، وهذا يدلنا على أنه عرف أشعارهم وعرف مقامات شعرهم، فأطلق الحكم بلا تَوَانٍ، فكان هذا التأثير.

إضافة إلى ذلك كان الزركلي مردداً على لسانه الأشعار لهم متذكراً لمواقفهم، فهاهو ذا في أواخر وادي نعمان أو بعد منتصفه، يتذكر شعراء الجاهلية والإسلام، ويخص منهم امرؤ القيس، عندما قال<sup>(١٤٠)</sup>: " عادت لنا ذكرى العصور الأولى، أيام كانت هذه الهضاب والآكام، والبقاع والتلاع، مسرح أنظار الجاهلية والإسلام، يروحون فيها ويغدون.. على مقربةٍ من ذلك الجبل الشامخ<sup>(١٤١)</sup> تمثل لنا امرؤ القيس وقد خيره أبوه بين الشعر وتاج الملك، فأبى التاج، وانفرد بعصائب التفت حوله، يشبب ويتغزل، ويحن ويفاخر، ويذكر أحباباً له انفردوا إلى ظلال كبكب فيقول:

تبصرُ خليلي هل ترى من ظغائنٍ سِوَالِكَ نَقْباً بَيْنَ حَزْمِي شَعْبَعِب  
فريقانٍ منهم قاطعٌ بطنٍ نخليةٍ وآخرٌ منهم جازعٌ نجدَ كبكبِ

هذا الحب والشغف العميق لدى الزركلي للشعر العربي، جعل له الأثر البالغ في نفسه، فتأثر منه تأثراً عميقاً، فأصبح ينهل من معينه، ومن مائدته الفياضة، ولعل ما يوضح لنا ذلك عن قرب تشطيره لقصيدة عروة بن حزام، عندما عبر لنا بريشة شاعرٍ فنان مرهف الحس، شديد الحب لوطنه وأهله وإنسانيته، وذلك من خلال حنينه لوطنه، وتبيان كم هو غريب عندما اغترب عن موطنه<sup>(١٤٢)</sup>:

أحقاً يا حمامة بطــــن وــــجٍ رُميت من الزمان بما رُمينا  
لقد زعموك شاكية وخالوا بهذا النوح أنك تصدقينا  
غلبتك بالبكاء لأن ليلي يُمثل لي ديار العُرب هونا

(١٣٩) انظر على سبيل المثال، الأعلام، 125-124/8، 24/8، 49/4، 125/7

(١٤٠) خير الدين الزركلي، مارأيت وماسمعت، ص 69 - 70، تقديم وتعليق عبدالرزاق كمال، دار الشعب، مصر، مكتبة المعارف، الطائف.

(١٤١) يقصد جبل (كبكب) على يسار وادي نعمان.

(١٤٢) الديوان، ص 42. ذكرت قصيدة عروة بن حزام من غير تشطير في كتاب الزركلي (مارأيت وماسمعت)، ص 82

وأني إن سهرت الليل همماً أواصله وأنك تهجينا  
وأني إن بكيت بكيت حقاً مضاعاً بين أيدي مُعتدينا  
وأن دموع جفنك غير دمعي وأنك في بكائك تكذبنا  
فلمست وإن بكيت أشد شوقاً إلى أهل ولا أشجى حيننا  
ولستُ وإن كتمت وبحت أسلو ولكني أسرّ وتُعلنينا  
فنوحى يا حمامة بطن وجّ على وطن سمعت له أنينا  
وزيديه البكاء ولا تبالي فقد هيجت مشتاقاً حزينا

وشعر الحنين كما نعلم عُرف في الشعر العربي نفسه، فطبيعة الحياة العربية آنذاك تحتم على الإنسان التنقل والترحال طلباً للكأ والماء والحاجة، وبالتالي كان لا بد للشعراء تذكّر ديارهم ومواطنهم التي غادروها والبكاء على ما خلفوا من مواطن، كقول امرئ القيس<sup>(١٤٣)</sup>:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ومع تقدم الزمن تجد الحنين على أهل الديار وليس على الديار فحسب، كقول المتنبي<sup>(١٤٤)</sup>:

أحنُّ إلى أهلي وأهوى لقاءهم وأين من المشتاقٍ عنقاءٍ مُغربٍ

والزركلي تجده يحن إلى وطنه وأهله دائماً، وهذا الحنين حنين صادق مؤثر معبر عن مشاعر جياشة ذقت الغربة والذل والهوان، فأثرت على شخصيته الإنسانية ومن أشعاره الجميلة في ذلك قوله<sup>(١٤٥)</sup>:

---

(١٤٣) شرح المعلقات السبع، ص5

(١٤٤) شرح ديوان المتنبي، ج1، ص307، وضعه. عبدالرحمن البرقوقى، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة 1398هـ.

(١٤٥) الديوان، ص21

العين بعد فراقها الوطن لا ساكناً ألفت ولا سكناً  
ريانةً بالدمع ألقها أن لا تحس كرى ولا وسناً

ومن الشعراء القدامى في شعرنا العربي الذين تأثر منهم وحفظ لهم على سبيل المثال، أبي الطيب المتنبي وتلميذه في الشعر أبي العلاء المعري، فأبو الطيب المتنبي شغف به باديء ذي بديء من خلال أستاذه ومعلمه محمد كرد علي الذي كان يحب المتنبي كثيراً ويحفظ عنه أكثر شعره، ويجشع الشباب على مدارس كنوز الأجداد الأدبية، والذي ترجم له شاعرنا في الأعلام بقوله "يحفظ أكثر شعر المتنبي"<sup>(١٤٦)</sup>، فافتفى الزركلي أثر أستاذه وتمثل أسلوب المتنبي في شعره، وحفظ عنه، ولذلك تجد في بعض أبياته تشابهاً حتى يرى أنه أغار منه<sup>(١٤٧)</sup>:

إنما الشعر سلسبيل زلال كيف يدرى الزلال من مرّ فوه

وهو مأخوذ من قول المتنبي<sup>(١٤٨)</sup>:

ومن يك ذا فم مرّ مريض يجد مرّاً به الماء الزلالا

غير أن ما عرف عن خير الدين من غزارة المادة وجودة القريحة يستبعد منه أن يتعمد مثل ذلك، على أن بين المعاني التي استعمل فيها هذه الكلمات والتي استعملها غيره فيها فرق بين وخلاف جلي<sup>(١٤٩)</sup>.

وأبو الطيب المتنبي كما هو معروف له ميثاق إنساني لا يمكن تجاهله ومن الواجب ذكره، فقد احتوى شعره من القيمة الإنسانية الشيء الكثير، التي تبحث في أخلاق الناس وعواطفهم وعلاقاتهم،

---

(١٤٦) الأعلام، مج6، ص202

(١٤٧) الديوان، ص158

(١٤٨) الديوان، ج1، ص60

(١٤٩) الأدب العربي المعاصر في سورية، ص263، نقلاً عن "مجلة المجمع العلمي العربي"، مج5، ص505

فناه يركز على الأخلاق الفاضلة، وعدم الاغترار بالمظاهر، فالخلق الطيب هو رداء يتجمل به الفرد<sup>(١٥٠)</sup>:

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له إذا لم يكن في فعله والخلائق

فإذا لم تكن أفعال الفتى وأخلاقه حسنة جميلة فليس يشرف بحسن وجهه وجمال شكله.

وها هو أيضاً يصور لنا أن النفوس أصغر من التعادي والتفاني والتناحر، وكأن النفوس بطبيعتها متحاببة ومتألفة، وهذه بلاشك دعوة صريحة إلى السلام بين الإنسان وأخيه، فيقول<sup>(١٥١)</sup>:

كلما أنبت الزمان قنأه ركب المرء في القناة سنانا

ومراد النفوس أصغر من أن نتعادى فيه وأن نتفانى

ثم أردف بعد البيتين السابقين بيت يوضح لنا فيه نوع من العزة والكرامة، فيقول:

غير أن الفتى يلاقي المنايا كالحات ولا يلاقي الهوانا

إنها إنسانية إيجابية بحق، تستنكر التطاحن والتناحر والحروب، ولكنها تأبي أن يكون الاستسلام والإذعان ثمناً لسلام زائف، وإلا فالموت أجدر بالمرء من عيش الذل والهوان<sup>(١٥٢)</sup>.

ويقول المتنبي أيضاً في صاحب الفعل السيء وما يعانيه من آلام، مقدماً استنكاره لمن يقوم بذلك<sup>(١٥٣)</sup>:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهُم

وعادى محببه بقول عاداته وأصبح في ليلٍ من الشك مظلم

---

(١٥٠) ديوان المتنبي، ج3، ص62

(١٥١) ديوان المتنبي، ج4، ص371 - 372

(١٥٢) الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، ص169

(١٥٣) ديوان المتنبي، ج4، ص264



ففاعل الإنسان إن كان سيئاً، ساء ظنه بالناس لسوء ما انطوى عليه، وإذا توهم في أحد ريبة أسرع إلى تصديق ماتوهمه لما يجد من مثل ذلك في نفسه، ولسوء ظنه يعادي الذين يحبونه بوشاية أعدائه، فلا يميز صديقه من عدوه، إذ يشك في كل أحد ويصبح في أموره حائراً بسبب أنه يصدق مايتوهمه.

وأما أبو العلاء المعري فكان تأثره منه أكثر من أبي الطيب المتنبي، فالمعري يحمل جواز سفر يقدمه على غيره من الشعراء في القيمة الإنسانية، فهذا الشاعر الأعمى تخطى حجاب القرون، واخترق ببصيرته العقبات التي تواجه الإنسان وتخط من قدره، فسعى جاهداً لتوفير سبل السعادة والخير للإنسان، ولا عجب وهو القائل والتي أعدها قمة الإنسانية<sup>(١٥٤)</sup>:

ولو أئى حُببْتُ الخُلْدَ فرداً لما أَحْبَبْتُ بالخُلْدِ انفراداً  
فلا هَطَلْتُ عليّ ولا بأرضي سَحائبُ ليسَ تنتظُمُ البلاد

وأبو العلاء كان إنساني المشاعر، عالمي التفكير في شعره الإنساني، أعمل فكره جاهداً لتوضيح سبل السعادة الإنسانية، وتمنى الخير الذي يعم جميع أطراف المجتمع الإنساني. فها هو رقيق النفس، هيناً ليناً يتسامح عن المسيء، فالمخطيء لا يعبا به، والظالم يتجاوز عنه، كل ذلك من أجل حبه للإنسانية، فتجده يقول<sup>(١٥٥)</sup>:

إذا كَسَرَ العَبْدُ الإِنَاءَ فَعَدَّهُ أذاهُ له إنَّ الإِنَاءَ إلى كَسْرِ  
رقيقك أسرى في يديك فلا تكن غليظاً عليهم واتق الله في الأسر

فالعبد الإنسان الذي يمنح كل حياته لسيدته، الأحرى بسيدته أن يتجاوز عنه، ويغفر زلاته، ويقابله بالإحسان، ولا يغضب منه بمجرد كسر الإناء، فالإناء ماله الكسر حيناً أو بعد حين، وهذا الرقيق جعله الله أمانة في عنقك وفي ذمتك، فاتق الله فيه ولا تؤذّه، وراع مشاعره وأحاسيسه. وهو يرى

---

(١٥٤) أبو العلاء المعري، سقط الزند، ص198، دار صادر، بيروت، 1376هـ - 1957م.

(١٥٥) أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج 1، فصل الرءاء، ص 379، تحقيق أمين عبدالعزيز الخانجي، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، ومكتبة الخانجي، القاهرة.

أيضاً أن الإحسان يجب أن يمتد إلى الإنسان الفقير وليس إلى الإنسان الرقيق فحسب، حتى وإن كان هذا الفقير لاقاك بالنكران والجحود<sup>(١٥٦)</sup>:

وما تُريك مرائي العين صادقَةً فاجعل لنفسك مرآةً من الفكرِ  
من حاولَ الخزمَ في إسداءِ عارفةٍ فليلقها عند أهلِ الحاجةِ الشُّكرِ  
ومن بغى الأجر محضاً فلينادلها بئراً فقيراً وإن لقاها بالنكـرِ

فالمعري يدعو إلى أن يخضع الإنسان لعقله وفكره كأول لوحة إنسانية إرشادية، وبعدها يدعو إلى أن من يريد أن يسدي معروفاً على إنسان فليسدله على المستحق الذي يقابل الإحسان بالشكر والعرفان، ومن ثم يزيد بعاطفة نبيلة على الفقير على أن من يريد الأجر الخالص النقي من الشوائب، فهو منح يد العون للفقير المسكين، وإن قابله بالنكران والجحود، مادام الخير من الأجر الخير فلا ضير في ذلك.

ونزعة الخير في المعري متأصلة فهو يرى أن الخير ليس في الصوم والصلاة وغيرها، وإنما هو ترك الشر ونفض الصدر من الغل والحسد والكره للإنسان الآخر، مقدماً نزعة إنسانية أصيلة، فتجده يقول<sup>(١٥٧)</sup>:

ما الخَيْرُ صوم يصوم الصائمون له ولا صلاة ولا صوفٌ على الجسد  
وإنما هو تركُ الشر مطـرحاً ونفضك الصدر من غلٍ ومن حسدٍ

فالشاعر يقدم لنا إنسانية رائعة ناصعة بالجمال، وهذه الإنسانية تكمن في أن الخير يجب أن يكون في تجنب الشر، ونفض الصدر من شرار النفس من حقد وحسد تجاه الإنسان الآخر، فبالخير تسود الحياة مصحوبة بجمالها الحقيقي.

---

(١٥٦) نفس الكتاب السابق، ج1، باب الزاء، ص388

(١٥٧) اللزوميات، ج1، ص272

وإن خرجنا من نفق إنساني فيه الرحمة والتسامح والخير عند أبي العلاء المعري، فإننا نلج داخل نفق آخر فيه من الإنسانية الشيء الكثير، فنجده يريد ما لا يراه، ويرى ما لا يريد، فيأبى الجهل والفساد والشر والنميمة والبخل ودروب النفاق، ويحث على التنشئة الحسنة الصالحة، والدعوة إلى حسن الجوار والكرم والتواضع والوفاء، ولذلك تجده يقول في النفاق الذي يأباه ويمقتة<sup>(١٥٨)</sup>:

أمسى النفاقُ دروعاً يُستجَنُّ بها من الأذى ويقوي سردها الحلفُ  
تُرجى الحياةُ إذا كانت مودعةً وقل خيرُ حياةٍ حشوها كلفُ

وتجده يقول مطالباً الإنسان بتفحص كل ما يلقي إليه، وتحري الصدق في جميع الأحوال<sup>(١٥٩)</sup>:

عليك بالصدق فلاحظ لي في كذبٍ ينظّمه الساردُ  
من يُدِنُ للشاكلةِ أثوابهُ يصبه منها غصن هاردُ

وتجده حاثاً على الحلم، فيقول:

فاحلم عن الجاهل مستكبراً فالعين إن تلقى الكرى تحلم

فعلى الإنسان أن يتجنب كل دواعي الأمور التي تخدش وتحط من قيمة الإنسان، وهذا أساس فلسفة المعري في شعره، عندما قدم لنا مائدة إنسانية لا تستوعبها الكلمات ولا تكفيها العبارات، لجمالها وفائدتها العظيمة.

وتأثر الزركلي بهذا الشاعر الكبير تأثراً واضحاً، فأول ما يبرز لنا من ذلك أبياته التي رسم لنا منها أخلاق المجتمع الفاسدة الذي أصبح الناس من أجلها في ضياع داجٍ فالكل مشغول بالمنصب والتاج<sup>(١٦٠)</sup>:

---

(١٥٨) اللزوميات، ج2، ص104

(١٥٩) اللزوميات، ج1، ص254، السارد: الموجود في كلامه. الهارد: الخارق الممزق.

(١٦٠) الديوان، ص156

أَيَّةُ نَفْسٍ مِنْ أَسَى نَاجِيهِ وَالنَّاسُ فِي حَالِكَةٍ دَاجِيهِ  
هَذَا يُنَادِي: مَنْصِبِي مَنْصِبِي وَذَلِكَ: تَاجِي - وَيَحْكُمُ تَاجِيهِ  
وَإِنَّمَا الْفَوْزُ لِشَعْبٍ صَحَا وَالْحُسْرُ حَظُّ الْأُمَّةِ السَّاجِيهِ

يقول الدكتور سامي الدهان في ذلك " ولعله تأثر في هذه الأوصاف الاجتماعية بشعر أبي العلاء، وكأن الأيام لم تتبدل والناس هم هم " (١٦١)، لذلك نرى أن الزركلي تأثر بالمعري من خلال ماسبق، وذلك من حيث النظرة حول الإنسان وجشعه وحبه لمطامع الدنيا، وتركه أمور من الأولى الاهتمام بها، وبالإضافة إلى ذلك نجد أن شاعرنا الزركلي ونظراً لمقدرته الشعرية ولتمكّنه من اللغة، نهج منهج المعري في لزوم ما لا يلزم، وذلك في لوازم القافية، فالترم في القافية أربعة أحرف، هي ( الألف، والجيم، والياء، والهاء )، وهذا الأمر لم يقتصر على ما سبق بل لحق بعض أشعاره، كقوله (١٦٢):

يا زاهي الروض خفف من عُجْبِكَ الْمُتَنَاهِي  
سَرَقْتَ وَرَدَكَ مِنْ خَدِّهَا وَجِئْتَ تُبَاهِي !

بل وتجده ينظم بعض قصائده على طريقة أبي العلاء المعري، فيأتينا بقصيدة عمران، والتي يقول فيها (١٦٣):

دَعَوْتُ عِمْرَانَ عِبْقَرِيًّا وَلَيْسَ فِي النَّاسِ عِبْقَرِيٌّ  
وَإِنَّمَا النَّاسُ لِلتَّرْوِيِ ظُمَأَى وَمَا إِنْ هُنَاكَ رِيٌّ  
وَقِيلَ عَمْرُو سَرِيٍّ قَوْمٌ هِيهَاتَ مَا فِي الْوَرَى سَرِيٌّ  
مَا فِي الْوَرَى بِالْهَدَى حَرِيٌّ وَكُلُّهُمْ بِالرَدَى حَرِيٌّ

---

(١٦١) الشعراء الأعلام في سورية، ص 166

(١٦٢) الديوان ص 158

(١٦٣) الديوان، ص 317

وإضافة إلى ما سبق يقوم الزركلي بتهديب أشعاره وتنقيحها وتهديبها، تأثراً بمن سبقه من الشعراء القدامى كزهير بن أبي سلمى، التي كانت له قصائد تسمى "بالحوليات" وذلك لحرصه على نظمها وتهديبها وتنقيحها وعرضها عاماً كاملاً حتى يحول عليها الحول من شدة العناية بها، والزركلي كما نعتقد أنه كذلك، يقول الأستاذ سليم الجندي "لخير الدين جولة في الشعر يقصر عن لحاقه كثير ممن عني بالشعر وجعله شغله الشاغل، وله عناية بتنقيحة شعره وتهديبه، وربما نظم خمسين بيتاً ثم عاد عليها بالتمحيص والاختيار حتى أبقى منها عشرين أو مادون ذلك فيأتي شعره وقد خلص من الركافة والوهن، وسلم من التكلف الممل" <sup>(١٦٤)</sup>، وكذلك تجده في أسلوبه قريباً من زهير ابن أبي سلمى فهو يتحدث بلغة سهلة بسيطة لا تعقيد فيها، بعيداً عن المعازلة واللف والدوران <sup>(١٦٥)</sup>.

كما أن الزركلي ارتبط بالشعر الأندلسي، واقتفى أثر شعرائه في نظم فنون الموشحات، كما أنه عارض بعض قصائد شعرائها كالحصري الكفيف، وبالتحديد في قصيدته (ياليل الصب متى غده) <sup>(١٦٦)</sup>:

بِقُوَادِي جُرْحُ تَعَهْدُهُ      ما غيرُ وصالِكَ يَضْمُدُهُ

خلاصة القول نجد أن شاعرنا الزركلي أحب الشعر العربي القديم وتأثر به كثيراً كما ذكرته لنا المصادر العربية التي تناولت شاعرنا، بالإضافة إلى تمثل ذلك في إنتاجه، وهذا التأثير تجاه الشعر العربي جعله يهتم بشعراء كانت الإنسانية عندهم بالغة الظهور والبيان، فأصبح ما عندهم مرآة تنعكس في شعره، حتى أصبحت أشعارهم رافداً يرفد منه متى ما يشاء، حتى أننا رأينا بأم أعيننا كيف أهتم بأنه أغار على بعض أبياتهم، وذلك نتيجة للاهتمام بأشعارهم الجميلة النبيلة، وحفظها وذكرها متى ما يشاء.

(١٦٤) الأدب العربي المعاصر في سورية، ص 263، نقلاً عن "مجلة المجمع العلمي العربي"، مج 5، ص 505

(١٦٥) غسان كلاس، صفحات من أدب ميسلون، ص 91، تقديم د. إحسان الهندي، دار حازم للطباعة والنشر، دمشق، ط 1، 2001م.

(١٦٦) الديوان، ص 67

## المبحث الثالث: الصحافة

وإذا كان الدين الإسلامي والشعر العربي قد قاما بقسط كبير في التأثير على الزركلي وتنمية شعوره الإنساني الداخلي وتغذية فكره وإمداده بالوعي العلمي والديني والثقافي، فإن الصحافة لها الفضل كذلك في تكوين الاتجاه الإنساني عند الزركلي، فهي من الأمور التي أدت دوراً خطيراً في ذلك العصر، وقامت بتأثير عميق في شخصية الزركلي سواء أكان هذا التأثير على المستوى الثقافي المعرفي أم الاجتماعي أم السياسي .. إلخ، والسبب في ذلك تعدد ميادين الصحافة ما بين أجزاء متعددة ومناهل مختلفة، فالصحافة " مرآة تنعكس فيها أفكار أرباب الدين والشرع والسياف والسياسة والعلم والأدب بمظهر حسن ترتاح إليه القلوب وتهتدي بنبراسه عقول الكتاب" (١٦٧)، وكذلك تجد فيها "المعارف المبسطة، والآراء الجيدة، والأفكار المتحررة، والتوجيهات الثقافية، والآثار الفنية على أوسع نطاق .. ولتجد أن كثيراً من رجال الفكر والأدب كانت ينابيعهم فيما اكتسوا من علم ومعرفة هي الصحف والمجلات .." (١٦٨).

والصحافة كذلك هي حاملة كل صغيرة وكبيرة في سفينة هذه الحياة المعبأة بالمتاعب والمصاعب التي يعاني منها أبناء المجتمع والأمة، وهي في الحقيقة لسان حال الكل، "وشكيمه جماع كل ظالم غاشم، ومطلق عنان كل مظلوم عادم، وعصا تأديب كل أمرٍ عسوف، ومأمور بسوء الإدارة موصوف .. وهي رائد الوطن ودليله، وحاديه، ورسوله" (١٦٩)، وهي كما يقول سليم النقاش صاحب جريدة (العصر الجديد): "المرشد الحر الأمين في خدمة الإنسانية" (١٧٠)، وهي "مطلق خدمة الإنسانية من حيث تهذيب للأخلاق وتأليف للأفكار وترك النقائص واحترام الكماليات والمحافظة على العدالة

---

(١٦٧) الفيكونت فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، مج1، ص9، دار صادر، بيروت.

(١٦٨) محمود تيمور، اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة، ص32، مكتبة الآداب، الجماميز.

(١٦٩) نفس الكتاب السابق، ص15

(١٧٠) نفس الكتاب السابق، ص15

والمحامة عن الحقوق إلى غير ذلك من الوظائف العمومية الجليلة .." (١٧١)، وكذلك "وضعت لتعرف الإنسان ماله وما عليه من الواجبات" (١٧٢)، وأيضاً "وجدت لتهديب الشعب ومساعدته في حياته الاجتماعية والعمرائية.." (١٧٣)، لذلك كانت الصحافة وسيلة ناجحة للتطوير والتوجيه والتثقيف لدى الزركلي.

ومعايشة الزركلي للصحافة كانت منذ أن بزغ شبابه في عام 1912م فبعث ونمت فيه أمور كثيرة، جعلته في مقدمة شباب جيله الذي اتجه حول الإنسان وبات يعاني ما يعانيه أبناء الشعب من ظلم واستبداد وفاقه وجهل، ويحس بما يلقاه المواطن الضعيف الذي تسبب فيه ضنكه أيادي البطش والجرم، وأخذ يعاني ما عصف القدر بوطنه وما أحل الزمان بنوائبه في وسط أترته من المستعمر الغاشم، فبعث ينابيع الشعور الإنساني النبيل، من رحمة وأسى بمواطني الشعب، ومن بحث عن الحرية التي فقدت هويتها، ومن ما يقاسيه الإنسان الذي تغرب عن وطنه، ومن يقضه للقومية الوطنية الخالصة التي من خلالها يرتسم طريق الحق والخلاص وسبيل الإصلاح، ومما لا مجال لنكرانه " أن الصحافة كان لها أثر كبير في تنبيه الشعور القومي وبعث اليقضة الفكرية والسياسية والاجتماعية في الشرق العربي، كما كان لها أثر عميق في اللغة والأدب بشكل خاص، فهي ساعدت على بعث الحرية، كما نددت بسياسة الغاصبين والحاكمين وأبانت شجع المستعمرين، وأوقدت في النفوس الثورة والحماسة" (١٧٤) ولعل " أبرز ملامح الحياة الصحفية في سورية خلال تاريخها الحافل أن الصحافة فيها كانت مواكبة لنضال الوطن العاثر، ومرآة لحياة الشعب المصطخبة، ولهذا كانت أيضاً كالشهب في سماء الوطن لاتكاد تظهر حتى تغيب" (١٧٥).

---

(١٧١) تاريخ الصحافة العربية، ص16

(١٧٢) نفس الكتاب السابق، ص16

(١٧٣) نفس الكتاب السابق، ص19

(١٧٤) د.جودة الركابي، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، ص277، دار الفكر، دمشق، ط2، 1996م.

(١٧٥) د.عمر الدقاق، فنون الأدب المعاصر في سورية، ص18، دار الشرق العربي، بيروت.

وارتباط الزركلي بالصحافة لم يقتصر على صحيفة واحدة بل على عدة صحف كانت ذات أثر بالغ على شخصيته الإنسانية ونفسيته الأبية ويقظته الفكرية وشعوره النبيل، فكانت تاريخاً حافلاً أفاد منها جيداً بداية من أول صحيفة أصدرها وهي صحيفة (الأصمعي) الأسبوعية في عام 1912م، الذي أراد أن ينشر فيها ذوب تفكيره وخلاصة أدبه، وأن ييثر الروح القومية، وأن يحث على العروبة..<sup>(١٧٦)</sup> وما لبثت أن صدرت من قبل الحكومة العثمانية؛ وذلك لأسباب أثارت حفيظة المعينين في الحكومة العثمانية بسبب نشرها صورة (المأمون) الخليفة العربي العباسي بين أذنتها، ومن ثم صحيفة (لسان العرب) عام 1918م بعد الحرب العالمية الأولى التي استمرت ثلاثة أشهر ثم أقفلت، وصحيفة (الميزان) بعد الحرب العالمية الأولى أيضاً مع محمد البزم وشفيق جبري وغيرهم، وتلاها صحيفة (المفيد) التي استمرت إلى دخول الفرنسيين دمشق سنة 1920م، وبعدها صحيفة (الحياة) اليومية 1931م التي عطلت من قبل السلطات الإنكليزية، وعلى إثرها شارك بعدها في تحرير صحيفة (الدفاع) سنة 1934م مع إبراهيم طوقان وسامي سراج وغيرهم.

ولعل المواقف العدائية والتميز والعنصرية الذي بذرتة الحكومة التركية في التفرقة بين العنصر العربي والتركي، بتحية كل ما هو تركي ومحاذرة كل ما هو عربي، وخلق حساسية بين العربي والتركي بالتفضيل والتقدم، وذلك بمصادرة الصحيفة من أجل نشر صورة لزعيم عربي سابق أوفي نطاق أشمل من ذلك، جعل ذلك دافعاً للشاعر لتأكيد هويته العربية؛ وذلك بالافتخار بالعروبة والاعتزاز بالوطنية العربية، والحنين الشديد للقيادات العربية النموذجية، والإشادة بالقيادات العربية المعاصرة، وإظهار مدى حبه العميق للوطن برفض كل ما يمت بذلك من عوامل خارجية.

وفي المقابل ربما كان ذلك دافعاً إلى المضي قدماً إلى دعوة الشاعر الصادقة إلى نبذ التفرقة والعنصرية بين الإنسان وأخيه الإنسان، بدوافع وأهداف معادية للإنسان لأغراض خارجة عن التصور الإنساني الصحيح.



كما أن من المواقف المؤثرة التي تدلنا على تأثير الصحافة في نفس شاعرنا مما أفاد في اتجاهه الإنساني (قصة غريق بيروت) التي نشرت في صحيفة (المقتبس) بدمشق عام 1917م، والتي اطلع عليها الزركلي ورأى أن شخصاً نزل إلى المرفأ وألقى بنفسه إلى البحر فإذا هو ميت، وبعد التحقيق تبين أن هذا الشخص ذو أسرة مؤلفة من ثمانية أشخاص عجز عن إعاشتهم فألقى بنفسه تخلصاً من هذه الحياة الضنكة. <sup>(١٧٧)</sup> فبعثت هذه القصة حزناً شديداً في نفسه فنظم لنا من أجمل القصائد الإنسانية الخالدة التي عنون لها بغيريق بيروت في سفر ديوانه، والتي سوف نتطرق لها بإذن الله في الباب القادم. وغير تلك القصة المؤلمة نجد هناك مانشر في صحيفة (الحياة) عام 1966م من شكوك حول سياسة الكونت بونادوت الوسيط الدولي بالقدس، فآثار ذلك في نفس الزركلي وقعاً فهاجت عبقرته بقصيدة فيها من الإنسانية الشيء الكثير، الذي يقول فيها <sup>(١٧٨)</sup>:

رسول السلم هل ناصرت حقاً بريك أوسعيت إلى سلام

تساءل كل من لاقاك منا : أأنت رسول سلمٍ أم خصام

وبالإضافة إلى تأثر الزركلي مما قرأ من قصص مؤلمة ونفثات حزينة مما ينشر في أسفار الصحف، لاغرو أن يتأثر كذلك بالأشعار والآهات الوطنية التي يطلقها الكتاب والشعراء والتي تعتبر الحميرة الوطنية التي خمرتها النفوس وهيأتها للنهضة الوطنية سواء كانت تلك النفثات إصلاحية في المجتمع أم ثورية على السياسيين الغاصبين إلى آخرها، فثقافة الصحف الشامية كانت تحض على الوحدة والوطنية والحب والتآلف والسلم والسلام وغيرها من المناشد الطيبة والفضائل الخيرة، فصحيفة (نفير الشام) لو نظرنا إليها بعض الشيء لوجدناها " تنشر على صفحاتها رسائل وطنية تحض على الوحدة وتعمل لها بين السكان على اختلاف مذاهبهم الدينية والسياسية، وكان في أعدادها نفيراً يدعو إلى الوئام وتقويد بين المواطنين المحبة والسلام" <sup>(١٧٩)</sup> ولنأخذ فقرة واحد من هذه الصحيفة من مائدة بطرس

---

(١٧٧) الديوان، ص 193 - 194

(١٧٨) الديوان، ص 282

(١٧٩) د. إبراهيم عبده، أعلام الصحافة العربية، ص 46، مكتبة الآداب، الجماميز، ط 2.

البستاني لتدلنا على مدى ميل الصحف الشامية حول الاتجاه الإنساني، فيقول: يا أبناء الوطن! إن الفضائع والمنكرات التي ارتكبتها أشقياؤنا هذه السنة كسرت القلوب وأسالت الدموع وعكرت صفاء الألفة وأضاعت حق الحوار، أما تمايح الجاران؟ أما شربتم ماء واحد؟ أما تنشقتم هواء واحداً؟ أما رأيتم العقلاء ساعين في تشييد أركان الألفة ورفع منار العلم رغبة منهم في ارتقاء البلاد وسعادة العباد؟ اعلّموا أنكم بعملكم المنكر قد أرجعتم الوطن إلى الوراء نصف قرن .. هداانا الله وإياكم إلى سواء السبيل" (١٨٠).

وإمضاء الزركلي في دولة الصحافة جعله يرتبط بكتاب عظام " حرروا العقول من الخنوع والضعف والخرافات وحببوا لها العلم الصحيح وأبانوا فضل الثقافة، وعلّموا النفوس الجرأة والحرية والمطالبة بالحياة الشريفة" (١٨١) وعلى سبيل المثال أستاذة محمد كرد علي الذي " كان إماماً في الصحافة، ووجه في التحقيق، وعلماً في الكتابة والتأليف، وزعيماً من زعماء القلم والفكر في الوطن العربي، الذي أسس العديد من الصحف ونشر فيها العديد من البحوث العلمية والأدبية والتاريخية" (١٨٢)، وبالإضافة إلى ذلك نجد أن الصحافة أوقدت فيه حرية الفكر وساعدته على إيصال رسالته الإنسانية، فالفكر أئمن شيء عند الإنسان وهو الطريق الموصل إلى كرامته وإنسانيته، والتخلي عنه مماثل للتخلي عن الحياة نفسها، ولا ضمير أن يدفع الإنسان ثمناً لهذه الأمانة الإلهية، إذ من دونه يتحول إلى حيوان أبكم لا يراد أن يفهم عن الوجود شيئاً أو يقف مما يجري فيه أي موقف، وتلك هي المأساة الإنسانية بحد ذاتها، والزركلي دفع نفسه ثمناً لتلك الحرية فكان جندياً من جنود الفكر الحر، الذي خدم وطنه وكافح عن مواطني الشعب بحرية الفكر والشعب ونزاهة الضمير من أجل تحرير النفس الإنسانية من الاستبداد والخرافات ومشاركة الإنسان قضايا وآماله.

---

(١٨٠) تاريخ الصحافة العربية، مج1، ص64

(١٨١) الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، ص277

(١٨٢) عبدالغني العطري، عبقریات شامية، ص12-14، مطبعة الهندي، دمشق، ط1، 1986م.

وأخيراً نجد أن الزركلي من خلال التحاقه بالصحافة، اطلع على أنواع متعددة وكتابات إصلاحية رفيعة وقصص إنسانية مثيرة ومواقف عنصرية مختلفة، كانت مدعاة لبعث الشعور الإنساني بداخله، كما أنعشت لديه اليقظة والروح الوطنية وذلك من خلال إطلاعه على الأشعار والآهات الوطنية الثورية من الكتاب والشعراء، وفي المقابل ساعدته على إيصال رسالته الشعرية، كما قامت وأوقدت بداخله حرية الفكر وحرية الإنسان والوطن، وجعلت هدفاً يرمي إليه في كل حين.

## المبحث الرابع: العمل السياسي

الارتباط بالسياسة من الأمور المضنية والمهمة، فهي بقدر ماتأخذ من الفرد تعطيه وتمكنه من الكثير من الأمور، وتجعل نظرتة صائبة ومحنكة إلى حد ما في شؤون الحياة خاصة أم عامة، وتبصر له زوايا غفل عنها الكثير من الناس، وتبصره في شؤون الإنسانية أكثر فأكثر، وتجعل منه إنساناً يحمل همّاً كبيراً تجاه ما يعمله ويقوم به، والزركلي بارتباطه بالسياسة نجده كذلك، فهو عاش في فترة من أحفل الفترات وأثقلها بالأحداث السياسية، ففي خلالها تهاوت أنظمة ودالت حكومات وانتعشت انتفاضات ونشبت ثورات، وقامت حروب ونزاعات، ومن الجدير أن تجعل هذه الأمواج منه إنسان آخر غير الإنسان العادي الذي لايهتم بالسياسة ولا يعلم بشؤونها، فالسياسة لها خصوصيتها كما صنعت للزركلي خصوصية أخرى ساعدته على تكوين الاتجاه الإنساني في داخله وفي إحساسه وتصرفاته تجاه ما يدور ويلف حوله، فأصبح سياسياً محنكاً من الدرجة الأولى حتى أدرك<sup>(١٨٣)</sup>:

إن السياسة لاتلين لغافلٍ لم يستعد لهولها استعداداً

كما يقول أحد الباحثين في معرض حديثه عند شرحه أحد أبيات الزركلي في الملك عبدالعزيز مما يدل على أن شاعرنا كان سياسياً خبيراً ( ويلوح لي أن الشاعر توصل إلى هذا المعنى من طول ممارسته للسياسة فاستطاع أن يدرك دسائسها الخفية ومقابلها الجليلة )<sup>(١٨٤)</sup>.

وللحق أن ارتباط الزركلي بالسياسة جعله يفهم الحياة فهماً دقيقاً من خلال تجربته وفكره العميق، فانخرط في هذه التجربة والمعاناة إلى أبعد مدى حتى وقف فيها إلى العناصر الجوهرية الكامنة التي من شأنها كان الاتجاه الإنساني عنده، لذلك أصبح دائم الحضور والمشاركة في أمور مختلفة ومواقف إنسانية جليلة، في تكوين وظهور الاتجاه الإنساني عنده.

---

(١٨٣) الديوان، ص 308

(١٨٤) مارأيت وماسمعت، ص15

وها هو يقول عنها مما يدلنا على معرفته العميقة بها، واصفاً إياها بأن أهلها لا ينصفون ولا يسعفون الإنسان، واللغة التي يتحدث بها أصحابها مختلفة كل الاختلاف، ومعرفتها الظاهرية مختلفة كذلك عن داخليتها، بحيث لا تدرك العين ألعيبها، ولا يحسن السمع ماترفه<sup>(١٨٥)</sup>:

وللسياسات أحييلها لا منصف فيها ولا مسعف  
لغاتها غير لغى ناسنا وعرفها غير الذي يُعرفُ  
يدور من حلقٍ في جوفها في فلكٍ أنجمه رجف  
لا تدرك العين الأعيبها ولا يحسُّ السمع ماترفُ

كما يرى أنها سبب رئيسي في ضياع الحريات وفقدان هويتها، وهي من الأمور التي جابجها الزركلي، ورأى أن الحياة بها غير جميلة، وأنها من الأمور البائسة التي يضيع فيها حق الضعيف والملهوف، والحر والمسكين، ويسجن فيها الحر الأمين<sup>(١٨٦)</sup>:

الختلُ في عُرف السياسة حكمة من كان يحسنه فذاك لبيقها  
والحرُّ في حكم السياسةِ عُرْضةٌ عِبدانهم فلكل ناسٍ سوقها

فالخداع في عرف السياسة حكمة وهدف، والحر عرضة لكل شيء ظلم واضطهاد واستبداد وكل شيء متوقع، وأهلها لهم نظام سيء إن واعدوا أخلفوا ميعادهم، وإن عاهدوا لم يفوا بالعهود، والعدل مفقود في تواجد الظلم<sup>(١٨٧)</sup>:

وأهلها إن واعدوا أخلفوا ميعادهم أو عاهدوا لم يفوا  
الظلم فيها العدل في غيرها والمقسطُ المؤتمن الجحْفُ  
والمستعادُ القولُ مملوئُهُ والأحكمُ المستلهمُ الأسخْفُ

---

(١٨٥) الديوان، ص 334

(١٨٦) الديوان، ص 236

(١٨٧) الديوان، ص 334

كما أن السياسة أضلت طالب الحق عن حقه، وكبلته من الصفات الإنسانية أسوأها وأقبحها،  
وقادته للشر لا للأمر الخيرة<sup>(١٨٨)</sup>:

ويح السياسة في قلبها ! يسلو الحليم بما تجلده  
جنت السياسة وهي خالبة فأضلت الظمان مورده  
قادته باسم الدين مورية للشر لا للخير أزندة  
نادت مغررة مثلثه ودعت منفرة مؤحده

وتفهم الحياة تفهماً حقيقياً جعل الشاعر يمتلك نظرة سياسية صائبة إلى حد ما، أعادت عليه  
بالغربة النفسية والمكانية من جهة، وبذرت فيه الدعوة الصادقة إلى الدعوة إلى السلام والإخاء،  
وأحاكت فيه أموراً غير ذلك، خشية ما سيحدث في المستقبل من حروب وهلاك سيلحق بالإنسان  
من بعض السياسات الخاطئة التي يرتكبها الساسة تبعاً للمصلحة والهوى، لذا نرى الشاعر يؤكد أن  
مستقبل الناس في أيدي زعامته، فإن هي سلكت المسار الصحيح واعتدلت كان ما وراءها من ناس  
في ذات الطريق<sup>(١٨٩)</sup>:

مُستقبل القوم في أيدي زعامته فإن هي اعتدلت فالقوم مُعتدل

ومما يدل على نظرته السياسية وحنكته تجاه الأمور التي تتعلق بالسياسة مثل إدارة أمور الحروب  
وما يتعلق بذلك، نجده يقول عندما كانت المعركة على أشدها في الحرب العالمية الثانية بين الإنكليز  
والألمان وكان قائد الألمان رومل (ذئب الصحراء) يكفر ويفر<sup>(١٩٠)</sup>:

من كان يحسب ما يلي خطواته قهر الذي يخطو بغير حساب

---

(١٨٨) الديوان، ص 33

(١٨٩) الديوان، ص 344

(١٩٠) الديوان، ص 183

ولعل السبب الحقيقي الذي جعل الزركلي يرتبط بالسياسة من أوسع أبوابها هو ما كان يعاني وطنه والإنسان من تقهقر وتفارقة وعنصرية وظلم واستبداد سواءً أكان ذلك على المستوى السياسي الداخلي وما اقترفته الحكومة التركية من فساد وظلم واستبداد وعنصرية ومن قمع للحرية تجاه أبناء الشعب من قبل وبعد إعلان الدستور " فالدستور لم يكن إلا سراباً كاذباً من حيث ظنوه ماء زلالاً، فسرعان ماتكشفت أنياب الغلاة من الأتراك .. فإذا هم يكيدون لهم ويجورون عليهم، ويدأبون في امتصاص قوميتهم، وإذابة شخصيتهم ومحق لغتهم" <sup>(١٩١)</sup> ، وازداد الأمر سوءاً عندما قامت الحرب العالمية الأولى عندما تسلط جمال باشا على أحرار الشام الذي ساق إليهم التهم ونصب لهم المشانق وحفر لهم القبور، لذلك ظهرت على لسان الزركلي أمواج هائجة تجاه سياسة الأتراك في أراضي الوطن وما خلفوه من ظلم وفساد واضطهاد، وحسبنا أن نذكر من ذلك أبياته الجميلة التي قالها وشعلة الحرب لم تنزل في عام 1918م، والحالة سيئة للغاية<sup>(١٩٢)</sup>:

عتا أحفاد جنكيز فساقوا سلائل يعرب سوق العبيد

فكم قتلوا من الأخيار صبراً وكم ساموا المهانة من عميد

وكم حملوا على الأعواد ظلماً وكم سقوا المنية من شهيد

وهذه الأمواج الهائجة لم تكن على مرآيء الأتراك فحسب بل كانت على شواطئ الزعماء العرب أيضاً، الذين تحبطوا بسياسة الوطن حتى أوصلوه إلى درجة الضعف، فامتهنت كرامة الإنسان، وسجنت حرته، وشرد إلى أفاق بعيدة، وفي ليلة ميسلون المشهورة يقول، وقلبه يحمل من الهم الوطني مبلغه:

أنا لا أشكو وني في أمتي وبقومي كان إدلال الفخور !

إنما توشك أن تبكي غفلة القادة فينا والصدور !

---

(١٩١) د. عمر الدقاق، فنون الأدب المعاصر في سورية، ص 10، دار الشرق العربي، بيروت.

(١٩٢) هذه الأبيات لم تذكر في الديوان، وإنما وجدتها في كتاب الشعراء الأعلام في سورية، سامي الدهان، ص 152، دار

الأنوار، بيروت - لبنان، ط2، 1968م.

رحمك اللهم ربي ورافتك، بأمة أسلمت زمامها المقادير إلى زعماء خبطوا بها خبط عشواء، وقادة كانوا حطاب ليل، ونذر ويل، تقحموا بها مجاهل الأمور على غير هدى، تسيرهم الأهواء والنزعات، وتلعب بهم الأغراض والنزغات، طالب منصب، وعابد درهم، وعاشق تاج ! لايبالون من أية الطرق كان لهم ماينتغون، أويكون؟<sup>(١٩٣)</sup>.

وذلك كله على المستوى السياسي الداخلي، وأما على المستوى السياسي الخارجي حينما استعمر الجيش الفرنسي سوريا أرض الوطن وما أحدثه من قتل وتشريد وفوضى عمت البلاد فلم تبق ولم تذر، لذلك توقد قلبه أسى مما لقيه من مظالم الاحتلال في سوريا، فأثارت روح شاعريته الفذة، "وأخذ الناس يتلقفون هذه القصائد سرّاً، وسرعان ما يستظهرها الشباب والشيوخ، ويرددونها في مجتمعاتهم الخاصة كنفثة من نفثات شاعر حر، نزع عن وطنه في أقسى الظروف، وحكم عليه بالإعدام بعد أن احتل الإفرنسي بلاده، وكانت نفثاته الحرة تعبيراً صادقاً عن شعوره الوطني المكبوت"<sup>(١٩٤)</sup>، بدأ بها يخاطب هؤلاء المستبدين الظالمين الذين أجرموا وقتلوا وسفكوا، ولم يردعهم لا تقدم ولا حضارة ولا روح إنسانية<sup>(١٩٥)</sup>:

قُلْ للذين على الحضارة أجرموا أمن الحضارة ذلك الإجرامُ

أمن الحضارة أن يدمر معقلٌ خفقت على ما أثل الأعلامُ

ومن البدهي جداً أن نجد الزركلي في ميدان السياسة كانت لديه رسالة سامية تعكس لنا جمال الحياة، وهدفه من ذلك هو هدف إنساني نبيل ليس طالب منصب ولا عابد درهم ولا طالب ثأر من أحد، بل هدفه كرامة الإنسان وحرية واستقلاله، فهو بدخوله في الجانب السياسي كان جلّ همّه يميل حول الذود عن حياض الوطن، والتغني بالأخلاق، وبالمثل العليا، وبأمجاد الماضي التليد، وبال دعوة

---

(١٩٣) مارأيت وماسمعت، ص35

(١٩٤) سامي الكيالي، الأدب العربي المعاصر في سورية، ص259، دار المعارف، مصر، ط2.

(١٩٥) النديان، ص241



إلى الحرية، وتقديس الفداء، والاعتزاز بالمواقف الوطنية، والدعوة إلى الحياة السعيدة، وانتقاد سوء الإدارة من قبل الساسة، بالإضافة إلى تحية دماء الشهداء والأبطال.

فهو بذلك شارك الناس معاناتهم ورفع صوته منادياً بحريتهم وما أصابهم من ألم وأسى، فشارك اللاجئ الضعيف الذي بات من ضحايا السياسة يئن ويكي لا ناصر يعطف عليه وينصفه مما أصابه<sup>(١٩٦)</sup>:

إن كان إنساناً فهلاً صغى إليه من يرحم أو يرأف  
أم ليس في الناس لمستنصف من ناصرٍ يعطف أو ينصف  
جرّده من بأسه غـادرٌ وسامه الدّلة مستضعف

ورفع صوته مطالباً بالإصلاح السياسي وما اقترفته الحكومات المتتالية بالعبث بسياسة الوطن وأهله وما اجترته لهم من واقع أليم ومأساوي، فهاهو ذا مثلاً يخاطب إحدى الوزارات في سورية مطالباً أصحابها بالاستقالة<sup>(١٩٧)</sup>:

أتبعي العبرة يامقلتي الحمراء ، عبـرة  
نزل النازل بالقـو م فـمايـصـرُ أمـره  
ربّ مستورٍ رأينا يده تهتك ستـره  
وامرئٍ يذكر بالخـيـر تحاشي الناس ذكره  
ووزير ما أطاق الدهـر أن يـجـمـل وزره  
جمعتهم دولة الخـزـي وأيام المعـره  
استقبلوا ! لا أقالت لكم الأيام عـثـره

---

(١٩٦) الديوان، ص333

(١٩٧) الديوان، ص299

كما انتقد بعض تصرفاتهم وأعمالهم التي يقومون بها في أمور ليست في صالح الناس، كتعاهد الملك حسين مع الإنجليز، فيقول<sup>(١٩٨)</sup>:

طال انقيادك للخصوم وأنت أدري بالخصوم  
الإنكليز وما أرا ك بهم غير العليم

ويقول أيضاً:<sup>(١٩٩)</sup>

ياوزارة الخزي والعمى قد كشفت ماكان مبهما  
هاج وزرك الأرض والسماء أيُّ آثمٍ رَوَّع الحمى  
ما تعاقدأ كان مبرمأ بل وثيقة الذل أبرمأ  
يا ابن ملجم بت ملجما لست مسلماً لست مسلما

وكما يقول أيضاً بكل جرأة وحرية رأي، في الأمير عبدالله بن الحسين حاكم عمَّان، عندما رأى منه ما لايرضيه في سياسته الخاطئة في تدبير شؤون البلاد<sup>(٢٠٠)</sup>:

تَسَنَّمَ دست عمَّانٍ غَوِيٌّ أتى بالبِدْع من شَيْن وعابِ  
تصدَّر للرياسة وهي عنه كما بين البسيطة والسحابِ

وفيما نعتقد أن مشاركة الشاعر في شؤون الساسة ومطالبتهم بالإصلاح أملكته زمام الحرية في مشاركة الساسة الرأي والمشورة بكل جرأة وثبات دون خوف.

كما حاول بقدر المستطاع بث روح الوطنية وإرسال الأناشيد الحماسية التي تثير كوامن النفوس الأبية التي تحاول في حراك دائم أن تحرر قيود الشعوب من براثن الاحتلال والاستبداد، وتزج بها إلى

---

(١٩٨) الديوان، ص77

(١٩٩) الديوان، ص74

(٢٠٠) الديوان، ص130

منافذ الحياة الحرة، فكان دائم الطلب ليتجلبوا الأذراع والأكفان فالبلاد تباح، والدور تحتاج، وعلى كل عربي فيه عرق ينبض أن يسرح جياده وليطلق لها اللجام، من أجل كفكفة الدموع<sup>(٢٠١)</sup>:

يانابضاً فيه عرقاً من بني مضر أسرح جيادك ولتطلق لها اللجام  
واشحد غرارك لا يعلق به صداً فان يُجر حكم فالصارم الحكم  
كفكف دموع فلسطين وجارتها بيروت واكفف يداً في بسطها النقم

ويقول أيضاً<sup>(٢٠٢)</sup>:

ياراقدین علی الهوان تآهبوا وتجليبوا الأذراع والأكفانا  
هذي بلادكم تباح ودروركم بُتاحت فابغوا غيرها أوطانا

كما أنه بتمرسه الشديد في دسائس السياسة وخفاياها الدقيقة عرف أمور نستطيع أن نطلق عليها ملفات عدائية ضد الإنسانية، ومن هذا الأمور الجاسوسية الذي يقول عنها "عرفنا الحكومات تتخذ أفراداً، لا قلوب لهم ولا ضمائر، اعتادوا أن يؤجروا أنفسهم لنبش دفائن النفوس، فتسخروهم وتستعين بهم على معرفة ماقد يفيد في أمن داخلي أو تأمر خارجي"، وللعامل في الجاسوسية، كالركابي باشا - " له أساليب وطرائق يصل بها إلى القلوب الطاهرة فيعكر صفوها ويؤثر في تربيتها، وفي هذا المفسد في الأخلاق ما لا يطاق"<sup>(٢٠٣)</sup>.

كما أن الزركلي بدخوله أكثر في السياسة تداخل وتناغم مع شخصيات إنسانية رائعة وقيمة كان لها الأثر البالغ على شخصيته، كالمملك عبد العزيز بن عبد الرحمن، والمملك فيصل بن عبد العزيز، والمملك محمد السادس وغيرهم. فالمملك عبد العزيز بن عبد الرحمن على سبيل المثال كان يحمل من الصفات الإنسانية ما يكفل له بأن يؤثر في غيره، ويغير في سلوك الإنسان المقابل له، والزركلي

---

(٢٠١) الديوان، ص 126

(٢٠٢) الديوان، ص 24

(٢٠٣) عامان في عمان، ص 207 - 208

بملازمته للملك قد تأثر من ذلك كثيراً، فهو يذكر لنا بعضاً من أقوال الملك عبد العزيز التي توحى بمدى قبول ذلك عنده، وهي أقوال تدل على محبة هذه الشخصية السياسية إلى السلام ونبذ الحروب وشروورها، ودعوته الإنسانية النبيلة إلى فضائل الأخلاق ومحاسنها، وصدق السريرة ونقاء الضمير. ومن هذه الأقوال: " لستُ من المحبين للحرب وشروورها، وليس أحب إليَّ من السلم والتفرغ للإصلاح. الإنسان يقوم على ثلاث فضائل: الدين والمروءة والشرف، إذا ذهبت واحدة من هذه سلبته معنى الإنسانية. أنا ترعرعت في البادية، فلا أعرف آداب الكلام وتزويقه؛ ولكني أعرف الحقيقة عارية من كل تزويق" (٢٠٤).

كما أن الشاعر عايش الحرب الكونية أثناء ذلك وما حدث من دمار وفوضى وبلبلة وقتل وتشريد وسلب للحقوق وهذا ما أحدث وقعاً كبيراً في نفسه من هول الفواجع التي واجهته سواءً بعمله الدبلوماسي أو ما قبل ذلك.

## المبحث الخامس: أسفاره

تعد أسفار الزركلي بداية من سفره الأول عن موطنه وانتهاءً بأخر سفر قضاه بين عدة دول مختلفة من ضمن الروافد المهمة التي أمدت شاعرنا الزركلي بالاتجاه الإنساني، فنحن فلو تمعنا بعض الشيء لما واجهه الزركلي من غمار التجارب الكثيرة التي اختلط بها وعاش بين حناياها، لأيقنا يقيناً أن البعد عن الوطن ومواجه شرائح مجتمعية مختلفة متقدمة ومتأخرة وأجواء أخروية تختلف عن سابقها من خلال التنقل بين أمكنة عديدة تعد ذات أمر محتم بأن تكون إحدى الروافد الجديرة بالتأثير والإمداد.

ومن المؤكد أن أسفاره الكثيرة استطاع الزركلي من خلالها أن يذكر تجاربه ويعمق معرفته وينضج أفكاره ويوصل هويته كإنسان حاول العادة أن يهملشوا وجوده بالإعدام، فكان في تواصل دائم مع أمور عدة على المستوى الثقافي والسياسي والديني والإنساني وغيرها من جميع الأمور ذات الشأن في دائرة الحديث. فهو ولكثرة أسفاره أصبحت الأسفار له دار إقامة<sup>(٢٠٥)</sup>:

أُلقي عصا التَّسيارِ في مستوطنٍ وتثور تنهض بي عصا التَّسيارِ

فأكانما الأسفارُ دارُ إقامةٍ وأنا المقيم بمنزل الأسفارِ

وفي الحقيقة أن أسفار الزركلي أوردت إليه مجموعة أمور كثيرة انعكست عليه وهي كانت من نتاج تنقلاته ورحلاته المختلفة ولعل أول ما يواجهنا في ذلك سفره الأول والذي أعده أنه سفر قسري كان من جراء الأعمال الإجرامية التي قام بها المستعمر الفرنسي وذلك عندما حكم عليه بالإعدام غيابياً ومصادرة أملاكه مع مجموعة من أشبال سوريا وهذا ما أحدث في نفسه الذعر والآسى والاضطراب كما أن "الحكم الغيابي بالإعدام رهيب الوقع على بعض النفوس مثير لكوا من الضعف، ولكن سرعان ما يعلم المحكوم به عليه أن للوهم صولة وتضمحل، وللإرهاب دولة وتدول" <sup>(٢٠٦)</sup>، كما أن سفره عن موطنه بهذه الوضعية الحرجة أورد فيه الغربة، والغربة عن الوطن والأهل والأصحاب

---

(٢٠٥) الديوان، ص 196

(٢٠٦) مارأيت وماسمعت، ص 51

لها وقعها المريب على النفس ولها كيانها المؤثر والعميق ولها اتجاهها الإنساني النبيل، فهي ترهف الإحساس والشعور، وتجعل صاحبها معذب أينما يحل ويقيم<sup>(٢٠٧)</sup>:

إن الغريب معذب أبداً إن حل لم ينعم وإن ظعنا

ويقول أيضاً<sup>(٢٠٨)</sup>:

أنا في الناس غريبٌ ، جسدي بينهم ، والروح بين الشهبِ

فهذه الأسفار بعثت في نفس الشاعر الشعور المريب الذي يدفع الشاعر إلى الإحساس بالوسوسة وأنه بين الناس غريب، وهي السبب الرئيسي في بذر هاجس الغربة التي يتسلل للنفس بعدم الراحة والطمأنينة، في دفع نزعات النفس بأنه ليس من هذا المجتمع بل من مجتمع آخر<sup>(٢٠٩)</sup>:

كُلِّمًا حَلَّتْني أقمْتُ أرْتني نزعاتي أني على سَقَرِ

صدري مُؤذَنٌ بِقُرْبِ وُرودي وُورودي دَاعٍ إلى صدري

كما أن تواجده في محيط مفعم بالوحشة والفراغ والغربة غير محيطه الذي اعتاد عليه في موطنه زاد إحساسه بفرديته وكيانه الخاص، فملاً ذلك في نفسه شجناً ففزع إلى الحنين إلى الأهل والأوطان والأصحاب، فأخذ يسترجع ماكان من معالم جميلة وذكريات حلوة وحياة هانئة بين الأحبة والأهل على أرض الوطن<sup>(٢١٠)</sup>:

طال الحنينُ فهل في الشام من حاني أهلي وأحبائي وخلائي

مراتعي ، والصبا ربّاً خمائله ودّعتُ فيها إسراري وإعلاني

---

(٢٠٧) الديوان، ص21

(٢٠٨) الديوان، ص269

(٢٠٩) الديوان، ص172

(٢١٠) الديوان، ص268

كما يقول:

أطالت علي الشامُ حبل صدودها وفي الشام من أهوى وفي الشام أليا

كما أن أسفاره أيضاً عززت لديه المكون الثقافي فتقف بثقافات عديدة عايشها من طبقات مختلفة عربية وأعجمية، فأنشأ مطابع ونشر كتباً وألف مؤلفات وجمع مخطوطات، والتحق بعدة مجاميع علمية، وشارك في عدة مؤتمرات أدبية واجتماعية، وعاشر أناساً وأجناساً متفاوتين بين الحسن والقبيح من شعراء وأدباء وعلماء و رؤساء وحكام وبسطاء ومن عامة الناس وخاصتهم، ومن الشعراء على سبيل المثال الشاعر العراقي معروف الرصافي الذي لقيه في حيفا، والرصافي " كما هو معروف يكتظ قلبه بمشاعر إنسانية رقيقة نراها ماثلة في كل جانب من ديوانه إذ يدعو دعوة واسعة إلى التعاطف الإنساني والبر بالفقراء والمعوزين ... " (٢١١).

وغير الرصافي نجد أن له علاقة مع الشعراء المصريين كإبراهيم المازني وذلك من خلال أسفاره المتكررة إلى مصر فكان التأثر منهم ولاشك، يقول أحد الباحثين " اصطفى خير الدين الزركلي وهو في مصر غير واحد من الأدباء في طليعتهم إبراهيم عبد القادر المازني، وكانوا يجتمعون ويتحدثون في الأدب والحياة والسياسة العربية، وكان المازني أقرب أدباء مصر إلى نفسه فتحابا وتصافيا، وكان لا يمر يوم دون أن يلتقيا" (٢١٢). وهو القائل أيضاً في المازني بعاطفة الأخوة الإنسانية الصادقة (٢١٣):

بكيت المازني وكان ضوءاً إذا دجت الليالي المدلّمة

أخ أودعته سِرِّي وهَمِّي وأودعني سِريرته وهَمِّه

كما أنه من خلال أسفاره إلى الحجاز والأردن وغيرها واختلاطه بالمجتمعات القبيلة رأى القتل والتنافر والبطش بين البشر والتعدي على الحرمات والظلم والفقر واليتم وغيرها من شرار الأمور

---

(٢١١) دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص 62

(٢١٢) الأدب العربي المعاصر في سورية، ص 261

(٢١٣) الديوان ص 262

وخيارها، حتى تعرف على دواخل الأمور وخواصها وذلك من وفرة اختلاطه بطبقات متعددة من الناس، فأثار ذلك في نفسه إلى الدعوة الصادقة إلى المساواة والإخاء التي تجمع الشمل وتلم المتفرقين، وتنبذ الشقاق والفرقة وتأبى التناحر لأجل العنصرية والجنسية، رغبة صادقة في درء الفتنة التي تلقي بضالها على عامة الناس. فمثلاً لو نظرنا ما أتى من وقائع نشبت بين أهل الحجاز ونجد واليمن في الجزيرة العربية، لوحدنا الشاعر يتألم من هذا التنافر والشقاق<sup>(٢١٤)</sup>:

هل في الجزيرة مُسَعَفٌ بجوابِ صِقْيٍ ثانيةٍ على الأبوابِ  
لمن الأعنةُ والأسنةُ شُرْعٌ والبيضُ تلمعُ في رُبي وهضابِ



## المبحث السادس: روافد أخرى

من الروافد المهمة كذلك هي التكوين الثقافي، فتكوين الإنسان الثقافي كغيره من المكونات هي من تحدد أفعاله واتجاهاته وأفكاره وحتى تصرفاته، "والثقافة ليست كلاماً نملاً به الرؤوس، ولكنها يقظة الملكات كلها والحواس" (٢١٥)، فظهور الثقافة في شخصية الإنسان تجعل منه شخصية مطلعة على كافة الأمور، تشارك الإنسان في جميع قضاياها وآلامه وهمومه بل وتهذب تصرفاته وأفعاله وأقواله وأفكاره وتجعل منه شخصاً نامياً ومثالياً وخالداً وعبقرياً، يجدد نظرتة باستمرار " فلا يعرف الحدود ولا السدود، بل ويؤمن بالحياة الراقية، وما تحمله من حضارة يهضمها حتى تصبح جزءاً من ذاته الكبيرة .. فلا يتعصب لجنس، ولا يأنف من الإطلاع على فنون أي أمة وفلسفتها وعلومها" (٢١٦).

فالثقافة هي العلم الحق وتفتح البصيرة، والاتصال بالحقائق الثابتة في هذا الوجود. والمثقف رجل يُخضع أعصابه لإرادته، ويُحكّم عقله في عواطفه، فلا يطيش ولا يجيش ولا ينفجر، وإن غضب لشيء فإنه يغضب للحق.. فللمثقف إنسان ذو إلمام بجملة المعارف العامة، وصاحب نظر علمي للمسائل، ورجل مبدأ في الحياة (٢١٧).

ومناهل الثقافة المتعددة "مهما تكن إنما تعمق جذور الفهم في عقولنا وتؤكد شخصيتنا، وتزيد إدراكنا للحياة الإنسانية وما لها من حرمان وحقوق، وما يتحلى به الإنسان من قدرة على أن يذوب بكل نفسه وكيانه وصدقه وإخلاصه مع من يعيش معه" (٢١٨).

والزركلي كما نراه في إنسانيته النبيلة يتمتع بتكوين ثقافي ومعرفة واسعة كافية بأن تذكي إنسانيته، وتجعل منها شخصية واعية ومطلعة ذات فكرٍ ناضجٍ، فتذوق وتغذى من الثقافة وأحبها بإحساسه

---

(٢١٥) د. محمد مندور، في الميزان الجديد، ص68، نشر وتوزيع مؤسسات ع. بن عبدالله، تونس، ط1، 1988م.

(٢١٦) ثريا عبد الفتاح، القيم الروحية في الشعر العربي، ص366-367، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت.

(٢١٧) سمير عمرو، صحيفة الحياة الجديدة، يومية سياسية مستقلة، حديث الأسبوع - الثقافة والمعرفة، الجمعة 21

محرم 1433هـ - 16 كانون الأول 2011م، العدد 5788.

(٢١٨) نفس المرجع السابق.

وتجربته وليس مجرد المعرفة، "إن المطلوب في الثقافة ليس مجرد المعرفة، بل الإحساس والتذوق والتغذي"<sup>(٢١٩)</sup>، فكان على تواصل تام بما يكون على مائدة الثقافة في نواحي عدة، ولعل كتابه "الأعلام" ليدلنا دلالة قاطعة بمدى ثقافته العالية ومدى حبه للثقافة فهو كما يقول حمد الجاسر "عصارة فكر بحاثة جليل قل أن يضاهيه أحد في سعة إطلاعه على المؤلفات قديمها وحديثها .. بحيث صح القول أن "الأعلام" من مفاخر عصرنا الثقافي"<sup>(٢٢٠)</sup>.

ونحن كذلك لو نظرنا قليلاً في تضاعيف هذا الكتاب حول الأشخاص الذي ترجم لهم لأدركنا البيان أن تاريخهم الإنساني يكفي بأن يشهد لهم بإنسانيتهم الخالدة وأعمالهم الحسنة التي يشار إليها بالبنان، ولعل ذلك من أسباب التأثير على شخصية شاعرنا الإنسانية وضميره الحي وتصرفاته الخيرة. ومن هؤلاء الأشخاص على سبيل المثال النبي محمد عليه الصلاة والسلام الذي قال عنه بعض الأقوال التي من الجدير أن تسطر بماء من ذهب في مسيرة الإنسانية الخالدة، كقوله عليه الصلاة والسلام، (خير ما أعطي الناس: خلق حسن)، (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)، (خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره)<sup>(٢٢١)</sup>، وكما انعكس ذلك على أشعاره، فقال عن النبي عليه الصلاة والسلام في إنسانية جميلة أنه هو الذي أنعش الأكباد، وأحيا القلوب، فهو كالنسيم العليل الذي بعثته كواكب الفجر للناس رسولاً يوحى بالهوى وطيباً<sup>(٢٢٢)</sup>:

---

(٢١٩) في الميزان الجديد، ص68

(٢٢٠) محمد بن عبدالله الرشيد، الإعلام بتصحيح كتاب الأعلام، ص13، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1422هـ، 2001م. نقلاً عن مجلة العرب، 5: 93 - 94

(٢٢١) الأعلام، مج6، ص219

(٢٢٢) الديوان، ص104

النسيم البليل أنعش أكباداً وأحيا عند المبوب قلوباً  
في ظلال السكون والشمس لم تعتل والبدر مززع أن يغيبا  
بعثته كواكب الفجر للناس رسولاً يوحي الهوى وطيباً

كما كان الشاعر على تواصل دائم مع الآداب المختلفة كالأدب الفرنسي، فقد ذكرنا سابقاً بأن الشاعر التحق بالمدرسة العثمانية (لاييك) في دراساتها الفرنسية، وهذا مما جعله يطلع على فنونها ويكتب بعض قصائده بذات اللغة. ومما نرى تأثير شخصيته الثقافية واضحاً من ذلك استيحاء الشاعر قصيدته (مجدولين والشاعر) من خلاصة الرواية الفرنسية (مجدولين)، التي ظهرت في أعمال الفرنسي (ألفونس كار). والتي أعدها الزركلي إحدى النماذج الإنسانية التي تعبر عن حياة المحبين والعشاق والعوائق التي تقف صدىً منيعاً أمامهم من تحقيق طموحهم وآمالهم.

وبالإضافة إلى التكوين الثقافي للزركلي نلاحظ أن تجارب الحياة التي لازمته من بداية حياته إلى نهاية مسيرته كانت ذات تأثير بل وتأثير عميق على شخصيته ونفسيته، والتجارب التي خاضها شاعرنا مرت في منعرجات ومنعطفات كثيرة وهي تعد العصاراة التي أنضجها لنا شاعرنا من خلال مباحثته الواقع المعاش، وهي من الواضح جداً أن تؤثر عليه فلاشيء مؤثر وحري بالتغيير كالتجارب التي يمر بها الإنسان ويلقاها في مسيرته الحياتية.

ومما لاشك فيه أن تجارب الحياة لها دور كبير وهام في التأثير وهي تمنح أصحابها الفائدة والحكمة وحسن اختيار القرارات الصائبة، فهي أكبر دليل على رجاحة العقل، وحسن التصرف، واتخاذ القرار المناسب، وصحبة الأختيار.

وفي حياة الزركلي يوجد مواقف كثيرة منها الشديدة ومنها الأليمة والمحنة وغيرها الكثير، وجميع هذه الأمور تفيد الإنسان وتمنحه التجارب وتبين مقدار تحمّله وطاقته وكذلك تقوي عزمته وتزيد من صبره وتشد من بأسه وتعوده على قوة التحمل وتقبل كل ما يمكن حدوثه بالرضا والقبول.

والشخص الذي يملك الخبرة والاستفادة من تجارب ودروس الحياة تجده يدعو لفعل الخير ويحث على الفضائل والتحلي بمكارم الأخلاق والاتصاف بالخصال النبيلة التي تعود على أصحابها دائماً

بالخير والمسرات، وتعود على الإنسانية بعامة بالهبات والفضائل العظيمة، وتجارب ودروس الحياة التي مر بها الزركلي في حياته ليست ككل التجارب التي تمر بكل إنسان فهو من الأشخاص القلائل الذي من الممكن أن نطلق على حياتهم حياة الإنسان المناضل والمكافح من بداية ميلاده إلى نهاية مياعده، وهذا الكفاح بدأ معه من موت أبيه وهو لم يبلغ العاشرة من عمره، وصعوبه تعليمه وتنقلاته بين بيروت ودمشق، واستمراراً لما واجهه من سوء الحالة الاقتصادية والاجتماعية لأحوال الشعب، وكذلك من سوء للوضع السياسي الخطير وماواجه وطنه من تيار الاستعمار والانتداب، وما أحل الكون من حروب ودمار وفوضى وبلبلة، وماوجه له من أضرار التهم كغيره من أبناء الشعب والحكم عليه بالإعدام غيائياً ومصادرة جميع أملاكه، ونزوحه من وطنه قسراً بلا إرادة، وكذلك أسفاره العديدة بين عدة دول مختلفة، ومعايشته لطبقات مختلفة من البشر، وكذلك ماتحملة من لظى الغربة وقسوة العيش في ديار الغربة.

وأخيراً ومع وجود هذه التجارب الحياتية وتناغمها مع وجود الزركلي كشاعر، والشعراء أناساً أتوا عقولاً مرهفة وأحاسيس شفاقة، تتألم للمصائب أشد الألم، وتتعذب للمساوي، وتشقى لكل مكروه، وتحب الكمال والمثال في كل حين، وتسعى حثيثاً أن تجري الحياة وفق أنظمة الخير والصلاح وترجو الطمأنينة والهدوء، وضع توافقاً بين تجارب حياتية كافية بأن تنضج لنا شخصية إنسانية جيدة، وبين وجود شخصية شاعر مرهف وحساس تستحق أن تؤثر وتساهم في وجود الاتجاه الإنساني في شخصيته

## الفصل الثاني

### مظاهر الاتجاه الإنساني في شعر الزركلي

- ١ - المبحث الأول: الوطنية
- ٢ - المبحث الثاني: الحرية
- ٣ - المبحث الثالث: الغربة والحنين
- ٤ - المبحث الرابع: قضايا المجتمع
- ٥ - المبحث الخامس: المساواة والإخاء
- ٦ - المبحث السادس: موقفه من الحرب الكونية وتداعياتها
- ٧ - المبحث السابع: النموذج الإنساني

## الفصل الثاني: مظاهر الاتجاه الإنساني في شعر الزركلي

الإنسانية هي ما يتصف به الإنسان من فضائل مختلفة في الخير والعدل، والتطلع إلى الأهداف السامية التي تتجنب التعصب والفرقة والعنصرية، وتبحث عن عالم يسوده الإخاء المنزه عن النفعية وإلى مظلة إنسانية تصبو إلى مصير مشترك وهدف إنساني واحد.

والشاعر بمهارته وفكره الحصيف يقدم الحياة بشكل ملموس بنماذج إنسانية، ليعبر عن رؤى البشر وتطلعاتهم المختلفة، وعن حقوقهم وواجباتهم؛ لأنه يشعر بمرارة الحياة ويلمس سهام الألم في حياة المتألمين المظلومين، فالشاعر " هو الذي يتخطى عالم فنه ويتجاوزها ليكون معلماً ومرشداً وموجهاً، يثير مشاعر الإنسانية وينشر بشعره المبادئ السامية والمثل العليا، ويحارب بكلماته الظلم والشر، ويستهدف دنيا إنسانية ملؤها السعادة في جميع أرجاء هذه البسيطة المترامية الأطراف"<sup>(٢٢٣)</sup>.

والزركلي في شعره حاول تقديم بعضاً من رسالته معبراً عن رؤى البشر وتطلعاتهم، وعن بعض الحقوق المسلوقة بالقهر والظلم، وحاول أن يخلق مجتمعاً إنسانياً أمثل يسوده الخير والمحبة والعدل والإخاء؛ لذا تجلت الإنسانية في شعره مترغماً بعطر معانيها السامية وقيمها النبيلة. وأهم مظاهر هذه الرسالة في شعره الإنساني هي الوطنية وحبه الشديد للوطن ودفاعه الباسل في الذود عنه وعن أهلها من كل مستعمر وفساد، والحرية بنوعيتها الفكرية والشعبية، والغربة عن الوطن والذات، والحنين إلى الأهل والأصحاب والمكان، والوقوف على أهم قضايا المجتمع ومحاوله نبذها، والدعوة إلى نشر العدل والإخاء، والموقف الراض من قيام الحروب ونشر السلام بين الشعوب، وأخيراً تقديم نموذج إنساني كمثال يحتذى في طريقة المسير في الحياة الإنسانية.

## المبحث الأول: الوطنية

الوطنية مأخوذة من كلمة (وطن)، و(الوطن) في اللغة عند صاحب (القاموس) هو منزل الإقامة<sup>(٢٢٤)</sup>، وعند الخليل هو موطن الإنسان، والموطن هو كل مكان قام به الإنسان لأمرٍ ما<sup>(٢٢٥)</sup>، وعند ابن منظور هو المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحلّه<sup>(٢٢٦)</sup>. والمفاهيم اللغوية تتعدد وتتفرع وما نراه يلامس المعنى الشامل هو ما جاء عند (المعجم الوسيط) مكان إقامة الإنسان ومقرّه، وإليه انتماؤه وُلد به أولم يولد<sup>(٢٢٧)</sup>.

والوطنية في الاصطلاح هي ارتباط الفرد بقطعة من الأرض تعرف باسم الوطن، وهي حب الوطن والشعور بارتباط باطني نحوه<sup>(٢٢٨)</sup>، وهي كذلك ارتباط الفرد بوطنه، وحبه لطبيعته وأهله، والعمل لخيره ومصالحته<sup>(٢٢٩)</sup>، وهي تلك العاطفة القوية التي يحس بها المواطن نحو وطنه العزيز، وتلك الرابطة الوثيقة المتينة التي تشده إليه، وذلك المنزع الوشائجي القوي المبني على حب متواصل ومودة دائمة بعيداً عن الفتور والملل طوال الحياة، وبعيداً عن تلك الوطنية التي تسعى إلى تقسيم الأمة إلى طوائف تتناحر وتتضاغن، وتتراشق بالسباب، وتترامى بالتهم ويكيد بعضها لبعض، وتشيع لمصالح شخصية أملتها الأهواء، وشكلتها الغايات والأغراض وفسرتها الأفهام. والوطنية توجب على المواطن أن يحب وطنه وأن يبذل كل ما في وسعه من أجل رفعة وطنه، وأن يضحى بكل ما يملك من أجل تقدمه وازدهاره وإيمائه إلى الأفضل دائماً.

---

(٢٢٤) الفيروز آبادي، معجم القاموس المحيط، ص1247، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1428هـ - 2007م.  
(٢٢٥) الخليل بن أحمد، معجم العين، ج7، ص454 - 455، ت. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية والنشر، العراق، 1984م.  
(٢٢٦) ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص338، تصحيح أمين محمد عبدالوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط3، 1419هـ - 1999م.  
(٢٢٧) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص1042، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط2، 1426هـ - 2005م.

(٢٢٨) سمير بدوان قطامي، إلياس فرحات - شاعر العرب في المهجر، ص126، دار المعارف، مصر.

(٢٢٩) عزيزة مريدن، القومية والإنسانية في شعر المهجر الجنوبي، ص63، الدار القومية للنشر والتوزيع.

والوطنية مركزية أساسية في إطار مفهوم الإنسانية، وفي طريق التوافق لا التنافر مع الإنسانية، إذا كانت تقف ضد المعتدي والمغتصب، وتحاول جاهدة بقدر ما تستطيع أن تصلح ما أفسده الآخرون، فلا تنحاز ولا تتعصب ولا تكون انعزالية ولا مستعلية، بل تنظر إلى الآخرين نظرة المحبة والتسامح متجه نحو الخير والبناء والسلام، كما تؤمن بأن هدفها الأول والأخير هو الإنسان وكيفية استخراج طاقاته وإمكاناته في مكانها الصحيح من أجل العيش في سعادة تامة.

وقد ينقلب هذا المفهوم رأساً على عقب إذا كانت الوطنية تدعو إلى التعصب والخصومات والنعرات ولا ترى سبيلاً ومخرجاً سوى الاعتداء والحرب والقتل والتشريد، كما في بعض الدول التي تحاول في تكرار مستمر أن تستعمر وتعتدي من أجل شيء أو من أجل تحقيق هدف محدد، كبعض "القوميات العدوانية المتناحرة في أوروبا واعتمادها على العنصرية المتطرفة والقوة العاشمة في سبيل التوسع والاستعمار كما كان الشأن في النازية والفاشية"<sup>(٢٣٠)</sup> والفاشية كألمانيا التي ردت المجتمع العالمي كله إلى دولة متجاهلة لجميع الأمم والأوطان المختلفة وما وراءها من أهداف وغايات إنسانية. كما أن الاتجاه الإنساني لا يأخذ معناه الحقيقي وكامل مداه إلا ضمن الكيان الوطني، فالإنسان لا خير فيه للأبعد عندما لا يكون فيه خير لأخيه القريب الذي يشاركه الكألاً والماء ويعاضده في السراء والضراء، لذلك من الجدير أن ننظر إلى الوطنية على أنها هي الصديق الحميم للإنسانية، وهي بمثابة الماء للكائن الحي تمده بأسباب الحياة والنماء، وكما يقول الدكتور جميل صليبا عنها، بأنها لا يمكن أن تتعارض أو تتناقض فيما بينها: " فالوطنية لا تكون حقيقة إلا إذا عملت على إعلاء كلمة الإنسان، والإنسانية لا تكون حقيقة إلا إذا بنيت على محبة الأوطان .. وإن توسع العلاقات بين الأمم قد أدى إلى اشتراكها كلها في قيم إنسانية واحدة، تقرب القاصي من الداني، وتخفف التوتر الدولي"<sup>(٢٣١)</sup>، وكما يقول الشاعر المهجري أمين الريحاني رافعاً شعار الوطنية هي ذات

---

(٢٣٠) د. عمر الدقاق، الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، ص186، دار الشرق العربي، بيروت، 1985م  
(٢٣١) جميل صليبا، الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث، ص 118، معهد الدراسات العربية، العالمية، المطبعة الكمالية، ط1، القاهرة، 1958م.



الإنسانية: "لا تنسوا وطنكم في حبكم الإنساني، ولا تنسوا الإنسانية في نزعكم الوطنية" (٢٣٢) ، ويقول الشاعر القروي رشيد الخوري: "وما الشاعر الوطني الحمى في أمة مستعبدة إلا الشاعر الإنساني قبل أي شاعر سواه" (٢٣٣) ، ويقول الدكتور عبدالحى دياب: "والإنسانية في الشعر لاتناقض الوطنية" (٢٣٤) ، لذلك من الحق أنه كلما نما شعورنا بوطينتنا، نما وزاد إحساسنا بإنسانيتنا برباط وثيق التماسك، بحيث تكون الوطنية للإنسانية إن سيرت بالطريقة الصحيحة في طريق التوافق لا التنافر؛ وبذلك نرد على من يقول بأن الوطنية ما هي إلا دعوات استعلائية وتحيزية لفئة دون أخرى.

ولعل أول ما أود الإشارة إليه في شعر خير الدين الزركلي في هذا المظهر هو حب الشاعر لوطنه وانتماؤه الشديد وإخلاصه التام له. ومحبة الأوطان هي "وفاء تستلزمه الأخلاق النبيلة، والمبادئ السامية، لأنه شعور يربط الفرد بالجماعة، ويجعلها يدور في فلكها، ويخلص لها" (٢٣٥) ، ولعل محبة الوطن عند الشاعر نشأت في خضم أحداث متلاحقة، فأصبح الوطن العربي يشعر بفقد الهوية، والضياع الوجداني، والظلم الانتدابي والاستعماري، والإنسان العربي مهضوم الحقوق، ومسلوب الإرادة، حتى شعر الإنسان العربي بشيء من نقص الذات أمام الآخر، "فالشرقي تولد عنده ما يسميه علماء النفس بمركب النقص أو الصغار الذاتي، حتى صار عند الجمهور كل شيء غربي أفضل من كل شيء شرقي - تاجرهم أصدق، وعالمهم أعلم، وصانعهم أحق، وبل وعنصرهم أشرف وأرقى"، "فكان من الطبيعي أن يولد ذلك في نفوس الأباة من الشعراء والكتبة (رد فعل) يظهر في منظومهم ومنثورهم" (٢٣٦).

لذا حاول الشاعر كغيره من الشعراء - الذين هم رُسل الكلمة والعدل والحق - إعادة هذا التوازن وذلك من خلال إظهار منازع وطنيته وحبه الحقيقي تجاه وطنه، والافتخار بالعروبة، وإثبات

---

(٢٣٢) د. عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 187، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، ط3، 1977م.  
(٢٣٣) الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، ص 185، نقلاً عن مقدمة ديوان الشاعر القروي، مطبعة الصفدي، سان باولو، 1952م.

(٢٣٤) د. عبدالحى دياب، النزعة الإنسانية في شعر العقاد، ص1، دار النهضة العربية، القاهرة.  
(٢٣٥) النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص81، نقلاً عن عيسى مكننا، رشيد أيوب؛ حياته وشعره، ص62.  
(٢٣٦) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ص59

الشخصية الوطنية العربية لأبناء الوطن، وتلك المحبة هي نفثات أطلقتها عبرات تحترق الآفاق وتعلو فوق النجوم، وهي مدرسة وطنية رائعة يتدارسها الأجيال جيلاً بعد جيل، بحيث تصبح جزءاً من كيانهم الإنساني، وفرعاً أصيلاً من ضمن فروع الحياة، ومنزحاً متأصلاً في القلوب، فيصبح الوطن أغلى من الروح والجسد فيعطى هبة ليس لها مقابل (٢٣٧):

يُؤمِّي لهُ ، وغدي لهُ ، هبة وَعَسَايَ أَحْمَدُ في غدي غدُهُ

كما نرى الشاعر يقطع على نفسه عهداً وثيقاً لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن يصيبه الانقطاع فروحه وكبده ويده رهينة وفداءً لهذا الوطن، والشاعر بفدائه للوطن بأغلى شيء في حياته، وهي الروح وماتلاها إن دل فإنما يدلنا على مدى هذا الحب العظيم والشغف الكبير الذي يحمله تجاه هذا الوطن، بل ونجد أنه يرسم للأجيال لوحة جميلة تعمق فينا الإحساس بحب الوطن وتنمي الشعور الصادق تجاه هذا المعمار الغالي (٢٣٨):

بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِيكَ يَا وَطَنِي عَهْدٌ سَتَعْلَمُنِي مُؤَيِّدُهُ  
هذي يدي ، ورهينتي كبدي والحُرُّ يُتْبِعُ رُوحَهُ يَدُهُ

ولعل هذه الوطنية الصادقة جعلت الوطن هو معشوقه الذي يتغزل فيه دائماً، وحبه الدائم جعله كالسكران بلا خمر، وقلبه كالجمر يتوقد حباً وعشقاً، وهو في حب وطنه لا يعبأ بملام، ولا يزر من عدل العاذل حتى وإن رشق فؤاده بالسهم (٢٣٩):

أنا في حي سكران وما في الكأس خمرٌ وبجني حريقٌ وعلى قلبي جمــــرُ  
أنا في حب بلادي لا أبالي بملام غضب العاذل؟ فليرشق فؤادي بسهام

ويذهب الشاعر في موضع آخر إلى أن ما طال الوطن من الأسى انعكس عليه بالبكاء، ويؤكد على هذا الحب العميق بأن حياته ومماته بين يديه:

---

(٢٣٧) الديوان، ص32

(٢٣٨) الديوان، ص33

(٢٣٩) الديوان، ص87 - 88

أنا لا أعشق مـا عشق الناس سواكا

فيك محياي ومثوى أعظمي تحت ثراكا

وبهذا العشق الوطني العالي نجد أن الوطن أصبح عند الزركلي كل شيء، منه يكون الحزن والشكاة والوجد والغرام، والسبب في ذلك - وكأن الشاعر يجيب ويرد على من يعذله في حب الوطن - أنها أمة عقها أبناءها، فكانت النتيجة أن وثبت في مراتع الذل وباتت في حلك الظلام الداجي:

ياربوعاً بت أحدوها إلى ورد علاها  
منك شجوي وشكاتي بك وجددي وغرامي  
كيف لا يشجى امرؤ في أمةٍ عقت حجاها  
سرحت في مرتع الذلّ وباتت في ظلام

وفي قصيدة (بلادي)<sup>(٢٤٠)</sup> نجد أن حب الوطن قد تعدى حدود الهوى، وهو امتداد إلى سلسلة الوجدان العاطفي تجاه الوطن، ولكن هذا الحب انطلق من أفق صغير إلى أفق أكبر في هذه المحبة:

بلادي لُجُبك في أضلعي هوىً جزتُ فيه حُدودَ الهوى  
يُحييك قلبي فحيي به فؤاداً كواه الجوى فانكوى  
عشقتك في المهد عشق الهيام وذهني حبك المسكـر  
سكرتُ ولم أدر طعمَ المدام وحُبُّك يُسكر أو يَسـحـر  
فأنت المنى في منى والصفاء وأنت التي أبتغي في اللوى  
لبغداد والشام والقاهرة وصنعاء والمغرب المونس  
وبيد تَهامة ، والحاضرة ونجدٍ ومن حلّ في تونس  
هوى دائم في ثنايا الحشا وحب سقته النوى فارتوى

ومما سبق يظهر لنا أن مفهوم الوطن عند الزركلي لم يكن بالمفهوم الضيق عند النظر بأنه تلك المساحة الصغيرة التي نما وترعرع فيها فترة من حياته أو ذلك الجزء الذي يطلق عليه اسم سوريا بل إن

مفهوم الوطن عنده هو كل الوطن العربي من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي، وهو كل بقعة يتكلم أهلها العربية، ولكن وطنه الأم كان لها النصيب الأوفر والأكثر حظاً عن بقية أجزاء وطنه الأكبر.

لذلك لم يقصر الزركلي وطنياته على امتداد ضيق بل تعداه إلى كل القضايا العربية، وكل مشكلة عربية هي مشكلته الخاصة، ومشاركة الدائمة في جميع القضايا العربية والأحداث بمختلف أقطارها لدليل واضح وجلي بأنه ينتمي إلى كل الأجزاء العربية، وهو انتماء وجداني وقلبي، فحب العروبة يسري في دمه وعروقه، والدول العربية كلها موطنه، يفتخر بها وتعتربه العزة والإباء عندما يذكر اسمها، فتجده دائماً يطوف في أنحاء الوطن العربي، يعيش في الشعاب وفي النفوس، يلتقط القضايا والمشكلات، ولا يترك فرصة يجد فيها وقفة إنسانية من دون أن يخصصها بشعره، ويقاسمها بعضاً من ذاته النبيلة وأخلاقه العالية، ولذلك سوف نرى وقوفه بجانب الفلسطينيين، والجزائريين فيما بعد.

وفي قصديته أشبال (قحطان)<sup>(٢٤١)</sup> نجد ذلك ماثلاً من خلال الاعتزاز والفخر وذلك رداً على من ينتقص من قدرهم ويحط من شأنهم، وهي دعوة صريحة تصوّر آمال الشاعر في تحقيق الوحدة العربية:

وقل لمن زَعَموا في العُرب مازعموا وما يُقيمون عند القَوْل بُرْهاناً  
بيض الوجوه لهم في كلِّ مكرُمةٍ يدٌ قد انبسطت سِراً وإعلاناً  
أولئك القومُ آلي أبتغي بهم سعيّاً إلى المجدِ أرواحاً وأبداناً  
أنعم بأشبال قحطان الألى نهضوا إلى العلاءِ زرفاتٍ ووُحداناً  
حَنُوا إلى المجد ولداناً فما لبثوا أن يَمّموا سُبُلَ العلياءِ فتياناً

وفي إطار آخر نجد الوطنية عند الشاعر نشأت من جراء الظلم والعسف والاضطهاد ضد الإنسان، نشأت في محيط شرس أعمته السيطرة والظلم والحقد وحب الذات عن رؤية الحقيقة، ليحول بذلك الإنسان إلى فقدان وضياح، وإلى كرامة مهدورة ومغدورة، وإلى دمعة مهراقة، وإلى تعاسة وشقاء ما بعدها عيش سعيد.

فالإنسان السوري بل والعربي واجه واقعاً مأساوياً بكل ما تحمله الكلمة من معنى بدون هوية مسلوب الإرادة، يواجه كل يوم وليلة أشد أنواع التعذيب من قتل وتشريد، ورمي بالقنابل، وظلم وعنصرية، وانتهاك للحرمات، وقتل للأبرياء، ويتم للأطفال وترميل للنساء.

فكانت وطنية الشاعر قريبة كل القرب من جميع القضايا العربية، ومقاسمة هؤلاء الأبرياء والضعفاء والمساكين والأطفال والنساء ما يصيبهم من ألم، ومعاشته حالهم وتصوير ما أصابهم من ألم الحروب؛ بسبب ذلك الجور الذي قاساه الإنسان بأبشع صورته، ومن تلك الأرواح الطاهرة النبيلة التي اغتالتها شياطين الفوضوية وسهام الغدر والتنكيل التي أبكت غرر الإنسانية كافة، ومن ذلك الواقع الأليم الذي أصاب دمشق وأصاب فلسطين وغيرها من البلدان العربية، فكانت روحه هي الروح الطاهرة التي "حملت قيثارة العزاء في ليالي الوطن السود، فما ناب عن سورية خطب، ولا أملت بالسوريين ملمة، إلا مسح بأطراف قلبه مواجع المنكوبين، ومدامع المعذبين .. فأصبح شعره البلسم الشافي لآلام الصابرين، وجراحات المعذبين .." (٢٤٢)،

لذلك نجد أن الوطنية عند الزركلي جاءت قريبة من الإنسان تصور آلامه مما يقاسيه من أشد أنواع التنكيل والظلم والتعذيب، وما حاق به من أذى وخديعة، ويصور حال الوطن مما أصابه من الغزاة لكي ينطلق صوت الإنسان إلى فضاء العالم، فيتم التعاطف مع محزونهم ومصابهم، ويتم ردع المعتدي وفض شره من ديارهم، وفي قصيدته (العذراء) (٢٤٣) يقول الشاعر في سؤال وحيرة صادرة من عاطفة حزينة ومليئة بالعواطف الإنسانية النبيلة، مما أصاب الوطن وناسه:

أينَ من يُنقذُ بنتَ النورِ ، مرآةَ الضياءِ  
منَ مهاوي البؤسِ والآلامِ من أيدي الشقاءِ  
أينَ من يُصغي لأناتِ العذارى والعويلِ  
أينَ من يَضمُّ جُرحَ القلبِ في الجسمِ العليلِ  
أينَ من يرحمُ ضَعفَ الطفلِ في القيدِ الثقيلِ

(٢٤٢) مقدمة ديوان الزركلي، ص 17 - 18

(٢٤٣) الديوان، ص 355 - 356

أينَ من يحنو على الأواه في الأسرِ الطويلِ  
أينَ من يجزي جُناةَ الشرِّ بالشرِّ السويلِ  
ليسَ في الناسِ سَميعٌ أو مُجيبٌ للنداءِ  
فُقدَ العطفُ .. فواهاً للضعافِ البؤساءِ

إنسانية وما أجملها من إنسانية توصل إليها الشاعر، حقاً فقد العطف وذهبت روح الإنسان الرحيمة التي تضمّد الجراح وتداوي المحزون وترأف بحال الطفل والمرأة والضعيف والبائس المحتاج والشيخ الكبير، وتنتشل صاحب الحق من براثن الزهق والبطلان.

وفي واقعة (ميسلون)<sup>(٢٤٤)</sup> الخالدة يصور لنا الزركلي المشهد المعادي للإنسان والرامز له بالموت والحرب، وذلك من خلال تصويره للطائرات والدبابات التي اقتحمت سوريا، فخدعوا بها أرض الوطن والحضارة والإنسان:

الطائراتُ مُحوماتٌ حولها والزاحفاتُ صراعهنَّ شديداً  
ولقد شهدتُ مجموعها وثابئةً لو كان يُدفعُ بالصدورِ حديداً!  
خدعوكِ يا أم الحضارةِ فارتمتِ بجني عليكِ فيالقٌ وجنودُ  
"قرآن أحمد" إن بكائكِ فقد رثى لكِ قبلهُ الإنجيلُ والتلمودُ

وأما عندما منيت دمشق بالقنابل من قبل الجيش الفرنسي، يصور لنا الزركلي لوحة إنسانية أخرى، أذاق بؤسها أبناء الوطن، وتجرع مرها الكل دون استثناء، فالنار متحركة دون توقف، والطفل معرضٌ للأذى، والشيخ الكبير على عكازه يرمى وماله من وزر عمله، فأصبح الموت والهلاك يتربص بهم ومالهم من ناصرٍ ينصرهم، ولا يدُّ إنسانية تحتضنهم، والزركلي هنا قبل كل شيء يؤكد على وطنيته النبيلة الصادقة التي تعايش الإنسان في أحلك الظروف والأزمات<sup>(٢٤٥)</sup>:

---

(٢٤٤) الديوان، ص 117

(٢٤٥) الديوان، ص 210

إِنَّ الدَّمَ المَهْرَاقَ فِي جَنبَاتِهَا لَدَمِي وَإِنْ شِفَارَهَا لَشِفَارِي  
دَمْعِي لَمَّا مُنِيَتْ بِهِ حَارٍ هُنَا وَدَمِي هُنَاكَ عَلَى ثَرَاهَا جَارِي  
يَاوَامِضَ البَرَقِ اطمئنَّ وناجني إِنْ كُنْتَ مُطْلِعاً عَلَى الأَسْرَارِ  
مَآذَا هُنَاكَ؟ فَإِنَّ صَوْتاً رَاعَنِي والصَّوْتُ فِيهِ جَفْوَةٌ الإِذْعَارِ  
النَّارُ مَحْدَقَةٌ بَجَلَقٍ بَعْدَمَا تَرَكْتَ " حِمَاةً " عَلَى شَفِيرِ هَارِ  
تَنَسَّابِ فِي الأَحْيَاءِ مَسْرَعَةَ الخَطَى تَأْتِي عَلَى الأَطْمَارِ والأَعْمَارِ  
وَالقَوْمُ مُنْغَمِسُونَ فِي حَمَاتِهَا فَتَكَأُ بِكُلِّ مُبِرِّاً صَبَّارِ  
الطِفْلِ فِي يَدِ أُمِّهِ غَرَضُ الأَذَى يُرْمَى وَليْسَ بِخَائِضٍ لَغْمَارِ  
وَالشَّيْخُ مُتَكَنّاً عَلَى عُكَّازِهِ يُرْمَى وَمَا لِلشَّيْخِ مَنَ أَوْزَارِ

ذلك هو الواقع الأليم الذي أصاب أرض الوطن، عندما ظلم ورمي بالقنابل فتأثر منها الضعفاء والنساء والشيوخ، والشاعر هنا يؤكد لنا بعمق الرحمة بالضعفاء والمساكين الذي اضطهدوا بلا ذنب مقترف، والسبب هم الفرنجة الذي تعدوا على الأمهات والأطفال والآمنين بل وعلى كل ضعيف<sup>(٢٤٦)</sup>:

طَارَتْ بِأَلْبَابِ الفَرَنْجَةِ صَيْحَةً فِي الشَّامِ ، فاندفعوا إلى الأَسْوَارِ  
وَعَدَوْا عَلَى الأَطْفَالِ فِي حَجْرَاتِهِمْ وَالمَطْفَلَاتِ وَهَنَ فِي الأَخْدَارِ  
عَمَّوْا بِمُضْطَرَبِ القَدَائِفِ كُلِّ ذِي ضَعْفٍ ، وَخَصَّوْا كُلَّ ذَاتِ إِزَارِ  
سَتَرُوا بِضَرْبِ الآمِنِينَ فَرَارِهِمْ فَاعْجَبَ لِعَارٍ سَتَرُوهُ بَعَارِ !

ثم يتألم على الذين تخلفوا فيها؛ لأن أبناء الشام هاجروا من أرض الوطن إلى المهاجر المختلفة ومنهم الشاعر نفسه الذي هاجر هجرة قسرية، ويذكركم من الصبر صبرت دمشق وصبر أهلها على النكال وحرمو النوم من شدة الألم والقتل والتشريد الذي لحقهم وحق بهم<sup>(٢٤٧)</sup>:

---

(٢٤٦) الديوان، ص212

(٢٤٧) الديوان، ص210

صبرت دمشق على النكال ليالياً حُرِّم الرقاد بها على الأشفار  
لهفي على المتخلفين برحبها كيف القرار ولات حين قرار  
يتربون الموت في غدواتهم وإذا نجوا فالموت في الأسفار  
لا يعلمون أي سواد دجنة هم سهداً أم في بياض نهار  
الوابل المدرار من حمم اللظى متواصل كالوابل المدرار  
والظلم منطلق اليدين محكم ياليت كل الخطب خطب النار

والشاعر هنا يرسم لنا تلك اللفتة الإنسانية النبيلة من خلال بكائه وتوجهه على المتخلفين بها  
والباقيين في أرجائها الذين يتربون الموت في الغداة والأسفار ترقب الحيارى لا يعلمون أهم في الليل  
أم في النهار من شدة الفتك الذي لحق بهم من أسلحة مدمرة ومن ظلم حاق بهم مطلق اليدين في  
البطش.

هذا هو حال الأبرياء والضعفاء وحال الوطن المبكي في سوريا، أما في فلسطين "ذلك الجرح  
الذي أشعل الشرارة في وجدان الأمة العربية، وأذكى نيران الثورة فيها على المستعمرين الذين أسهموا  
بإنشاء الكيان الصهيوني" (٢٤٨)، فكان الشاعر يعايش أبناءها ومواطنيها، ويصرخ لخزوتهم، ويهيج  
بمسرورهم، فتراه يكاد يتقطع أسي ولوعة مما يلقاه أهلها من سجن للأبرياء، وظلم للضعفاء، وفي  
قصيدته الرائعة (إلى العلم البريطاني) (٢٤٩) ينشد لنا الشاعر عاطفة إنسانية فياضة بالمبادئ والأخلاق  
الإنسانية الجميلة، مخاطباً فيها العلم البريطاني الذي كان السبب في سيل الدماء وسقوط الضحايا:

تلك الضحايا والدماء تسيلاً هلاً رويت وبل منك غليل  
ياخافقاً لو كان يشعر خلته قلباً يميل به الهوى فيميل  
هذي فلسطين وأنت نزيلها لم يرع فيها مارعته نزيل  
إن كان أوحشك الفضاء فهذه أرواح قتلانا لديك تجول

(٢٤٨) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 231

(٢٤٩) الديوان، ص 230 - 232



تلك الضحايا وسيل الدماء بسبب جرمك وظلمك، والشاعر هنا يخاطب (بريطانيا) ويرمز لها بالعلم الوطني الخاص بها، وهو في ذلك يخاطب العلم (الجماد) ولم يخاطب الإنسان؛ لأن الجرائم التي أرتكبت لا يستحق فاعلها أن يتصف بصفة تدل على الإنسانية بل على الجماد. وكما يستمر الشاعر بمخاطبة العلم مبيناً جرائمه المرتكبة في حق الفلسطيني المضطهد:

ما ذا أقول وأنت تعلم أنها ذلّ الأعز بها وعزّ ذليل  
المسجد "الأقصى" وأنت أقمته حرماً ، خلا محرابه المأهول  
أمست "فلسطين" مُناخاً للردى وتراها بدمائها مجبول  
في كل رابية جسمٌ مزقّت وبكل وادٍ أنةٌ وعويل

أمست فلسطين موطناً للآهات والأوجاع والنكبات، ففي كل مكان وواد جثث ملقاة وأتاتٌ وعويل، وموقد نار ذلك كله هو "وعد بلفور" (٢٥٠) الذي كان بمقتضاه إقامة دولة يهودية في دولة فلسطين قسراً، وهو في الحقيقة وعد الظلم والشؤم والسوء والآثام، وعد جرم وتنكيل واغتصاب للإنسانية وامتنان حقوقها، فمن شأن هذا الوعد أصبح اللظى والظلم على العربي، واليهودي محمول مكرم مصان العرض والحدود:

"بلفور" موقد نارها وعلى اللظى "عدنان" محمولٌ و"إسرائيل"  
ما كان أشأمه وأسوأ يومه "وعداً" عليه الآثام سدول  
علّت كل خفيةٍ مما أرى ووعيته ، فتعدّر التعليل  
أيّد قومٌ كي يحلّ محلّه قومٌ ويرعى القاتل المقتول

---

(٢٥٠) هذا الوعد نسب إلى قائله (آرثر بلفور) الذي كان يقتضي تأسيس دولة يهودية بجانب دولة فلسطين؛ وذلك بحسب زعمهم أن للكيان الصهيوني أحقية تاريخية في أراضي فلسطين، والحقيقة أن هذا الوعد باطل من جميع النواحي الإنسانية والقانونية والتاريخية وغيرها، فلو أخذنا بزعمهم لكانت جميع الدول الإسلامية ليست ملك لأهلها، وكذلك فوجود بريطانيا غير شرعي كونها دولة احتلال، وهي لا تملك أرض فلسطين حتى تتكرم وتعطيها لليهود، لذلك حقاً أنه (وعد ما لا يملك إلى ما لا يستحق)، وأيضاً من المؤلم تشريد شعب وقتل أهله وناسه وإبداله بغيرهم من أجل أغراض عنصرية.

أما العقول فقد أضعت رشادها يا ساحراً من أن يقال عقولُ  
توراة موسى تشتكي وتحتمي بالله ، والقرآن والإنجيلُ

واقع مأساوي وظلم ما بعده ظلم، إنسان يقتل ويشرد ويستم ويرمل ويرمى على قوارع الطرق،  
وإنسان ثانٍ يحل مكانه محفوف بالورود ومبعداً عن المخاطر والأوجاع، بل والقاتل هو الذي يرعى  
المقتول، أي ظلم سيكون؟! إن ذلك الأمر لحق له أن تشتكيه الإنسانية كافة بل وجميع الديانات  
السماوية تبرأ من هذه الفعل المشين، فالناس في خوف واضطراب من شد الموقف، أسلحة، ودماء،  
ونيران .. :

ماذا هناك؟ أمةٌ روعتها في أمنها وأسنه ونصول

النار والدم والحديد طلائعٌ ومباريات الطير والأسطول

وقرب الزركلي لم يقتصر على سوريا وفلسطين فقط، بل كان كل القرب من أبناء وطنه الأم  
جميعاً، فهذا هو يرثي حالهم، ويتألم لضياع وحدتهم العربية، حتى انتسبوا إلى غير أصولهم<sup>(٢٥١)</sup>:

تهجمت النكوب لهم فباتوا أسارى في العراق وفي الشام  
وقُسمت البلادُ بهم فراحوا ووحدهم تصيرُ إلى الجذام  
أمنتسبُ (لأشور) وماضٍ بنسبته إلى (إرم) بن (سام)  
ومُنقطعُ تردّد بينَ بينِ فحارَ فحادَ عن طُرق الرّحام

ويقول عن أهل الحجاز على إثر خروج الملك حسين منها ودخول الملك عبد العزيز فيها وحالهم  
ليس على ما يرام، وذلك من تحبطات الملك حسين في الحكم وانقياده للإنكليز<sup>(٢٥٢)</sup>:

لهفي على أهل الجزيرة في السهول وفي الخزوم  
يتخبطون من العماية في دجى حلك بهيم

---

(٢٥١) الديوان، ص 326

(٢٥٢) الديوان، ص 79

وكما أن الزركلي لم يغفل عن الإنسان في الجزائر الذي واجه ماواجهه أخوه في سوريا وفلسطين وغيرها، والتي "حاولت قوى البطش أن تذيب شخصيته وتقتلع جذوره وتخضع جزءاً آخر منه إخضاعاً أبدياً بادعاء تغريبه وفصله عن محيطه وتاريخه وانتمائه" (٢٥٣)، فصور حالهم وما أصابهم من عدوان أليم (٢٥٤):

وفي أفق الجزائر وهج نارٍ وقودٌ لهيها غيرُ الوُقودِ  
هشيمٌ سعيرها جُثثٌ وهامٌ مُمزقةُ الغلاصمِ والجُلُودِ  
تحومُ العينُ فيها حول دورٍ مُرشقةٍ بلطخِ دمِ جُمُودِ  
مصارعُ ضجَّتِ الفلواتُ منها وضاقَ بها الرحيبُ من اللحدِ  
تناثرت الجماجمُ في تراها مُعفرةُ المهاجرِ والخُـدودِ  
مضت أرواحها تشكو البرايا لخالقها وجدَّت في الصُّعُودِ

وفيما سبق نرى أن الشاعر يندد بما فعله المستعمر في أرض الوطن العربي من قتل وتشريد وسفك وظلم، كما نراه يظهر جرمهم في موضعٍ آخر وإخلافهم للمواعيد والمواثيق والعهود التي لم يفوا بها بل خانوا وأجحفوا، وقاموا بالعطف على الضعفاء حتى يخيل لهؤلاء المساكين أنهم في مأوى وأمان، بل والأدهى من ذلك أنهم حنوا على الإنسان حتى وثق بهم، وبعد ذلك أنكروه ولم يعبأوا به:

هم عاهدوك على الوفاء وما وفوا ووثقت منهم بالحليف فخاننا  
عطفوا على الضعفاء حتى خيلوا لهم المخاوف موهلاً وأمانا  
وحنوا على الإنسان حتى استوثقوا متحكّمين فأنكروا الإنسان!

والحديث عن العهود والمواثيق "التي كانت أبرز ما ساس به الاستعمار البلاد المستضعفة" (٢٥٥)، حملت الشاعر معاناة وألم؛ لأن تلك العهود والوعود كانت في جانب دون آخر، وهي عهود خديعة وكذب؛ وذلك لأنهم يكيلون للإنسانية بمكيالين، فنجدّه يشن حملة على تلك العهود والوعود التي

(٢٥٣) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 231

(٢٥٤) الديوان، ص 290

(٢٥٥) الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، ص 305

يرمها عادة الإنسانية عادة السلام والتسامح، وفي قصيدة(فيم الوني)<sup>(٢٥٦)</sup> نجده يهاجم وعد (ولسن) الذي اغتر به وقسمت الشام إلى دول، لكي ينال اليهود الحرية الكاملة والعيش الآمن في فلسطين، ثم يبين لنا الشاعر أننا لم نجلب من تلك العهود سوى الخديعة والاستخفاف والظلم:

فيم الوني وديار الشام تقتسم أين العهود التي لم ترع والذمُّ ؟  
هل صحَّ ما قيل من عهدٍ ومن عِدَةٍ وقد رأيتَ حقوقَ العُرب تُهْتَضَمُ  
وعود "ولسن" كم أضللت فئةً لأنت أشأم ما سيست به الأمم  
خدعتينا فأنخدعنا فاستخف بنا شمس عن الحق في آذانهم صمم  
أيدعون حقوقاً في مواطننا والمين أقبح ما يطوى عليه فم !

ويقول أيضاً مؤكداً على ظلمهم وسياستهم الجائرة الظالمة التي تكيل للوطن العربي المواعيد الكاذبة والمخادعة:

كم واعدونا ، فإغراءً وتمنيَةً وخادعوننا ، فتفريغٌ وتطيغٌ  
الظلم في عرفهم عدلٌ ومرحمةٌ والأمر بالباطل المنبوذ تشريعٌ  
شران لاتحمل الأقوم عبأهما سياسة الأخذ بالإرهاق والجوع

كما يؤلده أن أبناء وطنه لايعياً المحتل بموتهم، وأما أمواتهم فكأن الأرض انقلبت على عروشها، فعندما اغتيل السردار البريطاني (لي ستاك) في مصر هاجت بريطانيا من شأنها وفرضت غرامة ضخمة على مصر واحتدت على موته ونكست أعلامها، بينما الإنسانية تنتهك وتقتل وتسفك رجالاً ونساءً وأطفالاً في البلدان العربية ولا يحرك لها ساكناً<sup>(٢٥٧)</sup>:

دُم نابه أهریق ، من أبنائها حدت عليه ونكست أعلامها !

---

(٢٥٦) الديوان، ص125

(٢٥٧) الديوان، ص194

وأما جسوم أحرار الوطن تصبح رخيصة لا قسمة لها فتقتل وتروع وينكل بها، بينما نفوسهم أصبحت غالية وقيمتها ثمينة<sup>(٢٥٨)</sup>:

وَجُسُومُ الْأَحْرَارِ تَرُخُّصُ فِي الرُّوعِ وَأَمَّا نَفُوسُهُمْ فَعُوَالِي

ولذلك نجده يهاجم تلك المؤسسات التي تدعي المساواة والتي هي في الواقع مخالفة وظالمة وتسعى إلى تحقيق أهداف غير إنسانية، وفي إحدى القضايا الإنسانية نجده يهاجم مجلس الأمن والوسيط الدولي ( الكونت برنادوت)<sup>(٢٥٩)</sup>:

رسول السلم هل نصرت حقاً بربك أو سعيت إلى سلام  
وهل حكمت ما يُدعى "ضميراً" أم استهوتك زخرفة الكلام  
تساءل كل من لاقاك منّا أنت رسول سلمٍ أم خصام  
وراءك مجلسُ الأمنِ اشمخرت قواعدهُ وقام على دعائم  
يُسمى الظلم عدلاً وهو يدري ويلقي القولَ ينفذ كالسهام  
وحولك من دهانقة البرايا منظمّة تعيشُ بلا نظام  
يُسَيِّرُها غويٌّ أو قسويٌّ وترتع من ضيائك في ظلام

ومن ناحية أخرى نجد أن الشاعر في وطنياته يشن حملة شعواء وبحكم عمله السياسي على تلك القيادات العربية التي أضلت الطريق وعملت من أجل مصالحها الشخصية بعيداً عن المصلحة الإنسانية التي تخدم الجميع، فباعوا الوطن الذي فدي بالأرواح بنظره وعملٍ غيري سوي، فكان العدل في نطاقهم الظلم، والأمر كله فوضى وخراب ونرجسي التنفيذ، والهوى هو الأمر الناهي ومن يبتغي النصح فهو متهم ومجتبى<sup>(٢٦٠)</sup>.

---

(٢٥٨) الديوان، ص 187

(٢٥٩) الديوان، ص 282

(٢٦٠) الديوان، ص 223

فيصب الشاعر جام غضبه عليهم، ويبين لنا بأن ما أبكاه هو غفلة القادة عن الوطن وأهله، مما تسببوا في تواجد الاستعمار الفرنسي في سوريا، والسبب الغفلة والظلم والغرور والاهتمام بشؤونهم الخاصة وترك الشؤون العامة للبلاد<sup>(٢٦١)</sup>:

أنا لا أشكو وني في أمّتي وبقومي إدلالُ الفخـُور  
إنما توشك أن تبكيني غفلةُ القادةِ فينا والصُّدور  
رُبَّ جانٍ قاتلٍ أمّته حملوه سمة القلب الطُّهور  
وبريء لم تدنس يده بأثامِ روعوه بنذير  
سدرت في غيرها شردمة حملت نعت سريّ ووزير  
بسّم الدهر لهم فأنخدعوا وتعاموا عن تصاريف الدهور  
شغلوا عن دأئهم واعتصموا بتعاليمهم إلى أنساب زور  
أنسوا بالظلّ من ألقابهم وأفاقوا فإذا هم في غرور

ويؤكد أننا بغفلتكم فقدنا الضياء، ولم يجلبوا لنا الخير في الأرض، بل كانوا ولا يزالون في دياجير التخبط والظلم والغواية<sup>(٢٦٢)</sup>. وهم بذلك خيّبوا الآمال التي عقدت بهم، فضاع الوطن من أيديهم؛ لأنّ جل همهم في سلب مال ونعمه وفضة وذهب، وبحث عن مرتبة وطلب منصب<sup>(٢٦٣)</sup>:

ياعابثين بأمةٍ نخضت للمجد تفتى أو تُوطئده  
الشرقُ أهرق بينكم دمه وأفتك مُطلقه مُقيّده  
ويلي على وطنٍ يُهدمه من كنتُ أملُ أن يُشيده  
كم صائحٍ: وطني! حسبتُ به كشاف غمته ومُنجده  
دارت به الأيامُ دورتها وارتعت حين رأيتُ مشهده

---

(٢٦١) الديوان، ص301

(٢٦٢) الديوان، ص40

(٢٦٣) الديوان، ص32

لم يهوَ إِلا سلبَ نعمتهِ وكنوزَ فضتهِ ، وعسجدُهُ  
ما كانَ يطلُبُ غيرَ مرتبةٍ أو منصبٍ حتى تقلدَهُ !

## المبحث الثاني: الحرية

الحرية قيمة كبرى ومن أهم القضايا الإنسانية كلها وأساس مبعثها وتلازمها، فهي " ترتبط ارتباطاً وثيقاً بكل القضايا الإنسانية الأخرى التي تنمو في ظلها وتحت رايها المشعة، التي تغمر الإنسان والكون بإشعاعات الأمل والعمل والسلام"<sup>(٢٦٤)</sup>.

وهي من أسمى النعم التي أنعم الله بها على الإنسان ونما في سمائها، وهي حق طبيعي له، ومن المفروض أن يتمتع الإنسان به بمجرد كونه إنساناً؛ لأنها ضرورة للحياة الإنسانية، وإنما يتميز الإنسان بها على سائر الكائنات الحية الأخرى، فإذا كانت الحيوانات محكومة بغرائزها، وبغيرها فإن الإنسان ذو إرادة وقصد، ولا تتحقق إرادته إلا في جو من الحرية الكاملة الواعية، التي لا تخل بمبادئ المجتمع العامة، كما لا تتعدى على حريات الآخرين"<sup>(٢٦٥)</sup>، لذلك فهي معشوقة النفوس الكبيرة التي تعرف ما على الإنسانية من سمو واحترام، والإنسان دائماً في محله ومقامه يسمو دائماً إلى نشدائها ونيلها فهي تعتبر الحياة الجميلة وفقدانها يعني الموت والهزيمة، " فأى إنسان خدمت في صدره نار الحرية وأظلمت جوانب عقله من شعاعها الساطع، جدير بأن لا يعتبر إنساناً "<sup>(٢٦٦)</sup>، والحياة التي تحوي الحرية هي نعمة ما يراد زوالها كما يقول جميل الزهاوي<sup>(٢٦٧)</sup>:

إن الحياة إذا حوت حرية هي نعمة ما إن يراد زوالها

"والحرية قوام كرامة الإنسان، إنها كرامة وميزة إنسانية شاملة، تتأتى من خلال ممارسة الإنسان لاختياره النير، ومع أن البشر قد يمتلكونها على درجات متفاوتة، فإنها ليست امتيازاً خاصاً لأي فرد، أو جنس، أو طبقة، وتنمية الحرية لا تفضل الإنسان عن رفاقه، ولكنها توحى بالقرابة العالمية، لذلك فإن ممارستها هي دعوة إنسانية شاملة"<sup>(٢٦٨)</sup>.

(٢٦٤) د. مفيد قميحة، الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص193

(٢٦٥) د. عبدالكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، ص58، مؤسسة الأنوار، الرياض، ط5، 1398هـ - 1978م.

(٢٦٦) أحمد لطفي السيد، المنتخبات، ج2، ص60، مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، 1945م.

(٢٦٧) ديوان جميل الزهاوي، الأوشال، ص112، مطبعة بغداد، العراق، 1934م.

(٢٦٨) رالف بييري، إنسانية الإنسان، ص13 - 15



فالحرية عند تحقيقها ووجودها في فضاء الإنسانية تكفل للإنسان الحياة السعيدة والعيش الآمن، وهذا ما أكده علماء النفس الاجتماعي من أن أهم الحاجات النفسية الاجتماعية ليعيش الفرد حياة مستقرة "تهيئة بيئة اجتماعية صديقة آمنة تسودها العلاقات الاجتماعية السليمة، وإقامة العدالة الاجتماعية، وإقامة حياة ديمقراطية سليمة تسودها الحرية الشخصية والاجتماعية والسياسية"<sup>(٢٦٩)</sup>.

والحرية بمعناها اللغوي أتت على عدة دلالات وألفاظ - (حر، يحرر، محرر) - والحرية هي فرخ الحمامة وولد الظبية وولد الحية والفعل الحسن والصقر والبازي، والأرض اللينة السهلة<sup>(٢٧٠)</sup>، وفي (اللسان) تطلق على الرجل الحر، وهي تعني العتق وخلاف الرق<sup>(٢٧١)</sup>، وفي (المعجم الوسيط) الخلوص من الشوائب أو الرق أو اللؤم، وكون الشعب أو الرجل حراً<sup>(٢٧٢)</sup>، وبممكننا أن نستفيد من الدلالات اللغوية لمفهوم (الحرية) أنها تستعمل في التمييز بين ما كان حراً من الولادة وبين ما كان عبداً ثم اعتق، وأنها تدور حول الفرد وعلاقته مع غير ذاته أكان ذلك الغير فرداً آخر يتحكم فيه من الخارج أو قوة طبيعية تستعبده من الداخل<sup>(٢٧٣)</sup>.

والحرية بمعناها الفلسفي تعني ملازمة (للوجود)؛ أي وجود الإنسان بالذات، ولكن الحرية المطلقة لا تكون إلا لله، أما البشر فالحرية لهم نسبية<sup>(٢٧٤)</sup>. ويفهم من ذلك أن وجود الإنسان يعني وجود مظهر الحرية بجانبه وهي ملازمة حتمية، وهذا الحرية يجب أن تكون عند حدود حرية الآخرين، فلا يكون هناك تعدد على حريات الآخرين.

ومما سبق نستطيع أن نضع مفهوماً للحرية تتأتى بأن تكون في تلك الدلالة السامية التي تبحث عنها النفوس الطاهرة في دأب دائم من أجل توافر حياة كريمة وعيش رغد بعيداً عن الضوضاء

---

(٢٦٩) د. حامد عبدالسلام زهران، علم النفس الاجتماعي، ص 23، عالم الكتب، القاهرة، ط 6، 1424هـ - 2003م.

(٢٧٠) القاموس المحيط، ص 399 - 400

(٢٧١) لسان العرب، ج 3، ص 117

(٢٧٢) المعجم الوسيط، ص 165

(٢٧٣) عبدالله العروي، مفهوم الحرية، ص 13 - 14، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 5، 1993م.

(٢٧٤) إبراهيم حداد، الحرية عند العرب، ص 5، دار الثقافة.

والكبت والظلم والاستبداد الذي ينجس على الإنسان سعادته ومعيشتة الجميلة، وهذه الحرية يجب أن تقف عند أبواب حريات الآخرين، وهي أحقية وملكية مؤكدة لكل إنسان تسري فيه عروق الحياة.

والحديث عن الحرية في شعر الزركلي نجدها متمثلة بداية بالحرية الفكرية التي تكمن في حمل لواء الكلمة في مواجهة أنماط الحياة التي تقف حائطاً أمام تقدم الإنسان ونيل حقوقه، فالشاعر المعاصر " حمل لواء حرية الرأي المتمثلة بالكلمة إسهاماً منه في تحرير الذات الإنسانية في واقعها معتبراً أن الكلمة لا تقل عن السلاح أهمية وخطورة في العمل على تحرير هذه الذات، لأنها الحافز الأول للثورة بما تملكه من شحنات شعورية هائلة تستطيع أن تؤثر في سير الأحداث ومواجهتها بالأسلوب التي تقتضيه الظروف الراهنة والمستقبلية"<sup>(٢٧٥)</sup> ، والزركلي من الشعراء العظام الذين كان إسهامهم قوياً في حمل لواء حرية الرأي والفكر، فهو بحكم شخصيته القوية واعتماده على نفسه منذ الصغر كان قوي الفكر والتمكين لا تأخذه النفس في الخوف من أحد، إن رأى النافع الحسن في سبيل الرشد للإنسان أشاد به، وإن شاهد القبيح المريب أظهر سوءه ويّين مثالبه رغبةً في التغيير والانتقال لما هو أفضل.

والكلمة في الفكر لها دورها القوي وتأثيرها الملموس والمستمر في النفوس، وتكمن هذه الخطورة في التغيير وإحداث تألب للرأي العام على مكمن الهدف، لذلك " أدرك المستبدون خطورة الكلمة ودورها الفاعل والمستمر في تسير الأحداث وتوجيهها، ولذلك حاولوا أن يقتلوا إشعاعاتها استبداداً عن طريق القهر والظلم، وإما إغراء عن طريق شراء الألسنة والضمائر، لكن الشاعر العربي استطاع أن ينتصر على إغراءات المادة وشهوات النفس"<sup>(٢٧٦)</sup> وناضل من أجل أن يبقى صوته مسموعاً حراً يشارك في جميع القضايا الإنسانية، ولا يعبأ بمن يعذله أو يجبط من عزائمه ويخفي صوته خلف القضبان بالنفي والتهميش والتغريب.

---

(٢٧٥) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 297

(٢٧٦) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 299

ففي قصيدة (هنا وهناك) <sup>(٢٧٧)</sup> نجد الزركلي يشكو هذا الاستبداد الذي ظلم فيه الأحرار مجرد أنهم يتأوهون أو يشكون، كما عد الكلام من الحرام:

هنا وهناك تشتيتُ ونفِيّ وتعذيبٌ يُذيبُ وضربُ هامٍ  
بكل مدينةٍ "بستيل" ظلمٍ وإرهاقٌ على غير اجترام  
إذا حُرمتْ خُطى أحرار قومي وعد بنا الكلام من الحرام  
وكان لمن تأوه أو تشكَّى عقابُ النفي والموت الزؤام  
وكان من الجرائم أن تسامى وكان من المآثم أن تسامى  
فقد حسفت بأهلها المغاني وأوذنت الدّعائم بانحطام

وكما أن شاعرنا ظل يعلي صوته ويشارك في الرأي والقول في جميع القضايا الإنسانية، ففي قصيدة (وساوس) <sup>(٢٧٨)</sup> نجده يشن حملة على الجاسوسية الذين باعوا ضمائرهم وأوطانهم وألستهم وإنسانيتهم من أجل إغراءات وشهوات دنيوية:

تقدمُ خطوةً وانظر فإنني أرى ما لا يُصوره السَّماعُ  
ضمائرَ جرّد الإحساس منها وما النَّبراسُ إن طَفِي الشُّعاعُ  
يُسخرها ويؤجرها ذووها فما هي عندهم إلا متاعُ  
وأعجب ما تُرى سمسارُ قومٍ تذوبُ به الدَّساكرُ والضِّباعُ  
بيعُ بلادهُ وسواهُ راضٍ يُكرِّمُهُ ويُكبرُهُ رعاعُ  
هي الأوطان تُحمى أو تفدى ولم أرى قبلُ أوطاناً تباعُ !

الشاعر في هذه الأبيات حاول أن يرسم لنا معالم تلك الضمائر التي جرّد الإحساس منها فباعت ضمائرها وأوطانها بدراهم معدودة يتقاضونها من قبل هؤلاء المستبدون الذين حولهم إلى أعين

---

(٢٧٧) الديوان، ص326

(٢٧٨) الديوان، ص123

تلاحق كل الأصوات الحرة وتحصي عليهم أنفاسهم وتمنعهم من مناصرة قضاياهم والبحث عن حياتهم الحرة.

إن حقيقة هذه الضمائر المؤجرة تتواجد بين الناس وتروع الحانيات وتثبط الحشود عن المقارعة وموآبة السرايا على التقدم، بل تشجع على الجبن والقعود عن التقدم، فتصبح من هنا تشعل النيران ومن هناك تتقدم بالدبابات والأسلحة الحربية<sup>(٢٧٩)</sup>:

تمرد في دساكرها دخيلاً أغار بكل شيطانٍ مريد  
يروع الحانيات على الذراري ويلوي عن مقارعة الحشود  
ويجبر عن موآبة السرايا ويشجع في مناوشة القعود  
يصب النار من أفق قريبٍ ويزحف بالدباب من بعيد  
على جنبات أخبية العذارى مطيفاً بالشواظ وبالحديد

إن القوى المستبدة التي تحاول أن تكمه الأفواه وأن تقضي على كل صوتٍ حر إذا لم تكن في صالحها وفي الطريق التي ترى أنه يصب في أهدافها، وهي بذلك لا تأتي إلا بكل سيء وخبيث في أجزاء المجتمع من تفرقة ونشرٍ للبغضاء والفساد، والشاعر لم يكن ينساق خلف تلك القوى بل حاول أن يكون له صوته الحر والمستقل<sup>(٢٨٠)</sup> يشارك بالرأي متى ما رآه في صالح المجتمع والشورى في لوائه، وإن رأى الرأي في التفرد ندد به ورفضه<sup>(٢٨١)</sup>:

ساء التفرد في التدبير منتهجاً والرأي للفرد غير الرأي للآل  
لا خير في الحكم لا الشورى تسانده ولا حصافة أقوال وأفعال

---

(٢٧٩) الديوان، ص291

(٢٨٠) يقول الشاعر سليم الزركلي، عنه: حذقت السياسة فن الحياة .. فليت تمين ولست تحابي ، ديوان الزركلي،

ص20

(٢٨١) الديوان، ص248

وأكثر صوت الزركلي الحر كان في القضايا الإنسانية، التي تخدم الإنسان وطموحاته، وفي قصيدة (متى)<sup>(٢٨٢)</sup> يوجهها لبعض العاملين في القضية العربية بعد نكبة فلسطين الذي كان موقفهم موقفاً مريباً:

(٢٨٣) بني عَمْنَا ضِعْتُمْ ما ملكْتُمْ وأصبحتم أخذانَ إتلِي وَيِفْنِ  
تواروا عن الأنظار أو فتقدموا ولا تقفوه موقفاً غير بين  
لكلّ قضاياها وللعرب كلهم قضية وتري خطبها غير هيّن  
متى يُمح عار اللاجئات وتندم لـ جراحات شعب من ذرى العرب مشخن  
فعودوا إلى ضوضائكم وتخيّروا لكم مظهرأ أو فاستقروا بمكمـن

كما نرى في عام 1965م يعلق على صورة لإحدى اجتماعات مجلس الوزراء في إحدى الدول العربية بقوله الاستيائي والصريح فيهم أيام تخاذلهم عن الشؤون العربية<sup>(٢٨٤)</sup>:

عقدَ الجمعُ ندوةً للأحاديثِ وتروي أسمارها السُّمارُ  
ما الكراسي كما تراها كباراً إنما الجالسونَ فيها صغارُ !

والحقيقة أن الشاعر من خلال دخوله في السياسة وتناغم ذلك مع إنسانيته النبيلة وإيمانه الشديد وحبّه للحرية وتفضيله للديمقراطية في الحكم نرى له في الديوان العديد من القصائد الرائعة التي ينصح فيها الزعماء ويرشدهم إلى ما يراه في صالح أبناء الوطن<sup>(٢٨٥)</sup>، وإن رأى العمل في صالح

---

(٢٨٢) الديوان، ص306

(٢٨٣) إتلِي وَيِفْنِ: من زعماء الإنجليز

(٢٨٤) الديوان، ص313

(٢٨٥) قصيدة (إلى أمير) ، الديوان، ص183

الخير أشاد به<sup>(٢٨٦)</sup>، وإن رآه انخرط عن المسار الصحيح وجه إلى النقد الرادع<sup>(٢٨٧)</sup>، وإن امتدح ولقي هناك ما يرضي لا يكابر في التقدم بل يتراجع على التو<sup>(٢٨٨)</sup>:

يقولون أعقت الشاء مذمةً فقلتُ: كلامٌ قلتُهُ ومحوئُهُ!  
مدحتُ على شبه اليقينِ بأنه جديرٌ ولما لم يكنهُ هجوئُهُ!

كما تكمن الحرية الفكرية عند الشاعر كذلك في الدين الإسلامي، وقد يخطئ بمن يقول بأن الدين الإسلامي يعارض حرية الفكر، وهو جمودي ورجعي ومعادٍ لحقوق الإنسان، ومقيد لها من الإنطلاق في آفاق أوسع ومجالات أرحب، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وهديناهم النجدين﴾<sup>(٢٨٩)</sup>، أي طريقي الخير والشر، بينا له الهدى من الضلال، والرشد من الغي<sup>(٢٩٠)</sup>، والإنسان له الاختيار والإرادة في اختيار ما يريد، وهو صاحب المسؤولية الكاملة عن اختياره الذي يختار.

ومفهوم الحرية في الإسلام "يرتكز على تحرير عقله من الارتكاس في العبودية للكون أو البشر، وإخلاص العبودية لله تبارك وتعالى وحده لا شريك له، كم يرتكز على تحرير نفسه من نوازعه الغريزية التي تستبد به وتدفعه إلى ما يشقيه"<sup>(٢٩١)</sup>، وهذا ما بدا واضحاً عند الزركلي، فذات الزركلي مؤمنه بربها، متحررة من كل شيء معبود من دون الله، وقصيدة (الوجود)<sup>(٢٩٢)</sup> فيها دلالة قاطعة على ظهور هذا الإيمان الرباني والتوحيد الخالص في نفسه المنقادة إلى خالقها والسائرة إلى بارئها، وذلك من خلال استغراق وتأمل في أمور الإنسان الخفية وكيف أنها دلت على توحيد الله سبحانه وتعالى:

---

(٢٨٦) قصيدة (الأمير) ، الديوان، ص40

(٢٨٧) قصيدة (استقبلوا) ، الديوان، ص299 ، وقصيدة (وزارة)، ص74

(٢٨٨) الديوان، ص99

(٢٨٩) سورة البلد: الآية 10

(٢٩٠) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 925، ت. عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1423هـ - 2002م.

(٢٩١) عمر عودة الخطيب، نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري، ص 138، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1399هـ - 1979م.

(٢٩٢) الديوان، ص22

صَرَخَ الْوَجُودِ عَلَى الْخُلُودِ بِنَاؤُهُ يَبْقَى وَتُطْوَى أَرْضُهُ وَسَمَاءُهُ  
لِلْكَائِنَاتِ عَلَى خَفِيِّ نِظَامِهَا سِتْرٌ تَكَاثَفَ ظِلُّهُ وَغَشَاؤُهُ  
لَمْ يَدْرِكِ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ بَيْنَهَا وَيُرُومُ يَكْشِفُ كُنْهَهَا اسْتِقْصَاؤُهُ  
مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ابْتِدَاءً مِثْلَوْلِهِ وَإِلَى مُحْجَبَةِ الْغُيُوبِ نَهْـآؤُهُ  
مَا بَيْنَ يَوْمِي فَقَدِهِ وَوَجْـوُدِهِ حُلْمِ كَوْمِضِ الْبَرْقِ شَعَّ ضِيَاؤُهُ  
سُبْحَانَ مَنْ دَلَّتْ عَلَى تَوْحِيدِهِ آلَاؤُهُ وَتَعَدَّدَتْ أَسْمَاؤُهُ

وهذه الحرية تعتلي في الأفق عند الزركلي وتشمل ما يواجهه الإنسان الآخر، رغبة في إنقاذه من تلك الخرافات والبدع التي لاتسمن ولا تغني من جوع، وتجعل الإنسان يشرك بربه ويسلك طريق الخسران، وذنوب الشرك عظيم في شريعة الدين الإسلامي، يقول الله تعالى (٢٩٣): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ، فالزركلي في قصيدته (زيتٌ وآسٌ) (٢٩٤) يصور لنا حال تلك المرأة التي تصلي على اللحود والأرماس، وزيتٌ وآسٌ برفقتها تسقي الأضرحة، ثم تدعو الولي صاحب الضريح بأن يمحو منها الأوزار ويشفي قلبها من كل سوء، ثم تفارق المكان وهي مطمئنة بأن قلبها لن يلحقه بأساً، وهذا كله عبادة للقبور وهو من أعمال الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة:

حملت زيتها المروِّق ، وانسا بت تَوْمُ اللُّحُودِ والأرماسا !  
كُلَّمَا شَارَفْتُ ضَرْحاً سَقَيْتُ قِنْدِيلَهُ مِنْ قَارُورَةِ الزَّيْتِ كَاسَا !  
ثُمَّ هَزَيْتُ شُبَاكَهُ وَهِيَ تَدْعُو وَرَمَاماً دَعَتْ بِهِ لَا أَنَا سَا !  
يَاوِيَّ الْمَحِيبِ ! حَسْبُكَ مِنِّي أَنِّي قَدْ وَضَعْتُ زَيْتاً وَأَسَا !  
فَأَنلِي مِنْكَ الرِّضَى وَاشْفِ قَلْبِي وَامْحُ عَنِّي الْأَوْزَارَ وَالْأَدْنَاسَا !  
يَمَّتْ دَارُهَا وَفِي مَقَلَّتَيْهَا عِبْرَاتٌ أَبَتْ لِهَنْ أَحْتِبَاسَا !  
وَتَمَشَّتْ وَقَلْبُهَا مَطْمَئِنٌّ أَنَّمَا بَعْدُ لَنْ تُحَاذِرَ بَاسَا !

(٢٩٣) سورة النساء: الآية 48

(٢٩٤) الديوان، ص138

ثم يقول الشاعر متعجباً من أن ماتفعله لا يستسيغه العقل، وأنها بفعلتها تلك تظلم نفسها،  
وتجهل طريق الصواب، فهل من المعقول دعاء وتضرع وطلب إجابة من جماد لا يملك حتى الشعور  
والإحساس!

خففي عنك يا ظلوم عناءً إنما أنت تجهلين القياسا  
كيف تدعين في التراب رَمِيماً لاشعوراً ولا إحساساً؟

وفي قصيدة (المحمل)<sup>(٢٩٥)</sup> نجد أن الزركلي لا يقبل ممن يحسبون أن لمسه من محمل جماد يقربهم  
إلى الله أو إلى آل النبي - صلى الله عليه وسلم - فالهدى والتقوى ليس بجهد الحقائق، بل بالفكر  
المتحرر من هذه الخرافات التي كانت سبيلاً للغواية والانحراف عن طريق الحقيقة:

ورُبُّ أناسٍ يحسبون هُداهمُ تَقَرُّبهمُ من مَحْمَلٍ يلمسونه  
يقولون: من عند النبي وآله أتانا ، وما يدرون ما ينسبونه  
وهل مَحْمَلُ الأَقوامِ إلا مُزخرفٌ من النسجِ لا يغلو الذي يلبسونه  
نسيجٌ ديمقسيٌّ أو حريرٌ مُزورٌ تردى به اللوح الذي يغرسونه  
لقد جهلَ الناسُ الحقيقةَ وابتغوا سبيل العمى والغَيِّ يلتمسونه !

الجهل بالحقائق هو من دعا الناس للحياد عن الحرية المنشودة، ووضعها من الأمور التي تقف  
سداً منيعاً وعاق من العوائق المضادة للحرية الفكرية، فأصبح الناس ظالمين أنانيين حادوا عن الطريق  
الصحيح وأضلوا الناس معهم<sup>(٢٩٦)</sup>:

الأناسيُّ ظالمون أنانيون ظلوا سبيلهم وأضلوا  
زعموا الجهلَ بالحقائقِ علماً وإذا علمهم خيالٌ وجهلٌ

وأما من ناحية تحرير الزركلي من نوازعه الغريزية التي تستبد بالإنسان وتدفعه إلى ما يشقيه، وفي  
قصيدة (تأهب)<sup>(٢٩٧)</sup> نجد الشاعر يدعو الإنسان إلى الحياة وذلك من خلال زجر النفس عن هواها:

(٢٩٥) الديوان، ص 244

(٢٩٦) الديوان، ص 267



إن بغيته الحياة فاحرص على الموت فكل امرئ يُصادف حتفه  
وازجر النفس عن هواها تصنها وتأهب لكامل الشّرّ تكفه

وفي قصيدة (تسيحات) (٢٩٨) نجد ابتهال الشاعر وتضرعه ودعاءه إلى الخالق عز وجل، وزجره

للذات حين تعصي خالقها، وتتبع هواها:

ربّ سُبْحانَكَ ما أَجهلني حين أعصيك . ولكن أنا من؟

ومضةً في راعِدٍ أو ذرّةً في هبوب الريح أو طيف وسن

ومن ناحية أخرى يرى الزركلي أن التوقُّع على القديم وعدم النظر إلى الجديد والتزود منه هو من يجد من التحرر الفكري، فالنظر الأعلى إلى القديم يجعل الفكر مستعبداً وأسيراً للماضي ومقيداً من الانطلاق إلى الحياة الجديدة؛ لأن في النفس قصوراً عن كشف الحقائق مادام الإنسان لم يفك إيسار عقله وقيوده من القديم، وفي قصيدة (الغد) (٢٩٩) يحث الشاعر على ذلك ويحذر من خطر الجمود على القديم ويشجع على الالتحاق بحجرات العلم:

خُذْ في حديثِ غَدٍ وما يتلوا غدا مُتجدداً إن الزمانَ تجدداً

أسدل على الماضي الحجاب فإنه زمنٌ تناثر عقده وتبدا

يا أيها الشبّخ الممدلُ برأيه والمستزيدُ من الفنون تزودا

أجهدت نفسك باحثاً عن كُنْهها وقُصارُ نفسك أن تجدَّ وتجهدا

لك في الحياة حقيقةً مجهولةً والحقُّ يأبى فيك أن يتعددا

حررت جسمك من إيسار قيوده ومتى تحرر عقلك المستعبدا؟

ما كان من سنن الطبيعة أن ترى خطرَ الجمود على القديم وتحمدا

ابن الدعائم للحياة فما غدُّ بالملكفهر وإن رأيت تلبدا

(٢٩٧) الديوان، ص 256

(٢٩٨) الديوان، ص 130

(٢٩٩) الديوان، ص 200 - 201

ودعامة الغدِ دارَةٌ حجـراتها تُؤوي الرشيدَ وتحضن المسترشدا  
ألمٌ بها وأطف وطأطئ حرمة حيث الجباهُ حريةً أن تسجدا

الحرية التي ينادي بها الشاعر هي الحرية التي تجعل الإنسان يخلق في فضاءٍ بعيداً عن الجهل  
والجمود والتقوقع حول الذات، إنها حرية تتفتح من خلالها بذور العلم العصري والثورة المعرفية  
والانطلاقة إلى حياة حديثة تبعث الإنسان إلى التقدم والنمو والازدهار والمكانة اللائقة به.

وفي نطاق آخر غير الحرية الفكرية نجد عند الشاعر نوعاً آخر، وهي حرية الشعب، والحرية من  
هذا السياق نجد أن "الشاعر العربي أدرك معناها وعرف طريقها، وذلك من خلال الممارسات  
النضالية للإنسان في سبيل بلوغها، فأصبحت الحرية بالنسبة إليه شغله الشاغل وهدفه الأسمى الذي  
يطمح إليه، لأنها تشكل جوهر كرامته ووجوده، كما تشكل جوهر الإنسان في كل مكان  
وزمان<sup>(٣٠٠)</sup>، والزركلي كان من أبرز الشعراء الذين عرفوا طريق هذه الحرية وحفظوا هذا الطريق عن  
ظهر قلب، وهو شاعراً حراً يبحث عن الحرية أينما حلت وأقامت، فلتجده هنا وهناك في كل ساحة  
وموقف يركض خلف الحرية التي من شأنها تتحقق مطامح الإنسان وكرامته ووجوده وعيشه السعيد،  
فحال الإنسان لم يكن بالشكل الجميل، ولم يكن ينعم بتلك الحياة السعيدة، بل كان الشقاء والألم  
في ملازمته، والموت أمام عينيه في الغدو والآصال، والحال هو الحال من سيء إلى أسوأ، فكان  
الزركلي يقف إلى أبناء شعبه، ويفديهم بدمه وماله، ويعيش معهم أجواء الحرية الحقيقية المفقودة التي  
سلبت وأهديت بمقابلها السلاسل والقيود والتشرد والضياع الروحي والمكاني.

لذلك أصبحت حرية الشعوب عند الزركلي هدفها هو تحرير الإنسان ابن الوطن من جميع أروقة  
القوى السياسية من مستعمر وغيره، لكي ينعم الإنسان بتلك الحياة الجميلة التي تسودها العلاقات  
الإنسانية الجميلة والأواصر الأخوية السامية بعيداً عن كل ظالم مضطهد مستبد يحاول أن يكون  
الإنسان في مصاف معيشة الحيوان، خالي الوفاق من الحقوق والواجبات التي تعتبر من أوجب

الواجبات الإنسانية، بحيث لا يعبأ به كيف يعيش؟! أو من أين يعيش؟! والمهم عنده هو تحقيق أهدافه المعادية للإنسانية والخلق الرباني.

وهذه الحرية بلا شك من أنبل الأمور الحميلة، وأعظمها شأنًا في حياته، وأجلها أمرًا وقيمة، وهي من دواعي السعادة والعيش الآمن، وخروجه من سوريا إلى بقية الدول العربية من البراهين المؤكدة على عظم شأن وقيمة الحرية التي تمنح صاحبها من الجوب في فضاء الكون الفسيح، بعيداً عن كل مكدرات الحياة<sup>(٣٠١)</sup>.

فالشاعر هنا رأى أن الحياة في الوطن بدون حرية إنما حياة بالية خالية من ألوان السعادة والجمال، إذ وجد أن الحرية من الأمور الداعية إلى الحياة السعيدة، والإنسان بطبعه لا يرضى الظلم والضيء والذل والعار، وفقدان الحرية في الوطن يجعل كل شيء مهبطاً وقبيحاً كالسجن والقبر واليأس والموت.

وهذا العزوف عن موطنٍ ذلّ فيه العزيز وعزّ الأوضع، هو شعور الكرامة والعزة والإباء، شعور الرفض المطلق عن إخضاع الحريات الإنسانية، الذي أمتهنت وأذيت بالقهر والإخضاع القسري، شعور إما العيش الكريم وإما الموت بعزة وفخر، شعور رائع من أجل توافر حرية ينعم فيها الإنسان بحياة عزيزة كريمة تخلو من الاتعدامية والتهميش، ففي الشام أمة لا تطيق الضيم والخنوع مهما وسعها من ظلم وعذاب<sup>(٣٠٢)</sup>:

إن في الشام أمة لاتطيق الضيم تأبى العلا أن تطيقا  
أوسعوها تعلقة ووعوداً وسقوها من الخداع رحيقا  
أنذروا بالموت ما أعذب الموت إذا كان للحياة طريقا  
مكروا جهدهم بنا وليأبى المكر إلا بأهله أن يحيقا  
نحنُ في حندين من الظلم داجٍ والظبي تفضح الظلام شُروقا

---

(٣٠١) الديوان، ص139

(٣٠٢) الديوان، ص173

وفي مقطوعة أخرى يقول (٣٠٣):

ألا وثبة إننا أمة تقص مع الفجر أنيابها

فإما الحياة على عزة وإما المنايا وضراؤها

وفي فلسطين على وجه الخصوص التي أمست مناخاً للردى والاعتداء ومرتعاً للظلم والاضطهاد

والأخذ بالباطل والزهق (٣٠٤):

المسجد الأقصى المبارك حوله نظرات همّ مُوجع تحديقها

لم تستكن النفوس وإنما سُدت عليها في الحياة طريقها

ضاقت سجون الأبرياء بأهلها والظلمُ يأبى أن يُفرج ضيقها

وتمدّد الجرحى ، بساطهم الثرى وعلى ثغورهم المنى وبروقها

ومضى بأرواحٍ إلى خَلّاقها حادٍ من الخُلُق الأبي يسوقها

إن ماسبق يوحى لنا بالأنفة والفداء وبذل النفس في مقابل سبيل العزة والحرية، يوحى لنا بأن

الإنسان في وطنه هضم حقه وأخذ ما يملك وهدد كيانه، وسجن وجرح وظلم ونكّل به، ولكن وفي

خضم ذلك لا بد من أن الحر هو من تأبى نفسه أن يعيش إلا حراً، وأن يعيش إلا مرفوع الرأس

مكرماً مصاناً وغير ذلك هو عيش الذل والهوان (٣٠٥):

من عاش حراً أبت نفسه المنية عبداً

ومن تسربل عـزاً لم يكتس الذلّ برداً

وكذلك نجد في قصيدة (العذراء) (٣٠٦)، الذي يصور لنا الشاعر نموذجاً آخر، في صورة ذلك

الفتى الذي كان رمزاً للحرية والفداء، والذي قتل من ضيفٍ على أسرته في حلك الظلام الداجي،

---

(٣٠٣) الديوان، ص 184

(٣٠٤) الديوان، ص 235

(٣٠٥) الديوان، ص 219

(٣٠٦) الديوان، ص 354

وذلك من خلال رمزية جميلة يرمز لنا بها عن تلك الأرواح الطيبة من أبناء الشعب التي تبحث عن  
حريتها المسلوبة، فتذهب ضحية ذلك العدوان الآثم:

أنا إن مت فقد أحييت للناس مثلاً  
إنما الحرّ إذا سيم الأذى يجهر : لا ، لا !  
هكذا فليلتق الموت فتیان الوفاء  
ما أرى في صفحة العالم حيّاً للبقاء

تلك العزة وذلك الإباء حاول الزركلي من خلالهما أن يوقد ويغرس في النفوس والقلوب معنى  
الحياة التي يعيش فيها الإنسان بكل عزة وكرامة بمنأى عن الذلّ والهوان، لا يقيدده فيها ظالم ولا يتعالى  
عليه مضطهد، بل يرفل بكل أريحية حقوقية منحت منذ نشأة وجوده، وتلك الحياة الحرة هي المطلب  
والهدف، يقدم الإنسان نفسه فداءً من أجلها، من أجل السمو وتحقيق إنسانيته المنشودة.

وتحقق الحياة مزوجة بالعزة والإباء مما ينتج حرية كاملة، تتطلب التضحية ومجابهة ما يلاقيه  
الإنسان من الضيم والاضطهاد وذلك بالعتاد والقوة وإشعال نار الثورة والحرب، فإن " أهم الحروب  
التي يشعلها الإنسان المعاصر هي تلك التي يخوضها طلباً للحصول على حريته التي طالما افتقدها  
وأصبح الآن متلهفاً عليها ليعوض بامتلاكها عن تلك السنين التي حرم منها، وهذه الحروب تتطلب  
كثيراً من التضحيات ولكنها في النهاية حرب شريفة تهدف سعادة الإنسان وشرفه" (٣٠٧)، فالمقاومة  
من أجل الحرية هي مقاومة شريفة ونبيلة لا يلام صاحبها ولا يعاتب من أجلها(٣٠٨):

في فلسطين قومٌ جرّعوا المصاب مُرّ

كان للمجد يوم كلُّ يومٍ يمرّ

ماعلى الحر لوم إن أبي القيد حُرّ

---

(٣٠٧) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص195

(٣٠٨) الديوان، ص97

الحر إن قام بالثورة والحرب في مقابل ما يأتيه من ضيم ومر ليس عليه لوم في ذلك، فدفاع الحر عن نفسه من أشرف الأعمال وأنبهها، فالأحرار عندما يسامون الأذى يأبون ذلك ويرفضونه ولا يستسلمون له أبداً، فالشعوب إذا استنفرت ستنفر نفوراً إلى الحياة<sup>(٣٠٩)</sup>:

انظر إلى القوم لاحولٌ ولاعضدٌ ثاروا على البغي ما هابوا ولا ريعوا  
أباة ضيمٍ مقاديمٌ إذا استعرت لظى نضالٍ ، مناجيدٌ ، مساريحٌ  
سيمو الأداة فلم يحنوا رقابهم ذلاً ولا استسلموا والأنف مجدوعٌ  
وهل يطاقٌ وللآلام ترجيةٌ عبء الحياة وللغصات تجريحٌ  
وهل تنام وللأكباد تصليةٌ عين المضميم وللأوصال تقطيعٌ؟  
إن الشعوب إذا استنفرت نفرت إلى الحياة ورأب الرفق مصدوعٌ

فالشعب الحر إن عرف طريق التضحية التي من شأنها تتحقق الحرية الأكيدة فليس له مانع أو محيد عن ذلك أبداً<sup>(٣١٠)</sup>:

الشعب إن عرف الحياة فماله عن درك أسباب الحياة محيد

وإن سُدَّ الطريق في إفساحه للإنسان لينعم بحريته التي هي من حقوقه ومن ملكياته الخاصة، فلا سوف ينصفنا السيف، وبالسيف سنبلغ طريق الحرية<sup>(٣١١)</sup>:

وإن تأبوا فإن السيف ينصفنا والسيف يبلغ ما لا يبلغ القلم  
إنا لنقدم والأشلاء ناهــــــدة في الجو تعبت فيها الريح والنسم  
لانثني عن منانا أو يحل ردى لا شارحٌ منه بالناجي ولا هرم  
إن لم يكن في حياة المرء من شرفٍ فإنها بالردى قد تشرف الرمم

---

(٣٠٩) الديوان، ص128

(٣١٠) الديوان، ص118

(٣١١) الديوان، ص126

إن هذه الثورة والحرب التي تتحقق فيها حرية الإنسان "تهزأ بالقيود وبكل القوى المستبدة؛ لأنها إرادة وتصميم، ومتى صمم الإنسان على نيلها فلا تقف في طريق انطلاقته نحو تحقيقها أية موانع، ولن يعدم الوسائل الكثيرة من أجل بلوغ هذه الغاية السامية التي ترخص الأرواح من أجلها، فكم من الشهداء الذين دفعوا حياتهم على مذبح هذه الشعلة المقدسة، وأقدموا بكل جرأة وإصرار وعزم مستخفين بالموت وهازئين بجبروته وبطشه، من أجل أن يكتب شرف الشهادة على طريق الحرية طريق النصر والخلاص"<sup>(٣١٢)</sup>.

وهؤلاء الشهداء الأحرار الذين بذلوا أنفسهم رخيصة من أجل تلك الحرية المنشودة، ودفعوا أنفسهم فداءً للحرية المسلوبة من أجل عيش كريم، نجد أن الشاعر ولعمق إحساسه المرهف ومشاعره الإنسانية الفياضة وبعد أن أبرز تلك المعالم النضالية في شعره حيناً بعدها تلك المواقف الإنسانية الغالية، الذين اعتبرهم أنموذجاً أمثل للإنسانية كافة في نشدان الحرية، ورمزاً خالداً لاتشغلنا عنه المنية والبعد والفراق، بل تذكي في النفوس شعلة الحرية.

والصورة الإنسانية التي رسمها الشاعر لضحايا الحرية والبطولة والفداء، هي صورة الإنسان الطاهر الذي حمل إنسانيته النبيلة على عاتقه، حمل النبل والمهابة والحزم وصدق العمل والقول والبأس والندى وكل الفضائل، فبحث عن حريته التي سلبت، وعندما لم يجدها بذل روحه رخيصة للموت وليس أي موت، من أجل وجود حرية العيش التي هي أقدس ما للفرد حاصل عليه<sup>(٣١٣)</sup>.

ولعل صورة الإنسان الحر على بساط الموت لتفويض المدامع وتأسر القلوب وتذيب الأضلع بين الصدور، وفي قصيدة (الشهداء)<sup>(٣١٤)</sup> يعرض الشاعر لنا لوحة أخرى من لوحاته الإنسانية لضحايا الحرية والفداء الذين أعدموا من قبل الأتراك:

فمن للمدامع ألا تفويض وألا توالي هتـاها

ومن للأضالع ألا تذوب وقد ناءت الروح جُثماتها

---

(٣١٢) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 198

(٣١٣) انظر المبحث السابع (النموذج الإنساني).

(٣١٤) الديوان، ص 164 - 165

وهل لدم ألا يثور ويدفع للحرب فرسانها  
فجائع هن حديث القلوب وهيئات تستطيع سلوانها  
وثوب يندب للعالمين عيون الربوع وتيجانها

إن هذا المشهد المؤلم ليبيكي الإنسانية كافة من غير تخصيص ويجعلها تتور ثورة البركان ودفع ما  
تملك للتضحية من أجل الحرية، ففجائع الموقف وهوله عندما رئي الإنسان فيه معرض للأذى  
والظلم، لهو شيء في قمة الأسى والألم، فهذه المظالم من كثرتها لو نطقت، لأومضت في الناس  
السلام والمحبة.



## المبحث الثالث: الغربة والحنين

### 1- الغربة:

تتعدد المفاهيم اللغوية الدالة على مصطلح الغربة، وأشهرها النوى والبعد<sup>(٣١٥)</sup>، والنزوح عن الوطن<sup>(٣١٦)</sup>، والتباعد أو التنافر أو الانفصال عن شيء ما<sup>(٣١٧)</sup>، والتغريب يعني النفي عن البلد، ورجل غريب بعيد عن وطنه، واغترب غربه الدهر<sup>(٣١٨)</sup>، وبذلك نرى أن المفهوم اللغوي يعني ابتعاد الفرد عن الأهل والوطن، وكذلك الانفصال عن شيء ما.

والمفهوم الاصطلاحي للغربة هو "النزوح عن الوطن، أو البعد والنوى، أو الانفصال عن الآخرين.." <sup>(٣١٩)</sup>. وهو كذلك "الانسلاخ عن الواقع الفاسد والاستياء منه والعداء والتصدي له بحيث يبدو هذا الواقع وكأنه كائن متجمد يتخبط في أحوال تلتصق به الأقدام فلا تستطيع تجاوزها والخلاص منها، برغم كل الجهود التي تبذل والمحاولات التي تتكرر والتي يرى الباذل أكثرها جهوداً ضائعة لا جدوى منها فينطوي على نفسه، ويعاني عذاب الوحدة والعجز عن تغيير الواقع ويقطع صلته بالآخرين الذين لم يستطيعوا أن يستوعبوا تطلعاته التي يحاول بها أن يضيء خطوط المستقبل ويرسم طريق الأمة في مدارج الرقي والتقدم" <sup>(٣٢٠)</sup>.

وبذلك المفهوم ليست الغربة "انفصاماً عن عالم الواقع وهروباً إلى عالم التخيلات الوهمية المبتورة الجذور" <sup>(٣٢١)</sup>، بل تؤدي إلى "التقاط وكشف للنشاطات الإنسانية الجوهرية وتمزيق للبراقع

---

(٣١٥) لسان العرب، ج10، ص32

(٣١٦) القاموس المحيط، ص146

(٣١٧) د. محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني، ص22، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2004م.

(٣١٨) لسان العرب، ج10، ص32

(٣١٩) رجب محمود، الاغتراب، ج1، ص43، منشأة المعارف المصرية، الإسكندرية، 1978م.

(٣٢٠) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص395

(٣٢١) نفس الكتاب السابق، ص395

المهلهلة" (٣٢٢) التي من شأنها يتحول الحال إلى ما هو أفضل في حياة الإنسان، فتؤدي وظيفتها بإيجابية، وليس " وظيفة سلبية تبعد صاحبها عن المشاركة في تحمل المسؤولية وأعباء الحياة، كما تجعله عدس التأثير في الغير، هذا التأثير الذي يفرضه التطلع الواعي نحو المستقبل ونحو مجابهة العوائق من أي مصدر أتت، لأن وظيفة الشاعر هي وظيفة الكشف والخلق والابتكار، والتخلي عن ذلك يعد وقوفاً متعمداً على هامش الحياة، ونزوعاً مقصوداً إلى اللامبالاة.. " (٣٢٣).

وبذلك نرى أن الغربية هي " حالة نفسية اجتماعية تسيطر على الفرد فتجعله غريباً بعيداً عن واقعه الاجتماعي " (٣٢٤)، وهذه الغربية ليست غربة سلبية بل غربة إيجابية؛ لأنها تنشط الشاعر إلى القيام بالكشف والخلق والتغيير من أجل إحداث نقله إنسانية أفضل من سابقتها. كما أنها تعني الابتعاد عن أرض الوطن والأهل والأحبة سواءً كانت تلك الغربية بدافع إرادة أم بدافع قهري.

وقد ظهرت مظاهر تلك الغربية في شعر الزركلي التي أبعدته عن واقعه مما تبين لنا بأنه يعاني من غربة نفسية وروحية وهي ليست الوحيدة في شأنها، بل نجد ومن جهة أخرى يشكو غربة مكانية عن الأهل والديار والأحبة، ولاشك أن تأثيرها كان تأثيرها بالغاً عليه؛ لأنها هي أول ما تأثر منها؛ وذلك عندما نفي وأبعد من وطنه قسراً بلا إرادة، من خلال الحكم عليه بالإعدام غيابياً، وبالإضافة لأنها "من أشد أعراض التمزق النفسي التي تتعرض لها الشخصية العربية المحاطة غالباً بالالتفاف الأسري والترابط الودي الشديد بين أفرادها" (٣٢٥).

---

(٣٢٢) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص395

(٣٢٣) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص395، نقلاً عن سلمان القعيدة، مجلة الأعلام، ص 28-29، العدد العاشر، 1971م.

(٣٢٤) د.حسين علي، دراسات نقدية لظواهر في الشعر العربي، ص 91، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2011م

(٣٢٥) د.فاطمة حميد السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، ص210، مكتبة مدبولي، ط1، 1979م.

فالمكان يمثل للإنسان أهمية كبرى ولاسيما الشعراء الذي يقدرّون منزلته في أنفسهم، فهي ديار أهليهم وذويهم، ومراتع صباحهم ونشأتهم، وسماء طموحاتهم وآمالهم، ولذلك عندما يفقد الشاعر هذا الجمال وهذا الألفة الرائعة، يعلي ألمه وسخطه ويتذكر تلك الديار الرائعة التي أخلفها وراءه بين حبه وشغفه إليها وكم يعاني في مكانه الجديد، وبين ملله منها وأنها كالقبر وكالميتة التي لا يرغب في العودة إليها.

إن هذا الضياع بين الحب والسخط وبين الشوق والرفض بسبب الغربة عن الوطن، صورها الزركلي أجمل تصوير في شعره بعاطفة إنسانية رائعة، ممزوجة بلوعة وحنين وحزن شديد ما بين التشرّد والنوى والشوق والخفقان والنؤي عن الأصفياء والأسى من مصائب ذلك المكان والاستياء من العزوف عن دفع أسباب هذه الغربة<sup>(٣٢٦)</sup>، وهي مما ولد لديه الحنين إلى الوطن وولد لديه غرته النفسية والروحية، فصار شعره يحمل من الهم الإنسان مبلغه.

وأبرز مظاهر الغربة المكانية في شعر الزركلي هو تفضيله الخروج من موطنه إلى أماكن أخرى، وذلك من منطلق المسؤولية التي يحملها الشاعر بداخله التي ترفض القبح والشين وضيق العيش وسوء معالم الجمال في ذلك المكان، التي رأى أن الكريم والعزيز على بساط الكره، والزمن ظالم، والوالي مولى، والإنسان مستمرّ في ظلمه<sup>(٣٢٧)</sup>، فأثر بتلك الغربة المكانية التي سوف تبعده عن ذلك البلد الذي اضطهد فيه الإنسان، وهمشت هويته وأذيت كرامته، فأصبح الوطن لا يحمد عقباه، ولا يتمنى زيارته، فالقلوب تأتي وهي خوافق وتعود وهي تتقطع من الأسى، والوحوش والطير تنفر وتعوزها الحياة فيه، لأنه أصبح كالسجن والقبر واليأس والموت للإنسان<sup>(٣٢٨)</sup>:

من مبلغ عني ديار صبّابتي وأحبُّ ما أحببت تلك الأربع  
إني سئمتُ إقامتي في موطنٍ ذلّ الأعزُّ به ، وعزَّ الأوضُع

---

(٣٢٦) راجع الديوان، ص 30

(٣٢٧) الديوان، ص 183

(٣٢٨) الديوان، ص 139

بلدٌ أُحيطَ بشامخاتٍ صَعْدٍ نحو السماء هي الجهاتُ الأربعُ  
تَرِدُ القلوبُ عليه وهي خوافقٌ وتعودُ وهي من الأسي تتقطعُ  
الوحشُ ينفُرُ منه حين يروده والطيرُ تُعوزُه الحياةُ فيُقلعُ  
كالسجنِ إلا أن ذلك ضجعةٌ كالقبرِ إلا أن ذلك أوسعُ  
كاليأسِ إلا أن ذلك راحةٌ كالموتِ إلا أن ذلك أجمعُ

ومع أن الشاعر هو من أبدى رغبته في ترك ذلك المكان الذي أصبح كالغابة الموحشة والسجن  
والقبر؛ إلا أنه يبكي تلك الديار ويسوقه الحنين والوجد على ما أصابها من امتهان وضحايا وخراب  
ودمار، بل وما يزيد من غربته هو حال الرجال الذين تواروا عن ممارسة النضال والدفاع عن حقوقهم  
وأقعدوا الإنسان عن الدفاع عن حقه، فأصبح الإنسان فيها ضحية اكتئاب وأسير عذاب، وفي  
قصيدة (يا زمان) نجد الشاعر يشكو مرارة ذلك الألم ووقعه على نفسيته:

متى تُرى تبتسم لي ، يا زمان!

ألا حنان؟

أسلمتني ، لا أنس لي ، لا أمان!

للحدثان

عيناى - لما تبرحا - تجريان

نضاختان!

أبكي زُوعاً لا تُطيق الهوان

رهنَ امتهان

أبكي دياراً خُلقت للجمال

أبهى مثال!

أبكي نفوساً قعدت بالرجال

عن النضال!

ما لرحابي ، وجنان الرحاب

آضت ياب !

مالبنها ؟ كلهم في اكتئاب

أسرى عذاب !

إن هؤلاء الرجال الذين لم يوفوا الإنسان حقوقه بحيث أضعوا حقوقه من جهة، من جهة أخرى  
ثبطوا عزائمه وأوهنوا قواه، تسببوا باكتئاب نفسي في نفسية الشاعر كلما قلب ناظره فيهم، لأنهم  
أخذوا الحكم بالغواية والغباء، فأتوا بكل بدع وشين وقبح ضد الإنسان ومطالبه، فباعوا بهذا السخف  
البلاد نهباً وغبناً، وهذا الغبن زاد من غربة الشاعر<sup>(٣٢٩)</sup>.

وبين سخط الشاعر على هؤلاء الرجال الذين أقعدوا عن ممارسة حقهم في الدفاع، وبكاء الديار  
والمكان، يظهر لنا مظهر آخر من مظاهر غربته المكانية وهو بعده عن أهله وشدة اشتياقه الشديد  
لبلاده وحب العميق لأهلها، ووصف لنا كم يعاني بعد فراقهم، وكم نفساً رفضت كل شيء، وعينه  
امتلات بالدموع، حتى باتت لا ترى حسناً ولا جمالاً ولا حياة تستحق العيش:

العين بعد فراقها الوطن لا ساكناً ألفت ولا سكنا

ريانة بالدمع أقلقها أن لا تحس كرى ولا وسنا

كانت ترى في كل ساحة حسناً وباتت لا ترى حسنا

ليت الذين أحبهم علموا وهم هنالك مالقيت هنا

ما كنت أحسبني مفارقهم حتى تفارق روعي البدنا

إن الغريب معذبٌ أبداً إن حلّ لم ينعم وإن ظعنا

لو مثلوا لي موطني وثناً لهممْتُ أعبُدُ ذلك الوثنا

إن ذلك يوحي لنا بأن المكان هو بالنسبة للشاعر بمثابة الروح والجسد والعقل والضمير والسعادة  
والجمال، وساكنيه هم الأحبة والصحاب، وعندما يفتقد ذلك المكان البهي والرائع بلا شك أن ذلك  
سيحدث غربة وفراغ في الروح لا يمكن ملؤه.

(٣٢٩) راجع الديوان، قصيدة (في عمان)، ص 130

وفقدان الأحبة والمكان جعل الشاعر يعيش في كدر وهم يذهب من بلد إلى بلد ومن مستقر إلى غيره، لا يعرف أين سيجد المكان الذي يعوضه عن موطنه، ويشفي منى النفس وطموحها وآمالها، لذلك أخذ يشكو همومه وآلامه من تلك الغربة المضنية، وفي قصيدة (لم تفِ يا قمر) يقول<sup>(٣٣٠)</sup>:

أشهدتَ في غسقِ الظلامِ غريباً  
ملاً الفضاءَ تفجُّعاً ونحيباً  
نأى أحبته وعاش كئيباً  
قلقَ الجنانِ على الزمانِ غصوباً  
ويح الخطوب ..

والمظهر الآخر من مظاهر الغربة المكانية في شعر الزركلي، هو أن ذلك الدمار والخراب الذي أوقعه الجيش الفرنسي على البلاد تسبب في تشرد الشاعر أولاً<sup>(٣٣١)</sup> مما جعل الأرض تضيق به وكأنه الطير في الأفق يحوم في الآفاق ولا قرار له، مشردٌ بائس يتجرّع مرارة البؤس فلا يكاد يفرق بين الخير والشر، حتى صار رهن أيدي القدر تقذفه الأيام من سفر إلى سفر، وتلدعه الريح لذع الشرر، فصار للفرّ فيه مثل وخز الإبر<sup>(٣٣٢)</sup>، ولذلك نجد يشكو من منطلق ما تجرع به حال هؤلاء الناس الذي قاسوا مرارة الغربة عن الوطن وكيف أنهم يحتاجون إلى من يواسيهم:

الهم والوحدة أنس الذين أووا إلى ظلها الوارفِ  
ما أحوج القلب إلى من يلين عليه قسو الزمن الحائفِ  
أفرده الوجدُ عن الواجدين وشقّه البعدُ عن العاطفِ

---

(٣٣٠) الديوان، ص198

(٣٣١) يقول الشاعر: أنا المشردُ عن موطن .. نني ومطلع فجري ، راجع الديوان، ص66

(٣٣٢) الديوان، ص222

هل من فؤادٍ حزين

أمضه ما يقاسي

يرثي له أو يُعين ؟

جرحى القلوب تُواسي

جرحى القلوب ..

إن الوحدة والهم هو حال كل اللاجئين الذي أرغمهم الوضع السياسي لمغادرة أوطانهم ومفارقة أحبائهم رغبة في العيش الكريم، ولكن المكان الآخر الذي استقبلهم في غاية القسوة، فلم يجدوا من يؤوهم وينصرهم، ولم يجدوا فيه أناساً يسمعونهم ويصغون إليهم ويستقبلون شكائهم، فيرحمونهم ويرأفون بحالهم ويعطفون عليهم، والشاعر في قصيدته (اللاجئ)<sup>(٣٣٣)</sup> قدم لنا لوحة إنسانية حزينة تجاه تلك الفئة التي نزحت عن أماكنها وعاشت مرارة الغربة التي تجرعوا مرّها وقسوتها، فيقول:

دموغٌ من تلك التي تذرْفُ ؟ وقلْبٌ من هذا الذي يوجفُ ؟

إن كان إنساناً فهلاً صغى إليه من يرحمُ أو يرأفُ

أم ليس في الناس لمستنصف من ناصرٍ يعطفُ أو ينصفُ

جرّده من بأسه غـادِزٌ وسامه الذلّة مُستضعفُ

ألقت به الأيام في هـوّةٍ أيسرُ ما يلقى بها المتلفُ

يصارعُ الحدّثانَ جياشَةً كأنها في فيلقٍ تزحفُ

إن رد منها مُوجفاً خطبهُ عاجله من خطبها مُوجفُ

هؤلاء اللاجئين لم يرتضوا بالذل والهوان والكبت والعدوان، فتركوا تراث العز واستودعوا القدر ما خلفوه وراءهم، فكانت غربتهم لا يطاق العيش فيها، مبيتهم حفرة قفر خالية لا تعصم الريح منهم، ولا تقيهم همى صيفٍ، وإن مصبحهم همّ ومساهم غمّ ومضجعهم ضنى مدنف، بل وتواطأ الناس على نبذهم كأنهم دراهم زيف، وواعدوهم وما وفوا، واعدوهم وأخلفوا:

معاشر عزّت لهم أنفسُ تأبى الدنيّات وتستنكفُ

لم يرتضوا بالهون في أرضهم يأبى مُقام الهون من يأنفُ  
حلّوا تراث العز لم يحلفوا واستودعوا الأقدار ماخلفوا!  
مبيتهم في حفرةٍ قفـرةٍ تكاد من لأوائهم تُخسِفُ  
لاعاصم إن عصفت زعزعُ ولا وقاءٌ إن همى صيفُ  
مصبحهم همٌ ومساهمٌ غمٌ ومضحاهم ضنٌّ مُدنفُ  
تواطأ الناس على نبذهم كأنهم دراهم زيفُ  
كم وُوعدوا وما وفي واعدٌ وشرٌّ من واعدك المخلفُ

وأما النوع الثاني من أنواع الغربة الذي برز بوضوح في شعر الزركلي هي الغربة الروحية والنفسية، والذي فرضها الواقع السياسي والاجتماعي على الشاعر فأحدثت مواقف وظروفاً معينة، "رفض الشعراء أن يقفوا منها موقف اللامبالاة، وحاولوا أن يؤثروا في مجرى أحداثها، لأن ذلك يعد من صلب مهماتهم ومن صلب وجودهم الذي يفرض أن يكونوا في موقع الريادة والمسؤولية والتحدي والمجاهة"<sup>(٣٣٤)</sup>.

والقارئ لشعر الزركلي يرى لأول وهلة أن تلك الغربة بدأت عندما نزع الزركلي عن بلاده رغباً عنه عندما نذرت حياته بالموت من قبل المستعمر الفرنسي، فشكى هم تلك الغربة ورأى أنه كان هدف الليالي والزمان، مما أضفى عليه الحيرة والشك والسهر والقلق النفسي<sup>(٣٣٥)</sup>، لأن بعده عن الوطن شكل "انعكاساً سلبياً على الذات، فالفرد تربّي على مجموعة من القيم الاجتماعية وعائش

---

(٣٣٤) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 396

(٣٣٥) يقول الشاعر: مالي تساورني الهموم كأنني .. هدف الليالي والزمان يصيدُ  
أمسي وأصبح كالمدله حائراً .. يعتادني التأريق والتسهيّد  
نذروا دمي حنقاً عليّ وفاتهم .. أن الشقيّ بما لقيتُ سعيدُ  
الله شاء للحياة وحاولوا .. مالم .. يشأ ولحكمه التأبيد



ظروفاً تختلف عن تلك التي سيرها في الغربة"<sup>(٣٣٦)</sup>. ومن هنا بدأت غربة الشاعر الروحية والنفسية، فصرح وصدق صوتها بما يشتهي همّ تلك الغربة التي أعيته، وسببت له المتاعب والمصاعب، ويبين كم أضحى غريباً بين الناس<sup>(٣٣٧)</sup>:

يازماًناً لم يزل يلعب بي أرني جـدك بعد اللعبِ  
طوّحت بي في الونى منك يدٌ لم تكن تحمل غير النوبِ  
وتخيْتُ الرزايا واثباً وثبة المشـدود فوق اللهبِ  
عُنفواني والصبـا في روقه ضـاع مني وأنا لم أشبِ  
لم أبالِ الدهر في حالي رضى كم خداع في الرضى أو غضبِ  
أنا في الناسِ غريبٌ جسدي بينهم والروح بين الشهبِ

تعد هذه الأبيات هي مدخلاً صريحاً يصور تلك الغربة التي يعاني منها الشاعر بما لها دلالة واضحة عن كشف حجم المعاناة التي بداخله؛ لأن الشاعر يشخص حالته، ويبين أسباب غرته.

ومظاهر الغربة النفسية والروحية عند الشاعر نجدها تكون في فقدان معنى الحياة؛ إذ يصور شعر الزركلي إحساسه بأن الحياة "تافهة وتبعث الضيق والملل، وأن أحداثها تسير بشكل منطقي وغير معقول، ولا يرى الجدوى من استمرارها"<sup>(٣٣٨)</sup>، وقد أدى شعر الزركلي هذا المعنى؛ مما يدل على فقدان معنى الحياة لديه، وظهور هذا الفقد بوصفه واحداً من مظاهر الغربة لديه.

ويتخذ فقدان المعنى في شعر خير الدين الزركلي أنماط من أهمها؛ إحساس الشاعر بالخواء الداخلي ومن ثم فقدان الحيوية<sup>(٣٣٩)</sup>، ولهذا فإن الشاعر يفقد متعة الحياة، ويشعر بأن الليالي والأيام

---

(٣٣٦) ماجد قاروط، المعذب في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان، ص 193، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999م.

(٣٣٧) الديوان، ص 269

(٣٣٨) الاغتراب والإبداع الفني، ص 27

(٣٣٩) نفس الكتاب السابق، ص 26

والسنين ببيضها وسودها وبؤسها ونعمائها، تمر من دون استشعار الحيوية التي بداخلها والجمال الذي يأتي معها<sup>(٣٤٠)</sup>:

الليالي تمرُّ سُوداً وبيضاً تتوارى بُجومها وتُطلُّ  
وتمرُّ السنون مُتتداتٍ يتولى فصلٌ ويُقبلُ فصلٌ  
وتمرُّ الحياة بؤسى ونُعمى حُلْم هذه الحياة مملٌ!

والسبب في عدم وجود تلك الحيوية هي أن الحياة لا يمكن أن تنفع أو تضر أو تستقبل شكوى وألم<sup>(٣٤١)</sup>، لذلك ذهبت حيوية الحياة، التي ظل الشاعر متمنياً الموت عند فقدانها، وتمني الموت نوحاً درج عليه شعراء التشاؤم كأبي العلاء المعري؛ إذ يتمنون الموت لأنهم يكرهون هذه الحياة<sup>(٣٤٢)</sup>، والزركلي لانراه بذلك التشاؤم الكبير، بل نجده يتمنى الموت؛ لأنه يراه الحل الأمثل عندما يعيش الإنسان الحر في نكد وهوان وذل<sup>(٣٤٣)</sup>:

إذا ضنَّ الزمانُ على ابنِ جزمٍ بما يهوى وفاز بها الأفين  
وعز الأضعفون وذل قومٌ أبوا حين الشدائد أن يلينوا  
فقرب الموت أفضل من نواه وكم بدنّوه قرّت عُيونُ

والشاعر عندما مل هذه الحياة، وتمنى الموت وفضله على غيره، يوجد الأسباب التي جعلته يقدم على هذا الإحساس، فليس هروباً أو اختباءً، بل من صنع الإنسان السيء الذي ظاهره تدل على صلاح بينما دواخله تقول غير ذلك<sup>(٣٤٤)</sup>:

---

(٣٤٠) الديوان، ص 267 - 268

(٣٤١) الديوان، قصيدة (الدهر)، ص 330

(٣٤٢) د. زهدي جار الله، أصول علم النفس في الأدب العربي القديم، ص 44، بيروت، 1978م.

(٣٤٣) الديوان، ص 114

(٣٤٤) الديوان، ص 114

برئتُ إلى الحجى من صنع رهطٍ لأرباب النهى منهم أنيئُ  
ظواهرهم تدل على صلاحٍ ولكن الفساد بهم كميئُ

ومن أشكال فقد المعنى كذلك هو عجزه عن فهم ذات الإنسان بل وإحساسه أن كل شيء في الحياة معقد ويدعو للتساؤل، ويحتاج إلى حل رموزه، مما جعله يرى أن العقل يسبب الشقاء والغباء يحمل إلى النعماء<sup>(٣٤٥)</sup>، كما يحس الزركلي الذي يعيش في هذه الغربة أن الحياة تسير بشكل غير منطقي لذلك فهو غير قادر على حل تناقضاتها، ولا معرفة أسرارها<sup>(٣٤٦)</sup>، فأصبح الشاعر يرى نفسه أنه غريق على بقايا غريق، لاعتقاده أنه لم يسلك الطريق المناسب، الذي يرشده للنجاة والخروج من ذلك<sup>(٣٤٧)</sup>:

أنا في المد من حياتي والـ جزر غريقٌ على بقايا غريق  
ما تلمستُ للنجاة طريقاً لاعتقادي أني سلكتُ طريقي

لأن الإنسان يحمل بذلك الكثير من المتناقضات، وهو ما دعا الشاعر للحيرة من أمره، واعتبره سراباً وتراباً فوق تراباً، وفي قصيدة (سراب)<sup>(٣٤٨)</sup> يقول الشاعر:

صدَقَ الظَّنُّ ! كلُّ ما تحمل الأَر ض ترابٌ يسيرُ فوق تُرابِ  
ليس فيما تراه ، حين تجولُ الـ عينُ في الكائنات غير سـرابِ  
حيرتني هذي الخليقة بالصامتِ منها والصارخ والصَّخـابِ  
ليس مكنونها بأخفى من البـا دي وإن عللوه بالأسبابِ  
الدمى في زجاجها شاخصاتٍ كالدمى في سفورها والنَّقابِ  
ضحكٌ يملأ المقاصير قد ينقل ب الصوتُ فيها صوتَ انتحابِ

(٣٤٥) بت أرى من معاني النهى .. شقوة ذي اللب ونعمى الغبي ، راجع الديوان، ص63

(٣٤٦) الاغتراب والإبداع الفني، ص26

(٣٤٧) الديوان، ص102

(٣٤٨) الديوان، ص189

تتأذى من النسيم وجـوهُ لقلوبٍ من الصّلاذِ الصّلابِ  
ولعلَّ السُّمومَ أكثرَ ماتدِ فثُ من معسلِ الثُّغورِ العِذابِ

ومن أشكال فقدان المعنى في شعر خير الدين نظرته إلى الحياة بأنها تافهة، ولا تستحق أن يعيشها<sup>(٣٤٩)</sup>، فهي لذات منغصة والإنسان فيها رهنٌ للفقد<sup>(٣٥٠)</sup>:

أفّ لـدينا : لـذاذاتٌ منغصَةٌ بضـدها ، ووجودٌ رهنٌ فـقدانِ

ونلاحظ من ذلك أن السبب في ذلك هو فقد أحابه وأصدقائه مما أضفى عليه الحزن الشديد طوال حياته، وجعله يقاسي مرارة الفقد والابتعاد مفتقداً إياهم<sup>(٣٥١)</sup>، كذلك الشهداء والأبطال الذين فقدوا في الذود عن أهلهم وذويهم، فأحوش النفس والبصر من فقد منهم<sup>(٣٥٢)</sup>، وجعلت النفس والعين لا تكاد ترى المهجوع حتى يتبادر لها أشباح وجماجم وعظام في الظلام الداجي<sup>(٣٥٣)</sup>:

ياعين أسهرك الجنّاة وناموا لا أنتِ هاجعةٌ ولا الآلامُ  
تتلمّسين وللظلام تكاثفٌ نور الحياة وفي الحياة ظلام  
تبدو لك الأشباح في حلك الدجى وإذا هناك جماجمٌ وعظامُ  
وترين في الأفق القريب أشعةً فإذا هناك من الجسموم ضرامُ

وأما المظهر الثاني من مظاهر غربة الشاعر فهو غياب هدف الإنسان الذي ينشطه لأداء الجوانب الإيجابية في حياته<sup>(٣٥٤)</sup>، وفي قصيدة (تائه) <sup>(٣٥٥)</sup> نجد الشاعر يكشف لنا بيان شخصية

---

(٣٤٩) الاغتراب والإبداع الفني، ص26

(٣٥٠) الديوان، ص61

(٣٥١) الديوان، قصيدة (علي)، ص104

(٣٥٢) الديوان، ص288

(٣٥٣) الديوان، ص239

(٣٥٤) الاغتراب والإبداع الفني، ص26

الإنسان الذي غاب عنه الهدف المنشود، مما جعله سراً غامضاً، يعيه إدراك الحقيقة ويتيه عن الهدف المعين الذي يسعى لتحقيقه، فجعله يؤذي ويتهم وبهزاً، مما أفضى إليه بالحيرة:

وعجبتُ للإنسان : سرُّ غامضٌ باحت به الأيام بعد خفائه  
حُجبت حقيقة فمُد وُلد اغتدى أعجوبة الأقدارِ في أهــــوائه  
لم يدرِ ما هو وهو يطمعُ باحثاً بالعلم في من عاش في آلائه  
أعياء إدراك الحقيقة فانبرى يُؤذي ذويه بمــــزدرى آرائه  
زعم الغباوة في الذين تقدموا من جنسه والجهل في حُكمائه  
وأقام يهزاً بالعمــــوالم لا يرى إلا ظواهر أرضه وسمائه  
وأرى العقول تعودُ بعد جهادها للعلم بالخلاق عــــودة تائه

وأما المظهر الثالث هو رفض بعض صفات المجتمع غير الحسنة، فقد يتخلل المجتمع الكثير من السلبيات التي تحده من الانطلاق في ركب الحضارة الإنسانية، ومن استيفاء للفرد كامل حقوقه، مما يجعل الإنسان يتخبط في حلك السمات السيئة، ويعجز عن تحقيق الأهداف الاجتماعية؛ لأن ذلك "من أقسى أنواع الاغترابات التي يواجهها الفرد"<sup>(٣٥٦)</sup>، فالعربة المكانية التي عانى منها الشاعر كان لها تأثير بليغ على نظرة الشاعر تجاه المجتمع، فالشاعر انتقل من البيئة الدمشقية إلى أجزاء متفرقة من البلاد العربية، ومن الحق أن يلاقي بيئة مختلفة عما كانت في بيئته الأم فيشعر أثناء ذلك بالاختلاف والتغيير.

ولا شك أن ذلك عائدٌ إلى معرفة الشاعر وإحساسه الدقيق بأطباع الناس وحيثيات التعامل معهم، فمن شدة المعرفة أن الشاعر بإمكانه أن يسقي كل إنسان من شراب لوحده، ويعرف كل

---

(٣٥٥) الديوان، ص320

(٣٥٦) دراسات نقدية لظواهر في الشعر العربي، ص122

خصلة سيئة تجاهه<sup>(٣٥٧)</sup>، وهذا مما دعى الشاعر أن يشعر بالغرابة النفسية تجاه طبائع الناس غير الجيدة التي زادت ألماً وبعداً<sup>(٣٥٨)</sup>:

بلوثُ طباعِ الناسِ طفلاًً ويافعاًً وها أنا من سن الكمال قريبُ  
وما زادني بالناسِ علمي بهم سوى يقيني بأني حيثُ كنتُ غريبُ

وأول هذه الطباع الاجتماعية السيئة التي أثارت امتعاض الشاعر هي المحبة والوداد الزائفان بين الناس، والتي يرى فيها الشاعر أنها أصبحت زائفة وتبادلها بين النفوس هو مجرد المنفعة والغرض<sup>(٣٥٩)</sup>:

لكل ودادٍ علّةٌ في نفوسهم وليس لأدواء النفوس طبيبُ  
وكلّ حبيبٍ أنتَ منه على رضى له أربُّ في أن يُقال حبيبُ

واختفاء معنى المحبة والمودة بين الناس لغرض المنفعة تذهب في تضاعيفها معنى الصداقة فتساوى القيمة الإنسانية بين العدو والصديق، فلا يكون هناك فرق بين الصاحب والخليل من العدو والخصيم<sup>(٣٦٠)</sup>:

تساوت عُداي والأوداء بعدكم فليس لخصائٍ إذا ذُكروا خفقُ  
إذا كان من أرجو بهم نقع غلتي يعينون أعدائي عليّ فما الفرقُ

كما يحذر الشاعر من أخلاء وأصدقاء الرياء، لأن أمرهم عجيب ومريب، لأنك في حالة وجودك يهتفون بك ويرفعون من اسمك بينما في غيابك يقذفونك وينالون منك<sup>(٣٦١)</sup>:

---

(٣٥٧) ألم ترني عرفت الناس حتى .. سقيتُ الناس كلُّ من شرابه ، راجع الديوان، ص331

(٣٥٨) الديوان، ص242

(٣٥٩) الديوان، ص243

(٣٦٠) الديوان، ص221

(٣٦١) الديوان، ص249

واحذر أخلاء الرياء فإن أمرهم عجيبٌ

الهاتفين إذا دنوت القاذفين إذا تغيبٌ

ويذهب الشاعر إلى أن يقدم نظرة سوداوية عدمية تجاه الصداقة بين الناس، فيرى أن الصداقة اختفت، وأن الباحث عن الصديق فلن يجد صديق وكل خلٍ متخلٍ عنك في وقت الضيق، ولا يتعجب الشاعر من ذلك؛ لأنه يرى أن الناس خلقوا وطباع العقوق والنكران فيهم<sup>(٣٦٢)</sup>:

أيها الباغي صديقاً ليس في الناس صديقٌ

كلُّ خِلٍ مُتَخَلِّ عنك إن مسَّك ضيقٌ

خُلِقَ النَّاسُ وفي فطرتهـم كان العقوقُ

ومادام أن كل خلٍ متخلٍ عن خليله والصداقة مفقودة الهوية، فالشاعر يرى أن تساء الظنون بالناس وأن يكون الإنسان حذراً ولا يثق بأحد<sup>(٣٦٣)</sup>:

وأسيء ما استطعت بالناس الظنون لا تثق

كُلُّ خِلٍ مُتَخَلِّ ، كل جمعٍ مفترق

ومن طرفٍ آخر يرى الزركلي أن الخير غلب على الشر في المجتمع، فأصبح أبناء الشر يقضون بينما زمر الخير غفاة<sup>(٣٦٤)</sup>، وأن ليس في الناس حريٌّ بالخير والهدى بل هم بالردى أحرى وأجدى<sup>(٣٦٥)</sup>، فما الناس إلا آلة للشر والاعتداء<sup>(٣٦٦)</sup>، وأكثرهم قائلون بالخير فعالون للشر، فالفعل

---

(٣٦٢) الديوان، ص 284

(٣٦٣) الديوان، ص 167

(٣٦٤) زمر الخير غفاة .. وفتى الشر أرق

الديوان، ص 167

(٣٦٥) مافي الورى بالهدى حريٌ .. وكلهم بالردى حري

الديوان، ص 331

يكذب القول، وفي قصيدة (وساوس) <sup>(٣٦٧)</sup> والتي عنوانها يدلنا على مدى تأثير الغربة في نفس الشاعر، يقول:

أكثر القائلين بالخير فعال ون للشر كذب القول فعلاً

قد يخال السمو من راح يهوي ويخال السقوط من راح يعلو

وإذا الناس غلبهم الشر وتحالفوا على الأذى فرجال الخير منهم شذوا <sup>(٣٦٨)</sup>، ومن البديهي أن لا نؤمل الخير منهم:

لاتأمل الخير من حسي الناس هيهات ما الخير من حي بمأمول

حملت نفسك عبئاً لست منهضه يا للرجال لعبٍ غير محمول

والناس من يلهم بالشر سادهم والشر أسوأ مصنوع ومعمول

وحتى وإن كشفت الأيام عن ذلك الإنسان الخير الصالح فسوف يعقبه يوماً يكذبه، كما المغرورين الذين يمشون في جبروت وخيلاء الذي مرآهم يعذب الشاعر ويؤرقه، فالمغرور هم كيف يعيش في جبروته ويرضي كبرياؤه بينما الشاعر يرى بأن هذا الهم القاصر لا يتناسب همّه، وهذا مما زاد في غربته وعذابه <sup>(٣٦٩)</sup>:

ماذا جنيتُ على الأيام؟ دابئةً كصائد القرش تُرحي لي وتجدبني

وتبتليني بمغرورين همهم ما ليس همي ومرآهم يُعذبني

أكلما قلتُ هذا صالحٌ كشفت لي الحوادثُ عنه ما يُكذبني؟

---

(٣٦٦) ما الناس إلا آلة .. للشر ، يحذرهما اللبيب ! راجع الديوان، ص249

(٣٦٧) الديوان، ص267 - 268

(٣٦٨) تحالف أبناء الرجال على الأذى .. وأما رجال الخير منهم فقد شذوا

الديوان، ص129

(٣٦٩) الديوان، ص22



وهذه النظرة المتمردة تجاه الناس ولعمقها في نفسية الشاعر، نراه يرى تفضيل الحيوان على الإنسان، فابن الغاب قد يرحم خائض رمله ومكانه فيحنوا ولا يتعدى، بينما الناس لا تجد بينهم حانٍ يعطف على الإنسان<sup>(٣٧٠)</sup>، بل نجد يفضل الكلب ويرى بأنه أرغد عيش وأحب وأفضل حالاً من الإنسان؛ لأنه اكتسب عدة خصال افتقدها الإنسان في حياته<sup>(٣٧١)</sup>.

كما أن الشاعر يرى أن المجتمع وما خالط الناس فيه من صفات سيئة ملت نواطح السحب مجاورتهم، أنها مدت في الدجى عنقاً إلى السماء تجاري السحب، وتهجر الأرض أغواراً وأنجاداً؛ لأنها<sup>(٣٧٢)</sup>:

ملت مجاورة الأقوام فانتنفتت وحاولت عن أثم الأرض إبعادا  
النجم آنس في الأفلاك مصطحباً والجو أرحب في الباحات مرتادا

وأخيراً وبعد أن أدرك الزركلي حجم الغربة المكانية والنفسية ومدى تأثيرها عليه وما قاساه من مرارة ذلك وبؤسه تمنى له مكاناً آخر في عالم آخر يأويه ويعيش فيه قرير العين جلدان، ألا وهو عالم الطيور<sup>(٣٧٣)</sup>. يكون بعيداً طليقاً لا يقيدته أي شيء، ولا يظلمه أحد، ولا يسلبه أحد حقه، يعيش في أمان مع أطفاله وأسرتهم، مرتاح الضمير والجنان. واختيار الشاعر لعالم غير العالم البشري لهي تدلنا بعمق الغربة التي يعيشها الشاعر، فقولته (أبيت قرير العين)، (وآمن لادهري يروع بظلمه)، (ولا أهله يغشونني بسلاحي) هي ألفاظ انبثقت من صميم وجدان الشاعر التي رأى أن من حوله جعلوا الأجواء غير آمنة فلا أحد مستقر الضمير رائق البال.

---

(٣٧٠) وقد يرحم ابن الغاب خائض رمله .. فيحنو ومافي الناس إن تبلمهم حان

راجع الديوان، ص 251

(٣٧١) الديوان، ص 107

(٣٧٢) راجع الديوان، ص 270

(٣٧٣) الديوان، ص 162

## 2- الحنين:

الحنين في مفهومه اللغوي هو الشوق، وشدة البكاء، والطرب، أو صوت الطرب عن حزن أو فرح<sup>(٣٧٤)</sup>، وحنّ الرجل صوّت طرباً أو توجعاً، وإليه اشتاق وعليه حناناً: عطف، والحنان هو رقة القلب والرحمة<sup>(٣٧٥)</sup>. وهذا يعني أنه في مفهومه اللغوي هو شوق وبكاء وطرب وحزن وفرح وحنان ورحمة، وهو لا يختلف عن مفهومه الاصلاحي الذي يعني الشوق وتوقان النفس مع الطرب والتنغيم. والحنين هو الجانب الذي أثارته الغربة وجعلت منه أتوناً تشتعل من أجلها القلوب إلى الوطن، وما عرف فيه من أشياء، وما صادفه فيه من حوادث ذات أثر مفرح، وما فقد فيه من إلفٍ وعشير أو قريباً أو عزيز، و"الإنسان العربي من أقدم العصور، يخشى فراق الأرض، وتضنيه الغربة، ويحس بالشوق والحنين إلى وطنه"<sup>(٣٧٦)</sup>، والشاعر "أسير الغربة، يغرق في بحر المحيطات، وقد أقصته البحار عن وطنه، فيشتد شوقه وتعلقه بوطنه، ويزيد حنينه؛ لأنه عانى مرارة الغربة، ولوعة الاشتياق، وغلقت نفسه سحابة من الحزن واليأس والإحباط، وخاصة بعد تبخر الأحلام، والشعور المرير بفقدان التوافق الاجتماعي، ولد لديه حباً جارفاً لوطنه وشوقاً لأهله وذويه"<sup>(٣٧٧)</sup>.

لذلك كان الحنين هو نتاج الغربة وثمرتها الذي عانى منه الشعراء، فظهر على لسانهم موجة من الحزن والأسى والاشتياق والحب الشديد لوطنهم وديار نشأتهم ولأهلهم وذويهم، والزركلي في شعره كان من الشعراء الذين عانوا مرارة الغربة ولهيبتها - كما ذكرنا سابقاً - واشتكوا من ألمها ووقعها على الذات، ولذلك كانت تعاوده الذكريات في كل حين في البعد عن الأهل والخلان، وتطوف به

---

(٣٧٤) القاموس المحيط، ص1201

(٣٧٥) المعجم الوسيط، ص203

(٣٧٦) د.سميرة سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص127، دار الينابيع، دمشق، ط1، 2000م.

(٣٧٧) النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص81 - 82

وساوس مهولة على ما بينه وبين سوريا من مساوف البر والبحر، فنجدته يردد في نفسه قول ذلك الشاعر المتفجع:

وارحمنا للغريب ، في البلد النازح ، ماذا بنفسه صنعا !  
فارق أحبابه ، فما انتفعوا ، بالعيش من بعده ولا انتفعا!<sup>(٣٧٨)</sup>

فالشاعر كان يعيش بين فكي البين والغربة من جهة، ومن جهة أخرى الاشتياق والحنين، وكلاهما كانا مستعربين حميمين عنده، لذلك يرتقب الفرج من ألم الغربة وفي نفس الحين تنطلق به النفس إلى الحنين إلى ديارٍ تفيض بها المآقي، إلى دنيا الحياة التي يداوي ماجنى فيها طول الفراق، من لقاء بالأهل في الصباح والمساء فتتطفيء جذوة ذلك البعد وتلك الغربة التي أطالت بلهيبها قلب الشاعر<sup>(٣٧٩)</sup>.

وشعر الحنين عند الزركلي يرى الشاعر فيه أنه العنصر المناسب الذي يواسي وترتاح الأنفس عندما تستجديه، وهو يشكل منعطف إنساني رائع عند الشاعر؛ لأن الحنين هو من دفعه للشوق لأهله وتذكر ليلاليه بدمشق، وبكاء أمته التي تن توجعاً<sup>(٣٨٠)</sup>:

انزع وحسبك بالحنين مواسياً ترتاح فيه إلى السكون الأضلعُ  
لولا الحنين لما بكيتُ أحبةً كانت تضمهم دمشقُ وتجمعُ  
لولا الحنين لما بكيتُ ليالياً كانت دمشقُ بها تجودُ وتمنعُ  
لولا الحنينُ إلى دمشق وأهلها جئت بمقلتي الشؤون الهُمعُ  
لولا الحنينُ لما بكيتُ بجلقٍ قمراً يغيبُ وألف بدرٍ يطلعُ  
لولا الحنين لما غضبتُ لأمةٍ في الشام ذارفةً عليها الأدمعُ

---

(٣٧٨) بتصريف من كتاب مارأيت وماسمعت، ص160

(٣٧٩) الديوان، ص155

(٣٨٠) الديوان، ص139

فالشاعر في الأبيات السابقة يؤكد على مدى عمق تأثير الحنين على نفسيته؛ الذي سبب له البكاء على فراق وطنه ومنشأه، وأهله وأحبته ومواطنيها، وعلى حال أهل الوطن وما أصابهم من جور وتعدي.

وشعر الحنين عند الشاعر تتضح معالمه في حنينه إلى المكان الذي كانت فيه شعلة سعادته وأنسه، وإلى أهله وأحبته وربعه وخلانته، والقصائد في هذا المجال تتعدد وكلها توحى بالشوق ومدى عمق المعاناة التي يحملها الشاعر في نفسه، ففي قصيدة (عشر مضين) <sup>(٣٨١)</sup> يرسل الشاعر كلمات أشواقه وحنينه الخالصة تجاه أهله وأحبته وخلانته، كما يؤكد على تأثير الغربة في نفسه وكم بسببها أضع شبابته، وفقد عزته وإباؤه:

طال الحنينُ فهل في الشام من حاني أهلي بها وأحبائي وخلائي  
عشرٌ مضين فما أبقين بي رمقاً أضعْتُ فيهنَّ إباي وربعاني

ويشدد حنينه إلى مراتع صباه التي احتفظت بذكرياته الخاصة والعامية، ويجاور في ذات الحال من يريد أن ينسيه تلك الدوحة الجميلة واستبدالها بأرضٍ غيرها، لأنه لم يكن يعلم بتأثيرها في نفس الشاعر ومدى حساسية مكانتها في أعماقه، كما يتذكر أيامه مع أبنية المكان وكم قضى معها أجمل الأوقات، والتي تعتبر نسمات أجوائها صدى لشدوه وترديد لألحانه:

قال الخليلون: هلاً أنت متخذٌ بموطنٍ موطناً، والأرض سيبانٍ  
دوحاً بدوحٍ، وظل الأيكِ منبسطٌ على الرياض وأغصاناً بأغصانٍ  
ومادري اللائم اللهفان ما شغفي ولا أحس بأشواقي وأشجاني  
مراتعي والصبان رياً خمائله ودعتُ فيهنَّ إسراري وإعلاني  
ماذا على شاخصات الحي لونطقت وبادلتي تحناناً بتحنانٍ  
ما نسيْتُ ترانيمي بهيكلها ولا اتهمتُ مصلاها بنسياني  
في كل ناسمةٍ هبت على بردى صدىً لشدوي وترديدٌ لألحاني

وفي قصيدة(حنين)<sup>(٣٨٢)</sup> يذكر الشاعر الشام وأهله فتحري دمعه مستهله، من أجل الجوى الذي أسهره وجعل بينه وبين دياره وأهله بعد ومسافة، وكما يناشد ذلك الطاعن بأن يعج إلى الشام ويبلغ أهلها عن شوقه وحبه، وأن يقرأ عليهم سلامه وآهات عذابه وغربته:

ذكر الشام فأجرى دمعه مستهلاً وله في الشام أهلاً

أيها الطاعنُ يرتادُ الرُّبى وله أتى أناحَ الظَّعنِ نُزلُ  
عُج على الشام وبلغ من بها نبأ عن مستهام ليس يسلو  
واقرا الآل سلامي وادعهم فإذا أصغوا لأنبائي فاتلُ :  
آه ! واحيرةٌ مُضنيَّ حلَّ في بعلبكٍ حيثما سار يَضِلُّ !  
تخذ الشَّوقُ بجني له مستنخاً فإذا أهلاً وسهل !

وفي قصيدة أخرى يذهب الشاعر إلى تصوير معاناته وكم هو يعاني مضمض البعد بعد ذلك اللقاء، ويؤكد على أثر ذلك البعد وأنه نال منه ما لم تنل منه اليدان، كما يؤكد على سبب المعاناة من خلال حوار مع صحبه في ديار الغربية بأن سبب ذلك هو شوقه وبعده عن ربه الكرام<sup>(٣٨٣)</sup>:

برح الشوق بي فبتُّ أعاني مضمض النأي بعد ذاك التدايني

قسماً بالهوى لقد نال مني البين ما لا تنال مني يدان  
تركنتي النوى صريع شجونٍ عقدت بالبكاء منها لساني  
أيها الواقفان في بعلبك تذكرا الآم لا تُشجيانِي  
إن لي في الشام رعباً كريماً شخصت نحو من به العينان

كما يتضح معالم شعر الحنين عنده عندما يتذكر حال أمته، وتتلوه الأنة تلو الأنة عندما تأتيه أخبار الشام وكلها شكوى وألم ومناجاة، مما حل في غيشومها من عتاة ساقوا الرجال سوق النعاج، وأنذروا الآمنين بالسلب والضرب وبالسجن دونما إفراج، فيتيقن بأن حال أمته في دائها ليس من أمل في

(٣٨٢) الديوان، ص 261

(٣٨٣) الديوان، ص 171

تحقيق العلاج الذي يضمده جراحها، فحينها يحن إلى الأجداد العربية الماضية التي كانت بلاده فيها سيدة الزمان والمكان تنعم بالعيش السعيد وبالعطاء اللامنتهي، فنجدته يتذكر بني هاشم الأولين، وبني أمية الفاتحين، وبني العباس أهل الفنون، وبني فاطمة الغابرين، وكل مجد عربي كانت العزة والإباء هي رايته<sup>(٣٨٤)</sup>.

أين بنو هاشم الأولون

أين البنون ؟

أين بنو أمية الفاتحون

ينتقمون ؟

أين بنو العباس أهل الفنون

يحتكمون ؟

أين بنو فاطمة الغابرون ؟

هل يبعثون ؟

كما تثير الشاعر الأجداد العربية في الأندلس وما كان فيها من جمال لا منتهى له، فيحن لها ويتذكر تلك الأيام الرائعة التي كان قياد الدهر في يدنا نعطي ونمنع من نريد<sup>(٣٨٥)</sup>:

يادمعاً لي في أطلال قُربيةٍ أثرتِ لاعجٍ وجدٍ كان محزوناً

أعدتها ذكريات الأمس رائعةً لله أيتها ذكرى ما تعيدنا

أيامٍ كان قياد الدهر في يدنا نُعطي ونمنع من شينا وماشينا

إغفاءً ذهب بالملك أجمعه وخلفته بأيدي الهون مرهونا

---

(٣٨٤) الديوان، ص36

(٣٨٥) الديوان، ص85-86

## المبحث الرابع: قضايا المجتمع

أصاب المجتمع العربي الكثير من التصدعات والمنعرجات التي لحقت به من جراء الأحداث السياسية الإقليمية والدولية، ففقد المجتمع العديد من مظاهر قوته مما أفقد توازنه ونظامه، فأصبح يسير وفق منظومة لا تسير بالشكل المناسب والصحيح، تعج بالفوضى والخراب والمساوئ والاضطراب والنفاق والمداراة والخديعة، في وسط زحام مليء بالتناقضات، "ففتشت الدنيا وعمت الرشوة والفساد والجاسوسية والنميمة، وسقطت الأخلاق عامة وغدا للمال والمنصب والرتبة واللقب مكان فوق مكان الشرف والخلق الرفيع" <sup>(٣٨٦)</sup>، وكما انتشر الفقر، واليتم، والظلم، والعديد من القضايا الاجتماعية.

والأدب في بعض جوانبه تعبير عن المجتمع، يعكس الحياة بجميع صورها ويعبر عنها من جميع جوانبها، والشاعر فرد من بين عدة أفراد وحجر من ضمن بناء إنساني ليس منفصلاً عن هذا المجتمع ولا خارج عن إطاره يتفاعل مع كل ما يحصل حوله من قضايا، وذلك لإصلاح ما استطاع من إصلاحه، والسير به إلى الطريق الأفضل والمناسب، "فالشاعر لا يعيش لنفسه، وإنما يعيش لمواطنيه" <sup>(٣٨٧)</sup>، فيصبح بمنزلة القائد الأمين، والدليل الصادق، والمرشد الحكيم، وهو بذلك يهدف إلى بناء مجتمع مثالي خالٍ من تلك السلبيات، مفعم بالعديد من المميزات الإيجابية التي تعيد إليه التوازن والقوى الخيرة التي تعم جميع أطراف المجتمع.

وشاعرنا الزركلي تعرض إلى تلك القضايا التي لحقت بالمجتمع " فقد تأثر أيما تأثر بما أصاب قومه، فعمد إلى الشعر بيثه شكاته وتسلق منبره يخطب عليه، ودلف إلى القوافي يصور بها مآسي الشعب" <sup>(٣٨٨)</sup>، في شعر إنساني رائع، يشارك فيه هموم الناس ومصائبهم، وفيما نرى أنها رغبة أكيدة في خلق مجتمع إنساني أمثل يسوده العدل والرحمة، والتماسك والقوة.

---

(٣٨٦) الشعراء الأعلام في سورية، ص164

(٣٨٧) دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص62

(٣٨٨) الشعراء الأعلام في سورية، ص164

والحديث عن القضايا الاجتماعية عند الزركلي يطول كثيراً إذا أردنا أن نستقصي أطرافه ونسترسل فيه الاسترسال اللازم، ولكننا سوف نقتصر على بعض الأمور التي رأينا أنها الأهم في هذا المضمار.

وأول ما أود الإشارة إليه تطرق الشاعر إلى بعض مفاصد الأخلاق في المجتمع، ومرد ذلك إيمانه بضرورة وجود تلك الأخلاق الاجتماعية التي تشكل دعامة أساسية للانطلاق في البناء الاجتماعي الراسخ، ولعل أول ما يمكننا الحديث عنه هو الكذب الذي يرى الشاعر أنه راجت بضاعته وحبب للأنام<sup>(٣٨٩)</sup>، ورأى أن الناس جميعهم اعتادت وروده، وتأصل فيه نفوسهم، وأن في الناس أقواماً تجيده أيما إجادة، فينجيهم هذا الكذب من المواقف التي تصادفهم<sup>(٣٩٠)</sup>:

أرى الكذبَ اعتادَ الأنامُ وُرودهُ فليس لحيٍّ عن موارده درءُ  
تأصلَ داءً في النفوسِ فما امرؤُ بناجٍ ولا منه لذي مقولٍ بُرءُ  
وفي الناس أقوامٌ يجيدون برأه فينجيهم من عاره ذلك البرءُ

ويرى الشاعر أن الكذب يجر في أذياله الحلف بالله، فنجدته يزجر ويدعو من يحلف بالله بالكذب بأن يتقي الله<sup>(٣٩١)</sup>:

أيها الحالف بالله اتق الله وأنصف  
لو تعودت مقالَ الصدقِ ما أقبلت تحلف

---

(٣٨٩) ولكني رأيتُ المينَ راجت .. بضاعته وحبُّب للأنام

الديوان، ص 325

(٣٩٠) الديوان، ص 155

(٣٩١) الديوان، ص 256



ويذهب الشاعر إلى تصوير المفسدة الأخلاقية الأخرى وهي الوشاية والنميمة، وهي من الخلق الذميم الذي انتشر بين الناس، ومن شدة ذلك أنك عندما تبج بالكلام بالليل فسرعان ما تلقاه في النهار على لسان كل نمام<sup>(٣٩٢)</sup>:

أبح الوشاية للسواد وقل: سننظر واسترح  
تُصبحُ وحولكُ ألف نمامٍ يقولُ ويقترخُ ..

ونرى الشاعر يأخذنا في غضون قصة واقعية في أسلوب قصصي رائع من الواقع الاجتماعي المعاش، ليجمع بين هاتين الصفتين الذميتين السابقتين - الكذب والوشاية - ففي قصيدة (قصة)<sup>(٣٩٣)</sup>، يذهب الشاعر ليصور لنا ذلك البيت الطهور التي ترتع فيه أسرة جميلة تعيش في أمان واطمئنان، يعيشون في دوحة مورقة فيؤها السعادة، فالطفلة ضاحكة قلبها خالٍ من الهم تلهو وترتع كيفما تشاء، والأب والأم متصافيا متوادان على أحسن ما يكون، فدخل عليهم هذا الكاذب الواشي متصلاً بهما حتى أؤتمن، لابساً ثوب الرياء مستتراً بالود والحب حاملاً معه الوشاية الكاذبة، مصوراً الزوجة بأن زوجها عريقاً غارقاً في الجون وأنه سوف يكون نكد الدهر والزمان المقبل:

الأثيم الاجارمُ الخبُّ الخوونُ أطلقَ السهمَ فمسَّ المقتلا  
أحكَمَ الفريةَ في الخدرِ المصُونِ واشياً في همسه مُسترسلا  
صوّرَ الزوجَ عريقاً في الجونِ كلِّما فاز بخدِ قَبِّـلا  
وأرى الزوجةَ أن سوف يكونُ نكدُ الدهرِ لها مُستقبلا

وواصل وشاياته حتى دبت النفرة في بيت النعيم بالشكوك والظنون والازورار، فتفرقت هذه الأسرة، الزوجة في قصر أبيها تذكر الماضي بالدمع الصبيب بينما الزوج في وحدته يشكو الجراح والآلام التي لايداويها طبيب، ولكن وفي آخر المطاف ينكشف زيف هذا الواشي وكذبه الذي اخترق سعادة وألفة هذا البيت الجميل، وذلك عندما كشف ما كان يكتتم ويخفي في داخله من كذب وخديعة:

---

(٣٩٢) الديوان، ص138

(٣٩٣) الديوان، ص109

غابة العصمة والصون اسلمي سورك الأمنع صد القاجما  
هاهما الإلفان حول المجرم كشفا ما كان حيناً كاتما  
هو ذا الحامي يقود المحتمي هو ذا الباغم ناجى الباغما  
لم يزل فيك طواف المجرم واقياً من كل حوب عاصما

والشاعر في الأبيات السابقة نجده يؤكد على عظم ما يسببه الكاذب والواشي من تفرقة وبغي  
بغير الحق بين الأسرة الواحدة، وما يقترب من آثام وذنوب، وكما نجده يضع نفسه كمصلح  
اجتماعي منادياً الزوجين بالترفق ووضع الشك حتى يأتي اليقين، وهو في نفس الوقت يمقت هذه  
الصفة الغير الجيدة:

أيها الشك ترفق باليقين رُبَّ مُرتابٍ على غير هدى

وتلك المفاسد هي ما دعت الشاعر بالدعوة الصادقة إلى عدم الاهتمام بالماديات وإنما بالسمو  
الخلقي، ولذلك نجده داعياً إلى السمو في عدة مواضع، ففقي قصيدة (سانحة) <sup>(٣٩٤)</sup> نجد الشاعر  
يعفف النفس عن الوقوف عند أبواب المسؤولين والتمسح بأعتابهم، ويؤكد على أن هذا الفعل ليس  
من الخلق والعمل:

قل للذين تعالوا وابتنوا دولاً أنا الغني عن الأعلين والدول  
ليس الوقوف على الأبواب من خلقي ولا التمسح بالأعتاب من عملي!

كما نجده في موضع آخر يسمو بالنفس مما تنافس الناس في الحصول عليه من ألقاب الباشا  
والأفندي والبيك <sup>(٣٩٥)</sup>:

---

(٣٩٤) الديوان، ص137

(٣٩٥) الديوان، ص165

قال من فاتهم سُخْرِيّتي بالذي قد مجدوا من رتبٍ :

ما الذي ندعو به صاحبنا؟ قلتُ: "خير" إنما اسمي لقي  
جنبوا سمعي ألقابكم ليس لي في لقب من أرب

كما تطرق الشاعر إلى مفسدة اجتماعية أخرى وهي البحث عن المنصب والتاج وترك الصحوة  
والعمل والتضحية والأخذ بالخسر والتخاذل<sup>(٣٩٦)</sup>:

أيُّه نفسٍ من أسي ناجيةً والناسُ في حالكةٍ داجيةً  
هذا ينادي: منصبي منصبي! وذاك: تاجي - ويحكم تاجيه!  
وإنما الفورُ لشعبٍ صحا والخسر حَظُّ الأمة الساجية

ونجد الشاعر في موضعٍ آخر يقوم بحث الشباب على العمل والتضحية في سبيل المجتمع والناس،  
فالشاعر لا يريد مجتمعاً سلبياً أشلّ بل مجتمعاً عظيماً زاهراً يبني صرحه أبناؤه، ففي وجود العمل  
والبناء يتم تحقيق الأهداف الإنسانية السامية التي في خلوها تحدث نوعاً من تأخر الخدمات  
الإنسانية، ويتراجع الاهتمام بشؤون الإنسان ويتم تجاهل طموحاته وتحقيق آماله، وتكون الغفلة عن  
بناء صرح وطني شامل يحوي كل ما يحتاجه الإنسان، وفي قصيدة (أنشودة العامل)<sup>(٣٩٧)</sup> قام الشاعر  
بالحث على العمل الذي من خلاله يبني للوطن نهضةً مجيدة، وأمة راشدة وعاقلة يضرب بها المثل  
بجدها وصبرها ودأبها على العمل الرشيد، فبدون العمل لا يمكن تحقيق حرية ولا أخوة إنسانية  
ولاسلام دائم، ولامعالجة لأي أمر من أمور خيرة تصب في مصلحة الإنسان:

إلى العمل إلى العمل أي أمل بلا عمل  
سواعدٌ شديدة ونهضةٌ جيدةٌ  
وأمةٌ رشيدةٌ بجدها جرى المثل  
بقوة اتحادنا نبي غُلا بلادنا

(٣٩٦) الديوان، ص156

(٣٩٧) الديوان، ص145

نظل في جهادنا لا مهمل ولا ملل  
وفاؤنا بعهودنا يضمن نجاح قصدنا  
لا هزل يوم جدنا ولا وني ولا كسل  
تراينا نجبله بدمنا نبذله  
كل له معمله بأمره قد استقل  
إلى العمل إلى العمل أي أمل بلا عمل

نعم بالعمل تكون القوة والاتحاد، وبالوفاء والجد وترك الكسل يضمن النجاح وتحقيق الطموح،  
وفي المقابل نقوم ببناء العلاء والطموح المجيدة للمجتمع والبلاد، فلا أمل وطموح إنساني متحقق بدون  
العمل.

وأما القضية الاجتماعية التي تطرق لها معظم الشعراء في ذلك العصر فهي مشكلة الفقر، فلقد  
تناولها الزركلي بعاطفة إنسانية فياضة، ومعالجته لهذه القضية قد تكاد غير عميقة البعد الاجتماعي،  
وإن سبرت أغوار الفقير بجد ذاته لكنها لم تنجح في ربط الفقر بأسبابه الاجتماعية والسياسية، وكأنني  
بالفقير حالة قائمة بذاتها، يقابلها حالة الغنى من غير صراع ولا تقصُّ للأبعاد التي ولدت هذه الثنائية  
في الحياة.

وفي قصيدة (غريق بيروت) <sup>(٣٩٨)</sup> نرى الشاعر يبكي أسى وتضطرب كبده أماً وتضطرم عروق  
قلبه على ذلك البائس الفقير الذي لم يجد ما يطعم صغاره وأهله، فألقى بنفسه إلى اليم يدعو المنية  
بنفسه التي كرمت من العيش في فقر:

ما بال بيروت لاتبكي العيونُ بها دماً وتضطربُ الأكبادُ من ألم  
تلوثُ في صحفها من أمرها نبأً لم يُبق في القلب عرقاً غيرَ مُضطرم  
ألقى إلى اليم بالنفس التي كرمت يدعو المنية لم يوجل ولم يجم  
غريق بيروت أبكيتَ القلوبَ أسى لا عاش بعدك في الأحياء ذو نعم

ولعل السبب الذي قاد هذا الفقير إلى طلب المنية بدلاً من العيش، انطلاقاً من رؤية الشاعر يكمن في أطماع الأغنياء وحيفهم وجشعهم في المجتمع، كما يؤكد الشاعر على خلو قلوب كثير من الأغنياء من الرحمة ولو كانت لا قشعوا عن هذا الفقير حجاب الفقر والظلمة:

ماكان قاتلك البحرُ الخضمُّ وما أودى بشخصك موجُّ شامخِ القممِ  
لكن رمتك بشرٍ قد ذهبت به أطماعُ معشرٍ سوءٍ حائفٍ نهمِ  
لو أن في موسرينا رحمةً قشعوا عن الفقير حجاباً دائماً الظلمِ  
همُ أحرزوا قوتهُ مستأثرين بهِ وخلفوه من الإملاق في ضرْمِ

والشاعر فيما سبق نجده يؤكد على أن السخاء من قبل الموسرين على الفقراء هو الحل الذي يجنب عن الفقراء هذا الفقر، وبذلك يصبح نوعاً من تحقيق المساواة والعدالة المجتمعية بين الناس. ولذلك نجد الشاعر يدعو الناس إلى الجود والعطاء وعدم اكتناز المال، بل يدعوهم دعوة صادقة إلى أخذ من المال الكفاية وعدم الطمع في أكثر من ذلك، فخير المال مطعم فيه الجياع ومعطي معتفيه ومسعف المستغيث<sup>(٣٩٩)</sup>:

أيها الناسُ ما لبعضكمُ ضَرٌّ ببعض المكنوز والمـوروثِ  
أفضلُ المالِ ما كفلكم ووقاكم خضوعاً لفاجرٍ أو خبيثِ  
خيركمُ مطعمُ الجياعِ ومعطي مُعتفيهِ ومُسعفُ المستغيثِ

كما نرى الشاعر في قصيدته (حسبكم اليسر)<sup>(٤٠٠)</sup> يحث هؤلاء الموسرين على عدم اكتراث المال بل الأخذ منه باليسير، وعليهم أن يراقبوا الله فيما يجنون:

أيها الموسرون حسبكم اليـسرُ فهلاً منتتم باليسير؟  
رضي الدهرُ عنكم فحباكم سعة العيشِ واتساق الأمور

---

(٣٩٩) الديوان، ص107

(٤٠٠) الديوان، ص223

راقبوا الله واذكروه فذكر الله أخرى بالحث والتذكير!  
رُبَّ قلبٍ أجاعه العُدمُ لو أشبع لاقتادَ شعبه بالزئير!  
آه والوُعة الفقير وبؤس المعدم المستكين للمقدور!

ويطلعنا الزركلي على أمر آخر وهي النداءات الخيرية التي تحتضن حولها كل فقير وبائس ضعيف، وفي قصيدة (سعد وسعدى) <sup>(٤٠١)</sup> نرى الشاعر يبكي على تلك المرأة الفقيرة وحولها أطفالها فقراء جيعاً لا يجدون الشراب والغذاء، محاولاً تخفيف مصابهم مرشدهم إلى أهل الفضل والسخاء والمروءة، الذين إذا ما المستغيث شكوا أجابوه وفرحوا كربتته، وذلك في أسلوب قصصي جميل يوحي بمدى التعاطف والرحمة الذي يحملها الشاعر تجاه هذا الفئة من المجتمع:

أذنتُ مقالتي سعدٍ وسُعدى وقد ضاقت بها وبه الجِواءُ  
فجئتُ إليها أمشي الهوينا كمشي الشيخ أعجزه العناءُ  
وقلتُ: إليّ والـدنيا بخيرٍ لقد سمعتُ دُعاء كما السماءُ  
هلمَّ إلى مبرّة أهل فضلٍ شعارهم المروءة والسخاءُ  
إذا ما المستغيثُ شكوا أجابوا وفرّج عنه كُربتته "النداء"

وهذه المؤسسة المجتمعية الخيرية الإنسانية التي تعطف على الفقير والضعيف، ليست هي المؤسسة الوحيدة التي حياها الشاعر وشكر عملها الإنساني السامي، بل نجده يعظم من شأن دور الأيتام الإسلامية التي تحتضن الأيتام وتحتويهم وتقوم بمساعدتهم على تحمل مشاق الحياة وضروب المعيشة المختلفة، وبهذا نجد الشاعر يأخذنا على مرفأ قضية اجتماعية أخرى وهي قضية اليتيم، والتي نراها تأخذ منحى ثنائياً جمع بين اليتيم والفقير.

ففي قصيدة (مجمع الأيتام)<sup>(٤٠٢)</sup> يذهب الشاعر للحديث عن هذه القضية في حوار قصصي إنساني رائع قريب كل القرب من هذه الفئة الغالية على المجتمع، فيصور لنا حال الأم وفي يديها طفل وحوها طفلان يشكوان حالة الجوع والبؤس ويتساءلان متى يرجع أبوهم، فتنهد الأم من حرّ ما بها:

تنهدتْ آخذةً بالبُكا وقالت: اصبر يا ابنَ قلبي معي!  
ما لأبيك النَّدبِ من مرجعٍ ما بأبيك النَّجدِ من مطمعٍ!  
إنَّ شعوبَ<sup>(٤٠٣)</sup> استأثرت بالذي كان غياثَ المملقِ المدقعِ!

ومن ثم يقرب الشاعر حول هذه المرأة البائسة والأيتام من حولها فيدرك حجم الخطب الذي يعانون منه، ويواسيها ويبعث الأمل والتفاؤل في نفسها ويقوي عزائمها:

دنوتُ منها لا أرى وجهها حجّبت الأسفَع<sup>(٤٠٤)</sup> بالبرقعِ  
فاستنفرت يَحزنها أني أدركتُ خطبَ الصَّيبةِ الضَّرعِ  
واستشعرت أنساً فحيتها تحية الموجعِ للموجعِ

ويستمر الشاعر بالقرب من هؤلاء اليتامى ويخبرهم أن إخوتهم بنوا وشادوا مجمع الأيتام، الذي أصبح منتجعاً لمن أتعب الدهر أنفاسه، وقضى على نور حياته:

أيتها الثاكل لا تفرقي أيتها المطفل لا تجزعي  
إنّ بني عمك قد أزمعوا والنُّجحُ كلٌّ للمزمعِ  
شادوا لأبنائهمُ مجمعاً أعظمُ بنادي العلم من مجمعِ  
إن يُركع الدهرُ بني نعمةٍ فها هنا منتجعُ الرُّكعِ

---

(٤٠٢) الديوان، ص 181

(٤٠٣) المنية.

(٤٠٤) الوجه الأسفع: المتغير اللون.

وأما القضية الأخيرة التي تطرق لها الشاعر فهي (قضية المرأة) التي أخذت حيزاً كبيراً من فكر الشعراء في العصر الحديث، وكانت تلك الرؤى تنزع بالأكثر إلى تصوير المرأة الفاضلة وتبيان أثرها المحمود في حياة الأفراد والمجتمع<sup>(٤٠٥)</sup>، وكذلك مناصرة لقضاياها الاجتماعية التي كانت المرأة هي الحلقة الأضعف، فهضمت حقوقها وكانت معاملتها سيئة ومهمشة ومقابلة بالتجاهل والاحتقار، "كحرية الحياة في اختيار الزوج والمحافظة على حقها الشرعي وحمايتها من ظلم الوالدين والأخوة، فقد ظلت إلى عهد قريب تفرض عليها الطاعة العمياء لإرادة أبيها أو زوجها"<sup>(٤٠٦)</sup>.

ويذهب الشاعر في هذه القضية إلى التطرق أولاً إلى دور الأم في المجتمع، ويبين فضلها ودورها الإنساني تجاه أطفالها وما تقوم به من تربية ورحمة وعطف وشفقة وإعداد أمثل للمستقبل، وكم هي مثال سامٍ يحتذى للماضي والآتي من النساء<sup>(٤٠٧)</sup>:

أَمَّانٍ مَانِيْطَتٍ بَغِيْرَهُمَا الْمَنِي حَفَّ الْجَلَالُ سَنَاهُمَا الْمَتَوَقِّدَا  
أُمَّ يُرَاحُ إِلَى ظَلَالِ حَنَاهَا وَالنَّفْسُ وَالْهَمَّةُ وَأُمَّ يُغْتَدِي ..  
إِنِ التِّي هَزَتْ سَرِيْرَ وِلِيْدَهَا لِتَهْزُرَ فِيْهِ الْعَالَمُ الْمَتَوَسِّدَا  
هِيَ آيَةُ الْمَاضِي وَحُجَّتُهُ عَلَيِ الْآتِي وَأَبْلُغُ قُدُوَّةَ لِمَنْ اقْتَدِي  
أَنْشُوْدُهُ السَّحْرُ الْبَهِيْجِ وَشَدُوَّةُ الرِّوْضِ الْأَرِيْضِ إِذَا تَرَمَّمْ أَوْ شَدَا  
أَغْنِيَّةُ الزَّمَنِ الْمَرْجَّعِ لِحْنِهَا وَأَرْقُ مَاغْنَى الزَّمَانُ وَأَنْشَدَا  
رَقَّتْ شَعُوْرًا وَاسْتَرْقَتْ حَكْمَةً وَحَنْتْ مَهْدَبَةً وَلاَحَتْ فَرَقْدَا

كما نرى الشاعر في مكان آخر يظهر مكانة المرأة في المجتمع، فهي الأم وهي سر الكواكب تجلي الغسق بالسناء<sup>(٤٠٨)</sup>:

(٤٠٥) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ص 261

(٤٠٦) نفس المرجع السابق، ص 266

(٤٠٧) الديوان، ص 201

(٤٠٨) الديوان، ص 121



أنتِ سرُّ الكوكبِ اللامعِ تجلين الغسقَ بالسناء  
أنتِ أُمُّ الطفلِ إن علمته السبقَ سبقَ في العلاءِ

كما تلمس الشاعر إلى موضوع الصلاح والطهر والفضيلة والاستقامة، ورأى بأن المرأة ونظراً  
لمكانتها الرفيعة في المجتمع أنها إن صلحت أصلحت الحياة ووضعت الأمور في مسارها الصحيح، وإن  
فسدت كانت رموس لافائدة منها<sup>(٤٠٩)</sup>:

هَنَّ للناسِ إن صلُحن وأصلح -نَ حياةً وإن فسدنَ رموسُ !

وكما أنها لو هُدِّبت وربيت التربية اللازمة لعاش الناس في أنعم حال وأفضل معيشة، وهو تأكيد  
على هذه المكانة الرفيعة التي تحظى بها المرأة في المجتمع<sup>(٤١٠)</sup>:

حَكَّمْتُ نَفْسَكَ فِي الْعَالَمِ مِنْ مَاضٍ وَتَالِ  
أَنْتِ إِنْ هُدِّبْتَ عَاشَ النَّاسُ فِي أَنْعَمِ بَالِ

وفي موضعٍ آخر يرى الشاعر بأن الفتاة إذا اتسمت بالطهر والعفاف والعلم وصانت نفسها من  
سفساف الأمور كانت للنواظر إثمداً، ومتقلدة للعلم والمعرفة الإسلامية<sup>(٤١١)</sup>:

إِنَّ الْفِتَاةَ إِذَا تَكْحَلُ جَفْنَهَا بِالطُّهْرِ كَانَتْ لِلنَّوَاطِرِ إِثْمَدَ  
وَإِذَا الْفُضَيْلَةُ أَوَّدَتْ أَعْطَافَهَا زَهْواً تَبَارَكَ عِطْفُهَا مُتَأَوِّداً  
إِنْ ابْنَةَ الْيَوْمِ الْمُقَلِّدَ نُبُّهَا عِلْماً لِأَحْمَدُ فِي الْغَدَاةِ تَقْلُداً

كما نرى الشاعر يقابل ذلك بالرفض التام بأن تخرج المرأة من هذه الفضيلة والحشمة وأن تقوم  
بأشياء خارجة عن إطارها وعالمها الأنثوي كأن تشبه بالرجل<sup>(٤١٢)</sup>.

---

(٤٠٩) الديوان، ص 135

(٤١٠) الديوان، ص 122

(٤١١) الديوان، ص 201

وكما يؤكد الشاعر على دورها في ميدان العمل، ومكانتها العلمية، ونهضتها المجيدة التي سوف تنهض بالشرق وتسير به إلى سلام العز والزهو والكمال؛ وذلك في إطار شحذ العزم والنهضة البناء والبناء للمستقبل<sup>(٤١٣)</sup>:

فكري من أنتِ وابني الرأي للمستقبلِ فهو آتٍ  
واشحذي عزمك وامضي في حياة العملِ بأناءٍ  
وانهضي بالشرقِ إن الشرقِ مثوى العليلِ في الفئاتِ  
وأعدي عُدة العلمِ بشأنِ المنزلِ يا فتاةُ  
ستشيدين بناءً المجدِ يا أمَّ الرجالِ  
وتعيدين رُبوعَ العزِّ تزهو في جلالِ  
فانفضي عنكِ عُبارَ الهُونِ واسعي للكمالِ

وفي إطار آخر نرى الشاعر يذهب إلى قضية لا تقل أهمية عما سبق وهي ظلم الزوج والأب للمرأة، والشاعر يطرح هذه القضية بأسلوب حوارى قصصي جميل محاولاً تجسيد القضية من الواقع المعاش، ففي قصيدة (مُشقيها ومُسعداها)<sup>(٤١٤)</sup> يرسم لنا صورة تلك الفتاة التي حنت وشاقت أن ترى أهلها، فأبى الزوج وصدها عن أبويها وتركها في دارها، ومع دأبها المستمر وجهشها بالبكاء رماها الزوج فغادرت إلى أبيها تشكو ما دهاها، وقصت على الأب المرجى في شجوها ما كان بها، فما كادت أن تتم حديثها إلا وزجرها الأب وبدت في عينيه نار الشر معتمراً على أذاها:

بدت بعينه نارٌ شرٌّ وقال: ما هأهنا جماها  
فأقبلت أمها عليه وقد غلَى الغيظُ في حشاها

---

(٤١٢) الديوان، ص146

(٤١٣) الديوان، ص122

(٤١٤) الديوان، ص185

تقول: بالله لا تعدها وأبقها ريثما نراها

فقال: كلاً فلن أراها فقبرها أو حمى فتاها

فتذهب هذه الفتاة إلى ديار زوجها وقلبها يحمل الحزن والأسى، ولوقوفها بين نارين فضلت العدول عن ديار زوجها، من ثنائية الظلم التي لحقت بها والحالة السيئة التي تكالبت عليها، فأصبحت حالتها كزهرة الروض التي ذوت وجفت فذهب سناها وشذاها، ويختم الشاعر هذا المشهد الاجتماعي المحزن بعاطفة إنسانية جياشة دعا فيها الزوج والأب أن يعتبروا وأن يعدلوا عن ذلك فهم من يملكها وهم من يجعلونها تدرك أسباب الحياة والسعادة والشقاء:

هذا جناه أبٌ عليها والزوج فيما به رماها

فعبرةً يا أباً وزوجاً مُلكُماها فأحيياها

فأنثما مالكا خُطاها فمُشقيها ومُسعداها

والشاعر فيما سبق يسعى للتأكيد على أن المرأة هي أمانة وأسيرة الإرادة لا حول لها ولا قوة، وكائنٌ ضعيف شقاؤه وسعادته وحياته الهائلة بأيدي وليه الذي يتولاه زوجاً كان أو أباً، ولذلك يحث على الرفق والعطف والشفقة تجاه هذا الكائن الضعيف، ومعاملته بالمعاملة الإنسانية اللائقة التي تكفل له الحياة السعيدة.

وثمة قضية أخيرة تلتحق بركب القضايا التي تتعلق بالمرأة وقد تقترب من القضية السابقة، والتي ينسف بسببها الجمال الأنثوي فلا تنعم بالاستقرار والسكن والأمان، وتظل المرأة في دائرة محفوفة بالجفاف والجذب، نظراً لسلب إرادتها ومبتغاها وتسلط الجشع واقتحامه عالمها الضعيف.

وتلك القضية تتعلق بإكراه المرأة بالزواج ممن لا تريد، وقد يكون لها المسببات المختلفة إما تقاليد أو أعراف أو صداقات وغيرها. وأما الشاعر فتناولها بسبب المال والجاه والتي بشأنها يتم تجاهل جميع الأمور الأخرى المناسبة لهذه المرأة، فتخدع وتظلم هذه الحسناء وتصبح ضحية من ضحايا الطمع، والنتيجة التي تجنيها هي الوحدة والعذاب والضيق والملل من الحياة.

وفي قصيدة (هدية الشمس)<sup>(٤١٥)</sup> نرى الشاعر بأسلوب قصصي بعاطفة الرحمة والشفقة يعرض الشاعر هذه القضية من الواقع المعاش، فيصور حالة الفتاة التي لا تعاني مريض الأيام أو جور الليالي وتعيش في نعيم ودلال، وفي ذات يوم يأتي إليها أبواها يناجيانها بالزواج من رجل كبير في السن؛ وذي جاه ومال، ويستمر الأبوان في إقناع الفتاة فهذا شيخ وهو سوف يموت بعد حين وسترثين أمواله:

يستشيران فتاة الدَّلِّ في سحر المقال  
عن خطيبٍ جاء يسعى وهو ذو جاه مال  
له ستون عاماً وهناك كان الجدال !  
قالت الأمُّ لها: يا حبة القلبِ اقنعي بالنصيب  
هو شيخٌ سوف يقضي بعد حين فدعي ما يريب  
ترثين المال جمًّا فهلِّمي واجمعي ما يصيب  
والأبُّ الجاهلُ مصغٍ لهما ذا طمع بالخطيب

ونتيجة هذا الإقناع تقبل هذه الفتاة بلا إرادة، ومع مرور الأيام يخسر هذا الشيخ الكبير جميع أمواله، فتضيع آمال الفتاة البيض وتتلاشى كل أحلامها الوردية، فتصبر وتصبر ويعيل منها الصبر ويضئها الجوى، فتلجأ إلى الخلاص من هذا كله فترفع كأساً من السم فترتشفه كالزلزال الذي أودى بحياتها:

لثمت قاتلها فارتشفته كالزلزال  
وارتمت تبسُّم للموت بشعر متلال

وفي النهاية يذهب الشاعر إلى التلويح بأخذ العظة والعبرة من مثل ذلك، وهو في ذات الوقت يلوح إلى ترك هذه المسالك والطرق في تكوين البيت الأسري؛ لأنه سرعان ما تهوى قواه ويعلق في جوانبه الظنى والألم.

## المبحث الخامس: المساواة والإخاء

المساواة والإخاء هي من أجمل الأمور وأنبهها ففي تحقيقها تتذيل جميع العوائق التي تقف أمام الإنسان، وتصبح الإنسانية لاتعرف لونا ولاجنساً .. وترفع الإنسان إلى الدرجة المثلى حيث المحبة والعدل والمساواة والمعرفة، وفي حال فقدانها تنزل به إلى الدرك الحيواني حيث البغض والظلم والحقد والوحشية والجهل<sup>(٤١٦)</sup>، كما يكون ذلك "هدفاً إلى انتصار القوى الخيرة في الذات الإنسانية على قوى الشر والباطل، التي تعوق مسيرة الإنسان نحو تحقيق وجوده الأفضل الذي يستشعر فيه الأمن والراحة والسلام"<sup>(٤١٧)</sup>.

فالإنسانية بمفهومها العام: "نزوح وجداني أصيل إلى التعاطف بين الإنسان وأخيه الإنسان، وشعور ذاتي عميق بوحدة الجوهر بين البشر كافة، ووحدة تعلق على الطائفية والإقليمية والعنصرية، وتطمح إلى السمو بالنفس نحو المثل العليا، وتطهيرها من شوائب الأنانية والنفعية وتزيينها عن التعصب والتحيز"<sup>(٤١٨)</sup>.

ومصطلح المساواة مشتق من سوى ويعني: استقام أمره، وأسوى: استقام واعتدل، وتساويا: تماثلا وتعادلا، و السواء: المثل والنظير، والسَّوِيُّ: المستوى والمعتدل لا إفراط فيه ولا تفريط<sup>(٤١٩)</sup>، و السواء هو العدل والوسط<sup>(٤٢٠)</sup>، والعدل ضد الجور الذي "هو عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط"<sup>(٤٢١)</sup>. وبذلك نرى أن المساواة تعني العدل والإنصاف والوسط بين أمر وأمر أو بين عدة

---

(٤١٦) بتصريف من كتاب القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه، ص303

(٤١٧) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص440

(٤١٨) النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص119

(٤١٩) المعجم الوسيط، ص466

(٤٢٠) معجم القاموس المحيط، ص1303

(٤٢١) الجرجاني، التعريفات، ص191

أمور وأخرى. كما أنها تعني " أن يفتح للجميع على السواء أبواب التقدم لا يعوقهم عن ولوجها عائق ولادةٍ أو مال أو مقام"<sup>(٤٢٣)</sup>.

ومصطلح الإخاء مشتق من الأخ والأخوة وهي في الأصل اشتراك طرفين أو عدة أطراف جمعهم النسب أو الصداقة أو الصحبة<sup>(٤٢٣)</sup>، فيكون من جمعك وإياه صلب أو بطن أوهما معاً، ومن الرضاع ومن يشاركك الرضاة، والصديق وفي المثل "إن أخاك من آسأك"، "وربّ أخٍ لك لم تلده أمك"، والشريك المثل أخو الأسفار، وأخو القبيلة: أحد رجالها<sup>(٤٢٤)</sup>، وينطلق ذلك المفهوم إلى مفهوم مطلق يشمل الإنسان بأخيه الإنسان الذي يتجاوز كل حاجز عنصري أو طبقي أو نسبي وغيرها، والذي أسس مفهومه الإسلام ورسخ معالمه " فقرر أن الناس سواسية بحسب خلقهم الأول، وعناصرهم الأولى، وأن ليس لهم تفاضل في إنسانيتهم، وإنما يجري التفاضل بينهم على أسس خارجية عن الإنسانية نفسها: على أسس كفايتهم وأعمالهم وما يقدمه كلٌ منهم لربه ثم لنفسه ومجتمعهم والإنسانية جمعاء"<sup>(٤٢٥)</sup>.

وانطلاقاً من إنسانية الزركلي النبيلة وإيمانه بالدين الإسلامي القويم الذي قرر المساواة بين الناس، وأعلن وحدة الجنس البشري منذ أربعة عشر قرناً، وضمن ذلك عن طريق تنمية وجدان الفرد وتحرير ضميره، بالإضافة إلى وضع التشريع المناسب الذي يؤمن تحقيق المساواة الحقة، وقد أعلن القضاء على نظام الأجناس والطبقات، وأزال ما يظنه الناس من أسباب التمايز كالجنس والطبقة واللون والغنى، وأكد المساواة بين بني البشر<sup>(٤٢٦)</sup>.

---

(٤٢٢) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ص 239

(٤٢٣) معجم القاموس المحيط، ص 1266

(٤٢٤) المعجم الوسيط، ص 9

(٤٢٥) د. علي عبدالواحد وافي، حقوق الإنسان في الإسلام، ص 8، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط 5، 1398هـ - 1979م.

(٤٢٦) د. عبدالكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، ص 72 وماتلاها بتصرف.

سعى الزركلي في شعره إلى الدعوة إلى تحقيق العدل والإنصاف والمساواة والتي من شأنها أن يعمر الكون الأخوة الإنسانية والتي سوف تحقق بدون أدنى شك ذلك السلام المنشود الذي يعمر الكون بخيره، ويعانق كل الآمال والأمانى والرغائب المنتظرة، والتي تقارب بين جميع القلوب المتنافرة، وتعمل على انتصار الخير على الشر لتحقيق السلام والإخاء والمساواة، "فالشاعر بصورة عامة، ونظراً لطبيعته المرهفة ونفسه الصافية، نفور من التباغض والخصام يشمئز من الدماء والحروب، ويتفطر قلبه أسمى للبؤس والشقاء، فهو تواق أبداً إلى إدراك الأهداف السامية التي تحقق لأمته ولسائر البشر، العدالة والرخاء والسلام"<sup>(٤٢٧)</sup>.

وإحقاق الحق والعدل والإنصاف بين جميع أطياف البشر هي من الدواعي الأساسية في نشر المساواة والإخاء وبث الروح الإنسانية القيمة بين الأطياف البشرية المختلفة، ودافع قوي على فتح أبواب الخير، ومغلاق صلب على كل سويداء دافعه للشر، ونقطة أصيلة في تحقق السعادة الإنسانية؛ ولذلك ذهب الفلاسفة من قديم الزمن إلى أن من أسس السعادة الإنسانية: العدالة التي هي قمة الكمالات الإنسانية<sup>(٤٢٨)</sup> التي يحفظ فيها حق الصغير والكبير والذكر والأنثى والأعزل والضعيف، ولو أن كل ذات إنسانية أنصفت لما روع أحد<sup>(٤٢٩)</sup>:

لو أنصف الناس لما روعوا فيم يراع الأعزل الأضعف

وكذلك لم تشن تلك الحروب وينتج آثار الدمار وتحديث الكثير من الآثار السيئة التي أعقبها غياب المساواة والإنصاف<sup>(٤٣٠)</sup>:

---

(٤٢٧) الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، ص 190

(٤٢٨) د. حامد زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، ص 13، عالم الكتب للنشر، القاهرة، ط 6، 1424 هـ - 2003 م.

(٤٢٩) الديوان، ص 334

(٤٣٠) الديوان، ص 292

يقولون هلاً تطفئ النورَ حاجباً عن البصر الممتدّ في الجو أهدافاً

فقلتُ لهم: مادمرَ الحيُّ عامراً ولا غامراً لو أنّ في الناسِ إنصافاً

كما أن الشاعر يرى في قصيدته (لوأنصف) <sup>(٤٣١)</sup> أن الدنيا سيعمرها الحسن والجمال وتزدهر

معالمها بالخير الحسان، ويطير الطير في خمائلها بكل فتون وبهاء، وينتشر الطيب في نسائمها، والأرض تكتنز بالتبر في مناجمها والبُرّ في مراعها، وحتى إن الإنسان لو أراد أن يعيث ويسحق من حوله وينشر ظلمه سوف تغلب مظالمه ومعابته، فإذا المهالك مسالك، والمغارم مغانم، والمفاجع مجامع، والمآتم مناعم:

ما أجمل الدنيا وقد عمرت بالحسن وازدهرت معالمها  
الطير يصدح في خمائلها والطيبُ تنثره نسائمها  
والبُرُّ تُنبتته مراعها والتبرُّ تكتنزه مناجمها  
حتى إذا الإنسان عاث بها غلبت مظالمه مظالمها  
فإذا مسالكها مهالكها وإذا مغارمها مغارمها  
وإذا مجامعها مفاجعها وإذا مناعمها مآتمها

وذلك عندما ينصف الإنسان، الذي لولا انحداره عن الإنصاف لما انتصفت منه دنياه ولا الناس، التي وادعته الدنيا كثيراً ولم يوادعها، وسالمته ولم يسالمها، فما أظلمه حقاً عندما يشتكي ألم الجريمة وهو صاحبها وجارمها:

لو أنصف الإنسان ما انتصفت دنياه منه ولا عوالمها  
كم وادعته وما يُوادعها وسالمته وما يسالمها  
ما أظلم الإنسان مشتكياً ألم الجريمة وهو جارمها !



فالشاعر يرى أن الإنسان هو من عدل عن إحقاق العدل والمساواة وهو من سبب الشقاء لنفسه، وباعد وعمق الهوة بينه وبين الإنسان الآخر واتجه نحو الجور والظلم، الذي يرى فيه الشاعر أنه هو العقبة التي تقف أمام برق الإخاء والسلام بين الناس.

وإذا كان الإنصاف مبدأ مهماً في تحقيق المساواة والإخاء فالشاعر من ناحية أخرى يذهب إلى إذابة تلك الطبقية والعنصرية التي تميز إنساناً عن إنسانٍ آخر والتي جعلته عدواً له دون ذنبٍ مقترف سوى ذلك الفرق الطبقي والعريقي والإقليمي، وهو أسلوب يستخدم للانتقام وأخذ الثأر من الغير، "وغطاء تستر به هذه الفئات المتعصبة لتبرير موقفها اللانسانية التي تفرق بين البشر" (٤٣٢)، ولذلك ألح الشعراء على هدم هذه العنصرية ونقض حائطها الذي يفصل بين أبناء الأمة الواحدة لما بينهم من الصلات الوطنية، وما ينبغي أن يسود بينهم الإخاء والمساواة (٤٣٣).

ولذلك يرى الشاعر أنه من العجب أن تستخدم تلك العنصرية ضد الإنسان الذي لم يمسك منه شر، سوى أنه ينتمي إلى تلك الطائفة أو ذلك الفريق، وبلا شك أن ذلك يطمس معنى المساواة والإخاء ويزرع التفرقة والتشاحن والبغضاء بين الناس، وقد تبين ذلك واضحاً في قصيدة (أبناء واحد) (٤٣٤) الذي تعجب فيها الشاعر ورأى أن الناس أبناء واحد ويفرقهم الدين والجنس والعنصر، ولذلك دعا الناس أن يتركوا كلاً وشأنه فلا يؤذوا ولا يبتغوا:

يُكفِّرُ فينا معشرٌ معشرًا هُمُّ على الحقِّ والإنسانُ قد يتبصروا  
دع الناس لا تبغِ الذين تهودوا بشرٍ ولا تبغِ الذين تنصروا  
عجبت لأمر الناس: أبناء واحدٍ يفرقهم دينٌ وجنسٌ وعنصرٌ!

---

(٤٣٢) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 459

(٤٣٣) بتصرف من كتاب دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص 61

(٤٣٤) الديوان، ص 66

كما يرى الشاعر أن الناس لو نظروا إلى بعضهم البعض على أنهم أبناء واحدٍ؛ لأجبرتهم تلك الدلالة السامية التي تقتاد الحياة إلى منازل عظيمة على التساوس بالرحمة والتعاطف والنعمة فلا هناك أمٌ تبكي حظها وزمانها، ولا أبٌ يشكي ضيم راعيه والظُلْماء، ولا طفلاً يعلو ندبه وعويلُهُ ويتمه<sup>(٤٣٥)</sup>:

إذا كنتَ تلقي الناسَ أبناءً واحدٍ تسوسهم الرُّحْمى وترعاهم التُّعمى  
فلا أمُّ تبكي حظَّها وزمانها ولا أبٌ يشكي ضيمَ راعيه والظُّلماء  
ولا طفلٌ يعلو ندبُه وعويلُهُ وقد أضمرَ الدهرُ الخئُونُ له اليُتِما

كما يؤلم الشاعر أيضاً تمييز المسلمين أنفسهم فيما بينهم وعنصريتهم ضد بعضهم البعض، وحكمهم لكلٍ منهم الآخر بأن هذا في الجنة بينما ذاك في النار، وكل تلك المزاعم يراها الشاعر تمزق الشمل وتشب النار في الهشيم<sup>(٤٣٦)</sup>:

فُرِّقَ المسلمونَ هذا إلى الجنةِ يُنمى وذاك مأواهُ نارُ  
مزقت شملهم مزاعمُ شتى شبَّ فيهم ضرامها الفجائرُ

والشاعر هنا يرمي إلى أن يعامل الإنسان على أنه إنسان ليس لغرض عنصري أو جنسي أو مذهبي، فالشهداء الأحرار مثلاً عندما أعدمهم الأتراك أبكوا غرر المسلمين كافة وآل عيسى المسيح<sup>(٤٣٧)</sup>، فلم يبك عليهم طائفة دون أخرى بل بكوا عليهم الجميع نظراً لإنسانيتهم، ولم ينظروا

---

(٤٣٥) الديوان، ص178

(٤٣٦) الديوان، ص170

(٤٣٧) فأبكى على غرر المسلمين .. أباة المذلة قرأها

وأبكى آل عيسى المسيد .. ح شمَّ العرانيين صلبانها

إليهم على أنهم إلى هذه الطائفة أو تلك، وكذلك اللاجئ الضعيف المسكين الذي أخذ طول السَّغْب أنفاسه شق على التوراة ما نابه وأغضب الإنجيل والمصحف ما لحق به<sup>(٤٣٨)</sup>.

ونتفق مع الشاعر فيما ذهب إليه؛ لأن في ذلك مصلحة للناس كافة وتأكيداً على "تضامن أفراد الأمة في خدمة مصلحة المجموع"<sup>(٤٣٩)</sup>، فالبيئة المحيطة وبلاد الشام كافة كانت تحوي العديد من الديانات والمذاهب والأجناس والعناصر، وبذر تلك التفرقة والعنصرية بين الناس سيحدث الضرر الكثير والدمار الشامل بين أبناء الأسرة الواحدة والوطن الواحد، كما أن الدين الإسلامي الحنيف لنا فيه نعم القدوة، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾<sup>(٤٤٠)</sup>، وأيضاً لنا أسوة حسنة بالرسول الحبيب - ﷺ - عندما كان يعامل جاره اليهودي بالتي هي أحسن، وكما أن الدين الإسلامي أقر قانون المساواة الواحدة وعدم التفرقة بين الإنسان والآخر.

كما أن الشاعر يرجئ أسباب الفتنة والفوضى التي اشتعلت نيرانها وأصبح لهيها ممتلئاً بالدخان، هي بسبب هذه العنصرية والمذهبية التي تثور الشحناء وتنضي الأسنة بين الناس، والتي طالت الناس وفرقتهم وأصبحت عيشتهم على مضضٍ واضطغان<sup>(٤٤١)</sup>:

الفتنة العمياء لواحاً لهيها ممتلئٌ بالدخان  
لمذهبٍ أو عنصرٍ أو هوىً تثورُ شحناءً ويُضي سنانُ

---

(٤٣٨) شقَّ على التوراة ما نابهم .. وغضب الإنجيل والمصحفُ

الديوان، ص336

(٤٣٩) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ص239

(٤٤٠) سورة الممتحنة، الآية:8

(٤٤١) الديوان، ص160

ونظرة الشاعر إلى عدم التمييز والعنصرية وإحقاق المساواة هي نظرة إلى الإنسان على أنه ضعيف وعلى مستوى واحد وعلى مبدأ من المساواة الواحدة التي أقرها الدين الإسلامي، وأنه من ضعفه لا يعرف حقيقة خلقه، ولا سر بداية وجوده، وكما أن نهايته إلى القبر، وهم جميعاً إلى دار الفناء السابق واللاحق، وإن تحزن لحي أوميتٍ منهم فخطبهما في ميزانٍ واحد، وشوط العمر مرحلة محددة والجميع مجاوزها بالصباح أوالمساء<sup>(٤٤٢)</sup>:

يشيع بعضنا بعضاً فيمضي وما في الخالفين بذي بقاء  
وشوطُ العُمُرِ مرحلةٌ وكلُّ مجاوزها بصبحٍ أو مساءٍ  
فإن تحزن لميتٍ أو لحيٍّ فخطبهما أراه على سواءٍ  
يُزاحم مستعزُّ مستكيناً وشأو كليهما دارُ الثواءِ

ولذلك من الظلم أن يميز إنسان عن آخر من الناحية الإنسانية البحتة، ومن الواجب أن يحى هذا التمايز من أجل تحقيق المساواة والإخاء بين الناس، فالحياة ليست بتلك الحياة المديدة التي تطول وتخلد ولذلك من الأمثل أن تستثمر في الوداد والتآلف، فالكون إذا ساده الإخاء فستعمر الحياة ويقوى بناؤها<sup>(٤٤٣)</sup>:

إذا عمَرَ البناءَ أخو حياةٍ فيا سرعاناً إقواءُ البناءِ

والدعوة إلى الإخاء بين الناس هي دعوة سامية وصادقة تهدف إلى توحيد وتوطيد أواصر التقارب والتحاب وإحقاق الحقوق بين الناس، وهي من الأمور التي بحث عنها الشاعر وبات يرجو وقوعها على مدى الأيام، ويهوى انتشارها ولكن المنى تأبى إلا أن تحدث عكس ما يريد<sup>(٤٤٤)</sup>:

هوأي إخاء الناس والناس إخوةٌ ولكنهم يأبونَ إلا التعاديا

---

(٤٤٢) الديوان، ص23

(٤٤٣) الديوان، ص23

(٤٤٤) الديوان، ص286

ولذلك نجد الشاعر يتأسف على أن الناس جهلوا الإخاء ولم يقدرُوا جماله وذهبوا إلى غيره، فافتقدت معنى الصداقة والنسب، وأصبحت مسمى خالي الجوف منمقة بالكذب والزور<sup>(٤٤٥)</sup>:

والناسُ قد جهلوا الإخاء فلا صديقَ ولا نسيبُ  
دعوى الصداقةِ بينهم زورٌ يمتُّ بها الكذوبُ

كما أن الشاعر وبعاظفته الإنسانية الأخوية الصداقة قدم لنا صورة رائعة عن الإخاء الجميل مع أصدقائه وأقربائه وأحبائه، مبيناً لنا جمالية الإخاء الحقيقي الذي يحفظ الود ويمزج بالوفاء مهما طالت السنون والأيام<sup>(٤٤٦)</sup>، في قصيدة (علي)<sup>(٤٤٧)</sup> نجد الشاعر يظهر مدى تلك الأخوية الصداقة بينه وبين ابن عمه علي الزركلي، الذي عندما تذكره أحسن بالدمع يجري وبزفرة سبقت أنينا، وكما أنه لن ينساه ما مرت الليالي والسنون؛ وذلك يظهر مدى عمق وحرارة الإخاء الذي يحمل الشاعر في نفسه تجاه قريبه وصديقه:

فما أحسستُ إلا الدمعَ يجري وإلا زفرةً سبقتُ أنينا  
وهل أنسأكَ ما مرّت ليالٍ ومأنت السنونَ على السنينا  
عرفتكَ في الرخاءِ أحماً حبيباً وفي البأساءِ مؤتمناً ركيناً  
يقول الصحبُ: لا تجزغ وحسبي عليك الدهرُ أن أبقى حزينا

وهذه الأبيات وما تحمله من مشاعر طيبة تفصح عن إنسانية الشاعر وعماظفته الأخوية الخالصة التي حملها إلى أخيه الإنسان، ووضوح مدى الإخاء النبيل الذي لا يخالطه رياء أو كذب أو زور، فالملت لا يرجى منه أي شيء ولا ينتظر منه أي هبة أو عطاء.

---

(٤٤٥) الديوان، ص249

(٤٤٦) الديوان، قصيدة(عناء ووفاء)، ص124

(٤٤٧) الديوان، ص104

وكما أن إيمان الشاعر بالإخاء الإنساني جعله يرحم الضعفاء والمستضعفين والمساكين والمنكوبين، فلم يكن يضع بينه وبينهم حاجز، وفي وفاة الشهيد فؤاد سليم نرى الشاعر يتحسر المأ على أخته التي في الحي ترقب رجوعه وعودته وبينما هي لم تعلم بفقده<sup>(٤٤٨)</sup>:

واحسرتاه لأختٍ في الحي ترقبُ عودك  
تُسائلُ القومَ أتى قصدتَ تجهلُ قصدك  
أخافُ أن تفقدَ النفس حين تعلمُ فقدك

ونراه أيضاً يبكي غريق بيروت الذي مات غريقاً ملقياً جثته غائصة في اليم، وذلك بسبب نقص العيش، فيصور حالة صغاره من بعده وكيف أنه لا نصير ولا مغيث لهم من بعد فقده<sup>(٤٤٩)</sup>:

قضى شهيد صغارٍ لا نصير لهم ولا مغيث فأبكى مُقلّة القلم  
يدعونه وظلام الليل منسدلاً والطّي يُطفيء منهم كُلاً محتدم

واللاجئ المسكين لم يغفل الشاعر عن وصف حاله وكيفية الأجواء التي يقبع في وسطها، وكأن الشاعر يرفض هذه الطبقية والتعالي اللذين استخدمهما ضد هذا المسكين المستضعف، فتجاهل الناس معنى الإخاء الذي يربطهم به:

مبيتهم في حفرة قفـرة تكاد من لأوائهم تُخسِفُ  
لا عاصمٌ إن عصفت زعزعٌ ولا وقاةٌ إن همى صيْفُ  
مصباحهم همٌ ومساهم غمٌ ومضحايم ضئٌ مُدنفُ

كما أن الشاعر رفض التفرقة والتناحر والتباعد والشقاق الذي يباعد بين الإنسان وأخيه الإنسان، والذي يرى الشاعر فيه أنه لا يمكن أن يرجى في تحقيق مساواة بين الناس وإخاء دون تجاوز هذا الشقاق والتباعد، فما برزت في هذا الدنيا راية مؤاخاة تحقق المساواة إلا كان الوفاق والتقارب

---

(٤٤٨) الديوان، ص 96

(٤٤٩) الديوان، ص 193

حليفها ونجاحها، ولذلك يرى الشاعر أن الناس للناس تحيا وبالتفريق تردى، ومن حمل النفس غلاً  
وحقداً فقد حمل نفسه إذاً وإثماً، ولم يجن إلا الضرر والبأساء، لذا من المؤكد أن يد الجماعة تعلقو ويد  
التفريق والفردية تسقط فردى<sup>(٤٥٠)</sup>:

العرب بالعرب تحيا وبالتفريق تردى  
من حمل النفس غلاً فقد تحمل إدا  
لم يجن إلا ضراراً من راح يضمراً حقداً  
يد الجماعة تعلقو والفرد يسقط فردا

ونداءات الشاعر في عدم التفرقة تعلقو عنان السماء وتكاد تقاسمه شيئاً من جسده، لما طال  
الناس من تفرقة حاكت أطيبار السماء وعلت<sup>(٤٥١)</sup>، وما في المجامع والأماكن من فوضى وانقسام،  
فإنك لترى كل شخص له أملاً وسعي وما لإثنين منهم من وئام وإخاء، وحتى وإن اجتمعت الجسوم  
على تراضٍ فتجدها تفترق على خصام<sup>(٤٥٢)</sup>:

وما شكواي أو شكواك إلا لفوضى في المجامع وانقسام  
ترى كلاً له أملٌ وسعيٌ وما لاثنين حولك من وئام  
وأحزاباً إن التأمت فليست تدورُ بها الأمور على التئام  
وتجتمع الجسوم على تراضٍ فتفترق القلوبُ على خصام

---

(٤٥٠) الديوان، ص 217

(٤٥١) ياشعبُ مالك غير متفقٌ بالجهل والتفريق من يشبُ  
حاكيت أطيبار السماء إذا تعلقو - وإذا تهوي فتتقلبُ

الديوان، ص 172

(٤٥٢) الديوان، ص 326 - 327

ويرى الزركلي أنه لولا يد التفريق والشقاق والانفصام لكان الحال أفضل من ذلك<sup>(٤٥٣)</sup>:

ولولا مايدُ التفريق تجني وتعقبُ من شقاقٍ وانفصامٍ  
لكان ببعض من تلقى غناءً وماتهوى على طرف الثمام

كما نرى الشاعر يعلن نداءه الداعي إلى ترك هذا الشقاق والفتنة والخراب بين مانشب بين أهل الجزيرة العربية من وقائع، عندما نزل كل منهم بكل تنوفة وتفرقوا شيعاً وأحزاباً<sup>(٤٥٤)</sup>:

يا صاحبي عَلمِ الرِّياضِ ومكةٍ لا تَنشُرْهُ لفتنةٍ وخِرابِ  
إن الشُّقاقَ إذا تطاولَ عَهْدُهُ آبَتْ به الأيامُ شَرَّ مآبِ  
لا تبعثاها في الجزيرةِ فِتنةً تقضي على المغلوبِ والغلابِ

ودعوة الشاعر الصادقة إلى ترك الشقاق والفرقة ونشر معنى الإخاء والوئام بين الناس، جعله يشن حملة على من يحمل السلاح على أخوته، ويؤذي ذويه بمزدرى أفعاله غير الإنسانية، ولذلك نجد الشاعر في غضون الحرب الأهلية اللبنانية وبعد خروجه ومغادرته المستشفى في بيروت، يستاء ويدوب حرقه من ذلك القناص الذي يؤذي ذويه ويقتلهم<sup>(٤٥٥)</sup>:

اضرب فهذا أخوكا واطعن فذاك أبوكا  
ألست قناص حيّ أقام فيه ذووكا  
بنو عمومتك الأقر بون بل هم بنوكا  
سلط عليهم رصاصاً واسحق فهم أهلوكا  
ويرحم الله من إن رُحمت لم يرحموكا

---

(٤٥٣) الديوان، ص 327

(٤٥٤) الديوان، ص 247

(٤٥٥) الديوان، ص 367



وهذه الدعوة الأخوية الصادقة في عدم التعادي والتخاصم، نجد الشاعر في قصيدة أخرى يدي معنى الإخاء ويؤاخي بين فتى الشرق والغرب ويلصق المنكب بالمنكب، ويحيي انضمام الأخوة إلى بعضهم البعض<sup>(٤٥٦)</sup>:

الأخوان انضمّ صفاهما والتصق المنكبُ بالمنكبِ  
عينانِ في وجهِ الزمانِ التقى ضوآهما في المأملِ المخصبِ  
قل لفتى "الجلباب" في شرقه أخاك في "سلهامه" فاصحبِ

وهكذا نرى أن الشاعر قام بدعوات عظيمة تجمع شتات المتنافرين وشمل المتفرقين بين أطراف البشر، وتهدف إلى صهر المجتمع وتكوينه في وحدة شاملة تحقق الإخاء والمساواة والعدالة الشاملة والسلام الذي يلف بعطائه وطمأنينته كل البشر، وذلك المنزع الإنساني الجميل عند الشاعر يوحي لنا بمدى دعوته إلى أن يكون الناس على ميزان واحد وفي سلم معيشي واحد بعيداً عن أي طلاء خارجي، يتبادلون الأخوة الإنسانية التي خلقوا عليها، مخرجة ثمرة هذا كله في تباشير السلام الإنساني الذي يعم الدنيا بأكملها، فتبرج وتشرق الدنيا ويشدو هزازها بعد النحيب وتبسم الأزهار في رباها معطرة الندى بشممٍ طيّبٍ زاكٍ.

## المبحث السادس: موقفه من الحرب الكونية وتداعياتها

نشبت على سطح هذه البسيطة حرب كونية أولى عام(1914 – 1918)م<sup>(٤٥٧)</sup> وحرب كونية ثانية عام(1939 – 1945)م<sup>(٤٥٨)</sup>، شاركت فيها معظم الدول وطغت أحداثها على مختلف أجزاء الكرة الأرضية، وما أعمق الغور الذي نفذت إليه هذه الحروب، لقد أعادت تشكيل النسق السياسي الذي كانت عليه أوروبا وقسم جزء كبير من آسيا بما فيها الدول العربية، واستعمرت عدة دول في أفريقيا وآسيا، وقامت سيادات وسقطت زعامات وحطمت ممالك وعمارات وأبيدت نفوس وهمشت آمال وتطلعات، واتسعت آثارها لتشمل معظم سكان الأرض باستخدام جميع الأسلحة الحديثة المدمرة، باعتماد شتى أنواع التنكيل والحرق والتعذيب والقتل والتدمير بالمئات والملايين، ولا يزال ذلك غائراً في ضمير الإنسان الحديث، ولا تزال ذكرياتها الأليمة تنصب واقفة في كل قرية ومدينة وكل دولة ومكان في جميع أصقاع المعمورة.

وهذه الحروب من أهم القضايا التي تتحكم بواقع الإنسان، وتحدد مصيره ومعيشته، وتصور الخطا السمو الأخلاقي الرفيع إلى مستوى شرعة الغاب، وعن مدى امتهان اسم الحضارة لتحقيق الأغراض والأهداف، وعن ما سيجنه الإنسان من سحق لكرامته وعزته وهلاك لممتلكاته وتعميق لجراحه.

لذلك كانت تلك الحروب وتداعياتها من أهم الأحداث والمنعطفات التي تشغل الشاعر العربي المعاصر كما شغلت الإنسان في كل مكان وزمان، وكانت دائماً على مدى الدهور مصدراً للخوف والقلق والضياع الإنساني، وحديثاً تنخلع له القلوب وترتعد منه الأبدان نظراً لما تخلفه من أهوال

---

(٤٥٧) للإطلاع والفائدة، ينصح بمراجعة كتاب الحرب العالمية الأولى، عمر الديراوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط19، 2004م.

(٤٥٨) للإطلاع والفائدة، ينصح بمراجعة كتاب الحرب العالمية الثانية، رمضان لاوند، دار العلم للملايين، بيروت، ط20، 2004م.

ودمار وعذاب، فضلاً عن كونها تفتك بالإنسان وتقضي على الحرث والنسل وكل مظاهر الحياة" (٤٥٩).

ولعل لهيب هذه الحروب ووقعها على الإنسان " لا يطرح الشاعر الواقع المصور كما هو بل يعيد ترتيبه، ويقوم بتلوينه تلويحاً خفياً يثير القارئ ويولد لديه ردود فعل إيجابية، تجاه هذه الأزمة الطارئة، التي تخلف آثاراً مدمرة، تقتل، تزلزل، تدمر، تشرّد، تجوّع ... فيعم البلاء معظم سكان الأرض" (٤٦٠).

وإذا نظرنا إلى شاعرنا الزركلي وجدناه عاصر تلك الحروب وذاق مرارتها، وقد تعاطف مع الشعوب الأخرى التي لحقت بهم المأساة وأحرقت مدنهم، وقتلت نساءهم وأطفالهم وشيوخهم وجنودهم، " فالشعراء حرصوا على أن يتجاوبوا من حين إلى آخر مع مشاعر الشعوب الأخرى دون أن تربطهم بهم رابطة دين أو قومية أو جوار وإنما كانت العاطفة الإنسانية وحدها مبعث تجاوبهم هذا، فقد أيقنوا أن المأساة لا تقتصر على أمتهم فحسب بل تشمل سائر الأمم بعد أن غدت البشرية المعذبة ضحية الظلم والعدوان" (٤٦١).

وموقف الزركلي من الحرب وما تسببه من دمار شامل ومن ويلات وآهات تجتاح كل شيء وتأتي أكلها على الحرث والنسل، وما تسببه من خسائر مادية وخسائر معنوية تمر مئات السنين دون أن يذهب وقع ذلك ويبرى لهيب حرّها. موقف الرفض المعارض من قيام مثل تلك المحافل المدمرة، موقف المتعجب المتسائل عما يجري ويحدث، موقف المتأمل من هول الحادثة، موقف المتعاطف المتأمل، وقد كان هذا الموقف تجاه هذا الواقع المأساوي من خلال غضبه الشديد على من يجرّض على هذه الحروب، وتصوير المآسي والنتائج والآثار، وتعاطفه الشديد مع الضعفاء والمساكين الذين ذهبوا ضحية هذه الحروب، والدعوة الصادقة إلى قصر السلام الذي تضحّل فيه جميع الأهواء والأغراض.

---

(٤٥٩) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 409

(٤٦٠) النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص 109

(٤٦١) الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، ص 183

وأول ما أود الإشارة إليه تجاه هذه القضية المعادية للإنسان، هو تصوير الشاعر هول هذه الحرب ونقمتها الشديد على من يؤيد على إثارتها وقيامها، وما العجب وهي مصدر الشر والخسران، مصدر الأنانية واللامبالاة، هي للدمار وهي وللهلاك ومثار أساسي في نبع الضنك والضيق والعدم، والكون لا يعمه البلاء ويتسلطه الشؤم والشر إلا بسبب هذه الحروب، وما تلك الحروب إلا الويل والموت والهدم والخراب والتدمير.

فالشاعر يرى أن هذه الحروب هي مصدر الشر والجحيم والفناء، وأن الكون حين قيام الحرب الكونية جن فيه جنون ابن آدم وأصبح بلا عقل ولا ضمير، يقتل الناس بكل بشاعة ويفني من حوله، وينشر الكروب والهموم الشرور، " فالحرب لوثة تصيب الإنسان في عقله وضميره ووجدانه وتؤدي به إلى الجنون المحتم؛ لأنها لو لم تكن لوثة يفقد فيها الإنسان توازنه وتعقله، لما كان باستطاعته أن يقدم على إذكاء نار ونشر رعبها وحممها وهو يعلم حق العلم نتائجها وانعكاساتها المأساوية التي تلحق بالإنسان أفدح الأذى والضرر" <sup>(٤٦٢)</sup>، وفي وصف رائع للشاعر بيدي لنا الاستياء والرفض والنقمة على هذه المجزرة الإنسانية، يقول الزركلي <sup>(٤٦٣)</sup>:

تلظى الأواز وعمّ الدمازُ وجنّ جنونُ بني آدم  
وهاجت حروب وماجت كروبٌ وسال دمٌ فوق مجرى دم  
أغار فريقٌ فأفنى فريقتاً ونشهدُ معركةَ العالم

كما نرى الشاعر في حين قيام أمريكا بالدخول إلى اليابان في الحرب العالمية الثانية يتعجب ممن يخصي الصرعى والموتى، لأن الناس كلهم جنوا، وهذا الوصف بيدي لنا مدى تأثير من يقوم بالحروب ومن يخوض معمعتها <sup>(٤٦٤)</sup>:

---

(٤٦٢) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 413

(٤٦٣) الديوان، ص 339

(٤٦٤) الديوان، ص 292

يا محصياً صرعى الجُنود على التتبع والتقصي  
إن قيل: جُنَّ الناسُ كلهمُ فهل ستظل تُحصي

كما نجده أيضاً في حين قيام الحرب العالمية الأولى عندما قامت الحرب بين الألمان ومن معهم في البداية ضد الحلفاء ومن تبعهم وثار غبار معاركهم، يتساءل في ذهول مدهش عما أصاب الكون من اقتتام فاحم كأن عليه أغشية دهماء، من هول ما شهده العالم من شر عم الكون بأكمله<sup>(٤٦٥)</sup>:

سلي "ماخرات اليم" عما دها اليما لعلَّ في أمر ما شهدت علما  
سلي "قاطرات البر" ما بال آله تلوا سورة الهيجاءِ وأطرحوا السَّلما  
أرى الكونَ أمسى وهو أقتمُّ فاحمٌ كأنَّ عليه منه أغشِيَةً دهما  
أرى في رحابِ الجوّ أفلاكَ نعمةٍ سُرّاهَا وثيْدٌ ترسُّقُ الهَمِّ والغَمِّ

فالشاعر يسأل السفن والآلات البرية لماذا الناس تلوا الحرب وتركوا السلم والسلام؟! إن الكون بسببهم أصبح قائماً فاحماً مظلمٍ تبتق منه أفلاك النعمة والهم والغم، وسؤال الشاعر المتكرر للجماذ ( ماخرات اليم، قاطرات البر) يوحي لنا بغضبه الشديد على أرباب هذه الجمادات وتجاهلهم وتجاهل الحديث معهم، فقد جلبوا كل تلك الآثام والدمار إلى الكون وجروا في أذيالها المعدات والآلات وما توصل إليه من تكنولوجيا حديثة واستخدموها ضد بعضهم البعض، وكلها أدوات عدائية ضد الإنسان.

كما يذهب الشاعر إلى أن هذه الحرب هي صورة قبيحة تدنس جماليات الأشياء، وروعة القيم الثمينة، والنفائس التي لا تقدر بثمن، وأعظم مآثر هذه الأشياء وجمالها هو (الربيع) هذا الفصل الجميل الذي يستقبل بوجه سعيد وبهجة نفس تملأ الدنيا فرحاً ويسقى زهره بالندى وتتفتح فيه جمال

الطبيعة الساحرة، نراه يبدي ألمه من ذلك، وفي حين أذيع أن معركة (العلمين) <sup>(٤٦٦)</sup> ستبدأ في الربيع، يقول الشاعر <sup>(٤٦٧)</sup>:

قالوا المعارك في الربيع فقلتُ: واهاً للربيع  
الرَّهْرُ يَسْقِيهِ النَّدى فعلام يُسقى بالنجيع

وفي حين الحرب الكونية الثانية كان ربيع سنة 1942م موعداً لاشتداد المعركة بين الأطراف المتناحرة، نرى الشاعر يخاطب الربيع، متألماً مستشرفاً متضجراً <sup>(٤٦٨)</sup>:

جذلاً بوجهك أم دمٌ وجروحُ وأراك تضحكُ أم أراك تنوخُ  
أقبلتُ مُحضلاً الأديم من الندى وعلى مُحياك الصَّبِيحَ كُلَّوْخُ  
الوردُ والريحانُ فاح شذاهما وتعطر الوداي ورقَّ الريحُ  
أترنحتُ باناتُ روضك نشوةً أم زعزعٌ عصفتُ بمنّ لُفُوخُ  
قرع الأسننة بالأسنة مُوشكُ وفضاءُ ساحات الصِّراعِ فسيحُ

كما يذهب الشاعر من خلال مواقفه الراضية إلى الاستياء والنقمة تجاه تلك الفئة من البشر التي تؤيد على الحرب وتبعث الناس إلى الصراع والاحتدام، لهم شر فئمة وأسوأ أناس، فهم كالأفاعي وأشد من ذلك فقد انتزعت إنسانيتهم وتبروا من ذواتهم فبثوا سمومهم البغيضة والشريرة، فألبوا الناس وجمعوهم للعداء، ونظموهم كل مدحج من أسحلة مجهزة للأذى والشر <sup>(٤٦٩)</sup>:

---

(٤٦٦) هذه المعركة وقعت قرب بلدة العلمين، التي تبعد عن الإسكندرية (90 كم، بين الألمان بقيادة (إرفين رومل) و الإنجليز بقيادة (برنارد مونتغمري).

(٤٦٧) الديوان، ص253

(٤٦٨) الديوان، ص41

(٤٦٩) الديوان، ص177

بصُرْنَ بقطانِ البسيطةِ لم يُعُوا لدايِ حزازاتِ الصدورِ بهم حَسَما  
أفاعيِ رمالِ حرِّكَ الضغنِ شرَّها فشَبَّتْ كما شُبَّ اللظى تنفثُ السُّما  
تحفَّزَ للضراءِ كُلُّ مدججٍ ترى للأذى والشرِّ في وجهه وسما

والأبيات السابقة تبدي لنا الاستياء الشديد الذي يحمله الشاعر من آثارها هذه الحروب،  
وغضبه الجرم بلا حدود من يحرض على هذا الدمار الشامل، والقضية الغير إنسانية.

وكما يتساءل الشاعر والجرح غائرٌ والحشا يرمض من هؤلاء الفئة من الناس الذين أوكلت لهم  
المسؤولية والسلطة، فأقاموا الحروب والدمار، ولم يتذكروا الأم عند فقدانها وليدها، والأب عند وداعه  
لأطفاله، والجندي ماذا اقترف حتي يساق إلى حياض الفناء<sup>(٤٧٠)</sup>:

كم عاقلٍ فطنٍ يصيحُ بقومه : من بادرَ الحربَ الصُّروس يسودُ  
يدعو إلى خوض المعامعِ آلهُ ويودُّ لو يدعوهمُ أن عودوا  
أو لم يرعك القيصرانِ تشاجرا وتزاحفت نحو القتالِ جنودُ  
أمَّ يُروعها فراقُ وليدها وأبُّ يناديه الوداعَ وليدُ  
ماذا جنى الجنديُّ حتى استاقه كالمجرمين إلى الفناءِ عبيدُ

إن هؤلاء القادة لو تركوا الحروب واجتنبوها التي كانت مصدراً للدمار والهلاك، لأسعدوا الناس  
ورسموا الابتسامة البريئة على شفاه مواطنيهم، وبعثوا في قلوبهم الراحة العظمى والطمأنينة التي تبعث  
الأمان والاستقرار والسلام<sup>(٤٧١)</sup>:

لعاً ملوك في البلادِ وقادةٍ على عشراتٍ منهمُ أمم تدمي  
لو اجتنبوا خوض الحروب لأسعدوا مواطنهم بالأمن والراحة العظمى

---

(٤٧٠) الديوان، ص204

(٤٧١) الديوان، ص178

كما يذهب الشاعر إلى أن سبب اعتناق جياد هذه الحروب من قبل ممتطيها هي تلك الأطماع البشرية التي تسعى إلى تحقيق غايات وأهداف ترجع في حقيقة الأمر إلى الهوى والغرض، والذي بسببها عصت الحلوم عليهم فلم يقبلوا النصيحة والرشد<sup>(٤٧٢)</sup>:

وَإِذَا النُّفُوسُ تَغَلَّبَتْ أَهْوَاؤَهَا عَصَتْ الحُلُومَ فَمَا يُطَاعُ نَصِيحُ

كما يؤكد الشاعر على أن هذه الأطماع البشرية هي بسبب كوامنٍ من الأحقاد تهيج في النفوس لتطالب القديم من الثأر<sup>(٤٧٣)</sup>:

كُوَامِنُ أَحْقَادٍ أُثِرَتْ فَهَيَّجَتْ نُفُوساً لِتَطْلُبِ القَدِيمِ مِنَ الثَّأْرِ

وقد تكون هذه الأطماع هي ما حالت دون تحقيق السلام "من أجل تحقيق غايات محض ذاتية فرضتها عوامل عنصرية وأحقاد دفينه، وخطرة مجنونة ركبت رؤوس بعض القادة والمسؤولين وأعمت بصائرهم عن رؤية الخير والنور"<sup>(٤٧٤)</sup>.

ومعلوم أن الحروب تسبب جروحاً لا يمكن اندمالها وبرؤها، فهي كالجيش المهذار يتسلط على الناس فيبكي الأب والأم والشيخ والعجوز، يوعز الناس إلى غيرهم فيجعل الناس على بساط الفقر، ويستم الأطفال، ويتسلط على الخيرات والبركات، وهي عواقب وآثار تذرّف بالإنسان إلى الموت وتقوده رغماً عنه إلى مهاوي الردى، وهي سقم في وجه الإنسان، وهدم لأركان البلاد ومساكن الناس، وتلك العواقب والدمار التي يحقق الحرب، ولذلك نرى الشاعر يصور لنا عواقب وتداعيات الحرب، متعجباً مصوراً ما ستورته هذه الحرب من ويل وهدم ودمار وخطب وذنك وعدم<sup>(٤٧٥)</sup>:

---

(٤٧٢) الديوان، ص 41

(٤٧٣) الديوان، ص 73

(٤٧٤) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 417

(٤٧٥) الديوان، ص 177



وما الحربُ إلا السَّويلُ يُجنيه رُبُّها ويهـدمُ أركانَ البلادِ بها عدما  
وكائنُ ترى من شاهقٍ ذي ذرىَّ علت جـوانبهُ قد غادرتَه الوغى رسما  
ومعهد علمٍ حافلٍ برجـاله هوى مُطمئناً بعد أن طاولَ النجما  
هي الحربُ كانت للدمار ولم تزل مثارَ خطوبٍ تبعثُ الصَّنك والعُدا

إن أشد ما يقع على النفس والجسد والناس والوطن هو آثار الحروب ونتائجها المدوية، فلکم  
تهدم ما بينى من سنين عظيمة، وما خطط لإنجازه من قرون عديدة، " فالحرب بجد ذاتها طارق من  
جحيم يصيب البلاد والعباد بويلاته، ويخلف في الأرض والممتلكات أسوأ النتائج والعواقب " (٤٧٦)،  
والشاعر حذر من هول ذلك، وارتفع نداؤه الإنساني من تلك النتائج العظيمة، ووصمها بالويل  
والهدم والدمار.

وفي غضون الحرب الكونية الأولى ومع مبتدأ سنة 1915م، نرى الشاعر بين ألم وأمل يشكو  
سنة عامه الأدنى القريب الذي امتزجت صفوة الحياة بذنب الحرب، ويؤكد على عظم هذه الآثار  
ووقعها الشديد على أديم الأرض (٤٧٧):

وشابَ قَدالُ الأفقِ من رَهجِ الوغى وأفقرَ رَحْبُ البرِّ من زُمـرِ البرِّ  
فلا الأرضُ بالأرضِ التي كنتُ عاهداً ولا البحرُ بحرُ المدِّ والجزرِ بالبحرِ  
تغيَّرَ شكلُ الأرضِ في بعضِ حِقبةٍ وئدَلَّ خَيْرُ الأرضِ بالشرِّ في شَهـرِ

ولعل أعظم هذه النتائج والضحايا من هذه الحروب هي الخسائر البشرية بنوعيتها الجسدية  
والمعنوية، وما تلقي بظلالها على من بقي على قيد الحياة؛ ولذا نرى الشاعر هنا يصور لنا حجم

---

(٤٧٦) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 413

(٤٧٧) الديوان، ص 72

الجثث التي كانت غنيمة هذه الحروب وكيفية تجثمها ملقاة على جانب اليم، وربما أن مبالغة الشاعر في الوصف، يرجع إلى هول تلك الحسائر البشرية الكبيرة<sup>(٤٧٨)</sup>:

لقد هاجني من جانبِ الشَّرْقِ صائِحٌ يَنُوحُ وباكٍ حيثُ مُستترٌ البَـدرِ  
وذو صَخَبٍ خَوْفَ الرِّدى في شِمالها يُرَدِّدُ أَناتِ الجَنوبِ من الذعرِ  
تورَّد وجهه اليـمَّ حتَّى حَسِبْتُهُ من الجِثثِ الملقاةِ مُلتهبِ الجَمـرِ

وفي قصيدة (العيد)<sup>(٤٧٩)</sup> التي قيلت في شهر ذي الحجة من عام 1942م، نرى الشاعر ونظراً لطبيعة الشاعر المرهفة التي تشمئز من الدماء، يؤسفه ويؤلمه منظر ضحايا الحرب الكونية الثانية، عندما تختلط دماؤها مع دماء ضحايا العيد:

دماءُ الضحايا أم نجيعُ أضحاحيها جرى جريانَ السيلِ في سفحِ واديها  
تخصَّبتِ الأرضُ الزكبيُّ تـرائها بأحمرَ قانٍ من ترائبِ أهليها  
شكَّتْ هؤل مايجني الخصام من الأذى ولم تر من مصغٍ إلى صوتِ شاكيها  
فللموتِ هاتيكِ النعاجُ مسـوقةٌ وللموتِ مزجيها وللموتِ حاديها

وكما نجده يعرج في هذه الجزئية بعاطفته الإنسانية الشجية وداع الأب لابنه وبكاء الطفل خائفاً وجلاً على فراقه<sup>(٤٨٠)</sup>:

وربَّ أبٍ نادى ابنه لـوداعه يقبله جمًّا ويُشْبِعُه لثما  
بكى الطفلُ مذعوراً فأطرق واجماً أبوه ومدَّ الساعدين له ضمًّا

كما يحاكي لنا ذلك الموقف الحزين وهو فراق الأم لنجلها المهذب الجامع لحسان الصفات، والذي لم يتعود غير طيب العيش بعيداً عن مر الشر وطعمه، عندما يساق إلى خوض الحرب وقلبه

---

(٤٧٨) الديوان، ص72

(٤٧٩) الديوان، ص147

(٤٨٠) الديوان، ص177

وحف يملؤه المم، وكيف أمه راعت هول فراقه؛ ولكنها عضت على الأسي وصبرت وأزمعته على  
خوض الحرب بكل قوة وصبر<sup>(٤٨١)</sup>:

وأَمَّ حباها الله نجلاً مُهذباً رقيق الحواشي لا جهولاً ولا فُدماً  
تعود طيب العيش تحت ظلالها ولم يذق من شر أيامه طعماً  
دعاه إلى خوض الوطيس مُحكِّم فبات وذكر الرّوع يملؤه همّاً  
سعى يبتغي أمّاً رأته فصفقت له طرباً واستقبلت بابنها غنماً  
وما راعها إلا حديث وداعه وجمجت ليست تطيق لها فهماً  
فعضت أسي وكفأ لها وتهدت ولكنها ارتدت وقد أزمعت عزماً :  
بني أجب داعي المعامع والتمس بحيث الوغى مأوى يؤوي لك الأما  
فليس لمثلي طاقةً بفراقها وحيداً لها خصت به حُبها الجمّاً

ويستطرد الشاعر في عرض هذا الموقف الإنساني مظهراً لنا نفسية هذا الفتى وحالته غير الجيدة بين  
فكي الصمت والدمع<sup>(٤٨٢)</sup>:

هنالك طال الصمت والدمع واكف وزبّ كلام كان في كبـدٍ كلما  
جثا ضرعاً يستكتم العين دمعها ويسأل من أولته رحمتها الرّحمى  
يُرجي من العينين كتم اضطرابه وهل تكتّم العينان والدمع قد نماً

وفي موضعٍ آخر نجد الشاعر يصور لنا مشهداً إنسانياً أليماً، وهو لحظة الوداع التي تجري بين  
الأم والجندي، عندما يناديه أمير الكتيبة ويدعوه إلى ساحة الحرب، وما يتم من لفظة واشتياق وتذكر  
ونذب وبكاء<sup>(٤٨٣)</sup>:

---

(٤٨١) الديوان، ص 177-178

(٤٨٢) الديوان، ص 178

(٤٨٣) الديوان، ص 171

بكتْ نجلها حين نادى به أميرُ الكتيبة واستاقه  
دعاهُ إلى الحربِ فاستمطرت بذرْف المدامعِ أحداقه  
دنتْ منه تبكي وقد هيجت حُنُو فتاها وإشفاقه  
فأطرقَ يندبُ أيامه وصاحت لِتمنعِ إطراقه

ولعلنا نتطرق إلى موقف آخر للشاعر - أعمق في التصوير والحال - صوّر فيه ضحية من ضحايا الحرب العالمية الأولى، بريشة شاعر حمل هموم الإنسانية على عاتقه، وأسقمه ما آلت إليه هذه الحروب، ففي قصيدة (البائسة) (٤٨٤)، وهذه الأبيات تدور حول زوجة شابة مات زوجها في الحرب، وخلف لها ابنين صغيرين، ومضى عامان فلنفقت الأسرة المنكوبة ما لديها من مال قليل، ثم أفادت على الجوع والفقر، فلا تجد الأم إلا ماحنّ به المتصدق حتى ضاق بها العيش، وخرجت في صبيحة يوم لا تهدي إلى باب تطرفه، فتصدى لها رجل فاسد، تظاهر بقدرته على إكرامها وإعطائها فتبعته إلى منزله، ووقعت الكارثة، ثم رامها بجيلة وشاغلها، حتى توارى عنها وهرب. فألم الشاعر ما أصابها وأدمعت عيناه، مما رآه من هول مصابها:

بكت فاستلهمت بالمدامعِ مقلتي وهمت بنطقٍ وهي بالدمع تشرقُ  
ترفقت بالتسأل عما أصابها وقد هاج شجوي دمعها المترقُ  
قضى زوجها نجباً وخلف حولها وليدين في مغناهما الخيرُ مغدقُ  
صغيرين ما مستهما قط لوعةً ولا حلّ في نفسيهما ما يؤرقُ

فالشاعر يبكي حال هذه الفتاة التي كانت ضحية كغيرها من الضحايا التي لحقت بهم أنياب هذه الحرب، وألحقت بهم الخسائر الكبيرة من فقد وألم وجوع وخوف، ويتعجب الشاعر ويتساءل عن قسوة هذه القلوب التي تظلم وتقتل وتشرد وتقيم هذه الحروب، وتواري الرحمة خلف قضبان الظلم:

فيا ربّ ما أفسى القلوب التي أرى وكم من قرير العين بالنّوح أخلقُ  
أجفنّ على الذاتِ والصفو ينطوي وجفنّ بأطرافِ السماءِ مُعلّقُ  
أما راحمٌ للناسِ يرثي لمُعَدمٍ تحيّر في أيامه كيف يُرزقُ  
مخوفٍ جُمودِ العينِ طاوٍ على الصّنى دقيقٍ شوى الجُثمانِ يوشكُ يُزهقُ

وتلك المواقف المليئة بالعواطف الإنسانية بين أود عاطفة قد يحملها الإنسان تجاه إنسان آخر  
(الأم/الإبن)، (الأب/الإبن) (الزوجة/الزوج)، هي بسبب الحروب التي تفرق بينهم وتشتت شملهم،  
فتضع طرفاً في عداد الموتى وفي ذكريات الأمس بينما الآخر يوضع في قفر خالٍ من الآلام والأحزان  
وربما الفقر والتشرد.

ولذا نجد الشاعر يبدي لنا مواقفه ضد هذه الحرب بتصويره حجم الضحايا الميتة التي كانت  
نتيجة هذا الدمار، وحجم الضحايا الحية التي تذهب إلى الموت من دون ذنب مقترف، وحجم  
الأسى الذي يلحق أوتار هذه الضحايا. وفي اعتقادنا أن جمع الشاعر بين تلك الصور الإنسانية  
يبدي لنا بمدى رفض الشاعر هذه الحرب وما تداعت إليه، ومدى حجم العاطفة الإنسانية الكبيرة  
التي يحملها الشاعر بداخله تجاه الإنسان الآخر.

فالشاعر من خلال ما سبق من خلال وقوفه على أحداث وآثار هذه الحروب المدمرة وتصوير  
المحصلة التي جنتها الإنسانية من هذه الحروب، فقتلت الطفل في مهده وفارقت بين الأحبة والأخوة،  
وألقت بالإنسانية على قارعة الطريق لاتجد من تقي به حر الشمس ولهب قسوة الجوع، وما حققتة  
من دمار حقيقي وتحول كل سعادة تعاسة وكل نعماء إلى بأساء؛ دليل رفض وسخط لهذه الحروب  
وأنها صورة ومصدر أساسي وواجهه حقيقة للشر. الشر " الذي يبعث الشك ويحيل التفاؤل إلى نوع  
من الشعور بالتخلي والعبث والهاوية. وهو الذي ينتقص حدود الأشياء ويرفض معطيات العقل  
والضمير ويزرع البلاء والخراب في النفس، وهو كذلك الذي يغشى العالم الهادئ المطمئن بسور  
الارتجاج والتشويه مبدلاً ملامح الأشياء مفككاً أوصالها ومغيراً أحجامها وأقدارها حتى يحيل روضة

الحياة إلى بلقع عالمه عالم الفساد والانحلال" (٤٨٥). وهكذا فإن هذه الحروب أساس للظلمة والبؤس والكهوف المسيطر عليها لجح القتم والشر، وفي ما يقابلها صورة بيضاء خيرة داعية إلى السلام تبعث الخير والأمن والأمان بين البشرية، وترفض ذلك الشر وأهله.

وهذه الصورة الطيبة المشيدة بالبناء العامر الذي يحتفظ بحقوق الإنسان، وتقي روحه من القتل والشر والفقر واليتم والبين. نجدها ماثلة كذلك داعية عند الشاعر إلى هذا البناء العامر، بناء السلام والخير الذي يقي فيه الإنسان شرور هذا الدمار، والذي "ينتصر لكل القوى الإنسانية التي تعمل في سبيل قهر التخلف والجهل والظلام، وينتصر للذين يعيشون حياتهم القصيرة، كما هو انتصار للأطفال الذين سيصبحون رجال الغد، وانتصار للنطف التي لم تتفجر بعد بما أنفاس الحياة.." (٤٨٦).

ولذلك نرى أن الشاعر وقف من هذه الحرب موقفاً إنسانياً نبيلاً داعياً إلى السلام وأهله وميدانه، فنجده يحي قصر السلام وآله، ويتمنى لو أنه بالقرب منه يجله ويعظم أحجاره، كما يحي ويعظم شأن الإنسان الذي بنى هذا القصر مبتغياً به الهدى وجمال الحياة (٤٨٧):

سلامٌ على قصرِ السلامِ وآلهِ سلامٌ على من شيدوا ذلك الفخما  
رجالٌ بنوهُ يبتغون به الهدى وأعظمُ بهم ناساً وأكرمُ بهم قوماً  
ويا ليتني بالقرب منه أجلُّه وأجثمُ إعظاماً لأحجاره جثماً

كما نجده يؤمل مبتدأ العام الثاني من الحرب الكونية الثانية الذي لاح فجره، بأن ينشر الأمل والبشر والسلام في أرجاء المعمورة، مؤكداً على أثر السلام الذي بوجوده سيعزز مهضوما وتخلو

---

(٤٨٥) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 411، نقلاً عن إيليا حاوي، مجلة الآداب، ص 19، عدد 11، 1962م.

(٤٨٦) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 437

(٤٨٧) الديوان، ص 178

منقصة ومذلة وينهض بالناس من الضّرّ، ويسكن روع الخائفين ويعد عنهم الذعر ويهيج أنفسهم  
وصدورهم<sup>(٤٨٨)</sup>:

فيا أيها الحولُ الذي لاحَ فجرُهُ يُعلِّلُ بالصّفوِ المؤمِّل والبشُرُ  
لعلّك حول الحول والقوّة التي تُطامنُ من كِبَرِ العُتاة ذوي الكِبَرِ  
تُعزّز مهضوماً وتجلو غَضاضةً وتنهضُ بالأقوام من حَمأة الضّرّ  
تُسكّن روع الخائفين فيُردهي بك الوجلُ المدعورُ مُبتهج الصّدِرِ

ويقدم لنا نظرة واقعية مستشرفاً المستقبل تجاه الحرب، وذلك عندما يرى الناس حادوا عن خيار  
السلام وأهله وابتغوا بغيره النجاة والخلاص، وتلك النظرة تكمن في هؤلاء الناس الذين لم يرضوا إلا  
بالخوض في معامع الحرب وجلب الغنم وتحمل الغرم، والاستبداد بالهوى وتركت النصح والتوجيه،  
والنؤي عن درب الحجى والحصافة والحزم، ونهج دروب الحرب بالنار والسيف؛ فإنهم بذلك سوف  
يلحقون بالأجيال التي سبقتهم التي كانت وأصبحت للدمار خير مثال<sup>(٤٨٩)</sup>:

فقولي على الناس العفاء تسوّمهم عوادي الرّدى ما تأتلي بهم سؤوما  
سيلحقُ هذا الجيلُ عاداً وجرهماً ويتلو جديساً في الكوارثِ أو طمّسا

ويذهب الشاعر إلى أن هذا البناء العامر طال عهده حتى كاد ينسى ويترك على طول السنين،  
وما أجمل تلك الأيام التي كانت لا تعرف هذه الحروب ووحشيتها عندما كان للصفو والرخاء والأمان  
مكانته وقيمته ولم يدنس ويلطخ بالحروب ومراتع الخصام، وهذه دعوة صادقة من قلب الشاعر يتمنى  
فيها أن يعم الرشدهم جميع الناس، ويضعوا عنهم هذه الحروب ويدركوا معنى وحلاوة الأيام<sup>(٤٩٠)</sup>:

---

(٤٨٨) الديوان، ص73

(٤٨٩) الديوان، ص179

(٤٩٠) الديوان، ص332

طالَ عهدُ الأنامِ بالسَّلمِ حتَّى كادَ يَنسى الأنامُ عهدَ السَّلامِ  
كانَ للصفو والرخاءِ زَمانٌ لم تُخصَّبَ به شِباهُ حُسامِ  
كانَ للنَّاسِ مَرْتَعٌ في أمانٍ واعتدوا في مراتعٍ من خصامِ  
ليتَ شعري هَلَّا يَعودُ إلى الرُّشدِ هداةُ الجُموعِ والأقوامِ  
هل يَحييُ اليومَ الذي يُدرِكُ العالمُ فيه حَـلاوةَ الأيَّامِ

والشاعر في دعوته إلى السلام نلاحظ فيها دعوة عامة ذات دلالة سامية ذات مستوى رفيع تتجاوز في مكانتها كل الحواجز والحدود والعقبات، لا تختص بفتنة معينة أو فريق معين، دعوة نستطيع أن نبرهن عليها بأنها لا تختص بأحد معين دون آخر أو مقتصرة على أناس دون غيرهم.



## المبحث السابع: النموذج الإنساني

لقد انتشر الحديث عن النموذج الإنساني أو البشري في الدراسات النقدية؛ لأنه يجسد معان إنسانية معينة أو رموزاً حياتية هامة. بحيث يكون هذا النموذج مثلاً للاقتداء والاحتذاء أو مثلاً سيئاً يولد النفور والاشمئزاز، وهو في كلا الحالتين ذو تأثير إيجابي إما قبولاً أو رفضاً يرتبط بمواصفات ظاهرية وباطنية، وبسلوكيات في الأفعال والأقوال والقيم. وبمواقف في الحياة تؤثر في الأفكار والعواطف والمصائر.

والمفهوم اللغوي لكلمة (النموذج) تعني في القاموس المحيط، بفتح النون: مثال الشيء<sup>(٤٩١)</sup>، وفي المصباح المنير، مثال الشيء الذي يعمل عليه<sup>(٤٩٢)</sup>، ولم يخرج المعجم الوسيط عن هذا الإطار<sup>(٤٩٣)</sup>؛ ويتضح من ذلك أن كلمة (نموذج) تعني المثال التام الذي يُحتذى به، وأما كلمة (الإنساني) فقد تطرقنا لها في الشرفات الأولى من البحث، ولكنه من المؤكد أنها تحمل في طياتها معنى العموم والشمول<sup>(٤٩٤)</sup>.

والمفهوم الاصطلاحي لكلمة (النموذج الإنساني)، يعرفه غنيمي هلال بقول: هو تصوير نموذج لإنسان تتمثل فيه مجموعة من الفضائل أو الرذائل أو العواطف المختلفة التي كانت في عالم التجريد، أو متفرقة في مختلف الأشخاص، فينفث الكاتب نموذجاً من فتنة يخلق منه مثلاً ينبض بالحياة، أغنى في نواحيه النفسية، وأجمل في التصوير، وأوضح معالمه مما نرى في الطبيعة<sup>(٤٩٥)</sup>. ويعرفه علي عبد المنعم: "هو تقديم صورة متكاملة الأبعاد الجسمية والنفسية والاجتماعية؛ بحيث تتمثل في هذه

---

(٤٩١) القاموس المحيط، ص 233

(٤٩٢) المصباح المنير، ص 322

(٤٩٣) المعجم الوسيط، ص 956

(٤٩٤) د. علي عبد المنعم، النموذج الإنساني في أدب المقامة، ص 5، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط 1، 1994م.

(٤٩٥) د. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص 293، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط 2.

الشخصية مجموعة من الصفات كانت من قبل مطلقة في عالم التجريد الذهني، بعيدة عن عالم الحواس، أو كانت متفرقة في مختلف الأشخاص<sup>(٤٩٦)</sup>.

وبذلك نجد أنه يقصد بالنموذج الإنساني هو: تقديم صورة متكاملة الأبعاد لشخصية ما، بحيث تتمثل فيها مجموعة من الفضائل أو النقائص، وليس لهذا النموذج قيمة فنية إلا حين يستطيع الأديب أن يجعل منه مثلاً ينبض بالحياة من خلال إظهار نواحيه النفسية والاجتماعية. وتشكيل صورة له أكثر عمقا وإقناعا يجمع كثير من الصفات التي تؤلف في وحدتها سمات مميزة للشخصية، ويصير النموذج مثالا للكمال أو النقص، لما يحققه الكاتب فيه من عمق الدلالة وإثارة الشعور والفكر.

وقد تكون هذه النماذج نماذج إنسانية عامة ذات زاوية محددة، ونماذج لشخصيات تاريخية ذات أبعاد مختلفة اقتحمت التاريخ من أوسع أبوابه بأفعالها التي غيرت به مجرى الحياة الإنسانية، أو اقتحمت المجال الأدبي على أيدي أدباء كبار، فهي "حين تدخل نطاق الأدب على يد عباقرته، فتصبح قوالب أفكار عامة اجتماعية وفلسفية، وتكتسب طابعاً أسطورياً، فتتسع للتعبير عن فلسفات مختلفة، وتكون منفذ لتيارات عالمية فنية وفكرية"<sup>(٤٩٧)</sup>.

وأيضاً مثل هذه النماذج - أعني نماذج الشخصيات التاريخية - "أبلغ تأثيراً من غيرها؛ لأنها أقوى تعبيراً عن عصرها، وأدق تمثيلاً لضمير مجتمعتها؛ إذ أنها تخصصت بسمات معينة، وكلما ازداد تخصصها ازدادت شفافتها عن معان إنسانية أرحب وأعمق؛ حتى تصبح جوانب خالدة لجوانب النفس الإنسانية، كأنها تعيش في كل البلاد، وتتكلم كل اللغات، وتحيا من أجل ذلك في كل الأذهان.." <sup>(٤٩٨)</sup>.

والنموذج الإنساني لا يقتصر على عصر دون غيره؛ ولكنه يكتسب خصوصية تبرزه في عصره أكثر من غيره، إذا توافرت له الظروف والعوامل المناسبة. وعادة تكون تلك النماذج الإنسانية

---

(٤٩٦) د. علي عبد المنعم، النقد الأدبي، ج3، ص45، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، 1979م.

(٤٩٧) الأدب المقارن، ص310

(٤٩٨) النموذج الإنساني في أدب المقامة، ص9

يتخذها الشاعر وسيلة ليحرك الأعماق الخفية في الحياة الإنسانية في مجتمعه أو غيره، راصداً ما يطرأ من تغيرات قابلة للتمام والنقص، ومن ناحية للتعبير عن حدسه وآماله التي تنصب في خدمة الحياة والإنسان.

والنماذج الإنسانية التي اختارها الزركلي من ناحية الشخصيات التاريخية هي تلك النماذج الإنسانية التي أثرت الكون بما قدمت، مما جعلها نماذج تحتذى، وهي متنوعة ومختلفة وسوف نتطرق إلى كل منها على حدة.

وأول تلك النماذج بداية ما نراه في الشخصية التاريخية (صقر قريش) <sup>(٤٩٩)</sup> الخليفة الأموي عبدالرحمن الداخل، الذي رأى فيه الشاعر أنه نموذج أمثل للبطولة والشجاعة والملك العادل والطموح بلا حدود والعزة والإباء، يقتدي به الناس ويكون خير مثال وكمال.

وهذا النموذج صوره الشاعر مكتمل الأوصاف والمحاسن، متمتعاً بقوى إنسانية قيمة، زرع فيها الطموح والتأميل والتمكين والإخلاص، فأطل على الأيام فابتسمت له من حسن ذلك، واعتبر سراً من الأسرار المكنونة النادرة، التي قلما توجد في غيره من النماذج الإنسانية الأخرى، التي تتجاوز بدأها الصعاب والعقبات، وتزيدها شعوراً ودافعاً إيجابياً نحو الأفضل:

فتى أطلَّ على الأيام فابتسمتْ وكانَ سراً من الأسرار مكنونا  
ما صده اليتُّمُ طفلاً عن مطامحهِ بَلْ زادهُ اليتُّمُ تأمِلاً وتمكيناً

وهو رمز للأجيال وتذكرة وعبرة للناس كافة، قضى حقه في مدارج العلا، منتصفاً من كل واثريه، محققاً ما يظنه الناس ويعتقدونه فيه من الخير والبطولة:

نَمَّ شامحاً في الثرى! جَبَّارَ أندلسٍ واصحبَ بروحكِ ميكالاً وجبرينا  
واتركَ زُفاتكَ للأجيالِ تذكراً وعبرةً للمُطيفين المكيِّبينا  
قَضَيْتَ حَقَّ المعالي فانصفتَ لها من واثريها وحققْتَ الأضانيبا

وهو لا يرضى إلا بالإقدام والمجد والسرى قدماً متوكلاً بربه يتوقى العاب والهون، كبيراً بأفعاله، استاق عظمته وهي لا يزال في المهد من أخلافه العظام ، واتشح رداءه وبردته من لباس الأنبياء:

لله نفسٌ أبتْ إلا السرى قُدماً برّبّها تتوقى العابَ والهونَا  
كبيرَةٌ رضعَتْ أخلافَ سُؤدُدِهَا في المهدِ وَأَتَشَحَّتْ بُرْدَ النَّبِيِّنَا

وهو مثال كذلك للعزة والإباء فهو عندما نظر إلى أبناء مجتمعه فوجدهم يعجون في سواني الضغن، وناظرهم مؤسف يبعث إلى الهم والكدر، من أسير بالسلاسل ومن خوار مسكين ومن ملقى عليه البسط مقتولاً حنقاً، ألقى على الشام سلامه مودعاً إياه، دامعة عينينه محزونة، فما من ذلك إلا أن دفعته إلى الصحو، فصحا صحوة أبيّ مقدام يشتد حيناً ويعيه الأسي حيناً، فخاض الفلوات وتجاوز القفار يصارع الوحوش والثعابين ولم يرعه شيء، حتى نأى بنفسه إلى ليضع له المجد الخالد:

ألقي على الشامِ جَمُّ الهمِّ نظرتهُ مُودعاً داميَ العينينِ مَحزونا  
نفسٌ لصقر قريشٍ أكبرت مضضاً عاناهُ من قومه الصيْدُ المعانونا  
سرى وحيداً على اسم الله سيرته مُتيمماً بابتناءِ المجدِ مَفتونا  
سعيّاً تحارُّ له الأفلأكُ متصلاً يسابقُ الريحَ فيه لا الشواهينَا

كما أنه كان خير إنسان ابتداءً من التفرد والتشرد والمطاردة إلى أن بنى معالم الملك ما أعيا بناؤه الملايين، فضم الشتات والتفرق، وكفكف الدموع في حرّان، وسكّن الخوافق في ربوع الشرق، كل ذلك بإرادة وتصميم وعزمٍ وثيد وهو في أطراف لشبونة:

دمعٌ تصبب في حرّانَ كفكفه فتى أُميةً في أطراف لشبونا  
وخافقٌ في رُبوعِ الشَّرْقِ سَكَنه في الغربِ مُدرعُ الإقدامِ تسكينَا  
ويحُ الشَّرِيدِ الطَّرِيدِ الفَرْدِ جَدَّد مِنْ معالمِ الملكِ ما أعيا الملايينَا  
ضمَّ الشَّتاتِ بعزمِ ثابتٍ ويدٍ لو لامستُ مُيِّدَ الأَجبالِ أرسينا

وأما النموذج الإنساني الآخر هو شخصية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن، الذي يرى الشاعر أنها النموذج الأول للقائد السياسي الأمثل، الذي كان رجل التاريخ للعروبة والإسلام، الذي لولاه

لماصين بيت الله والحرم ولم يتم أحد بتوحيد الجزيرة العربية، التي أعلن فيها الإسلام وصانها من الحلك المرئي والشرك الخافي، فأقامها على النهج السداد والعزة، وأعز الإسلام والمسلمين فيها وقام بتوحيد الأشتات ولم الجموع وقام بتوطيد المحبة مع الأحلاف<sup>(٥٠٠)</sup>:

تقدّمها عبد العزيز فصانها من الحلك المرئي والشرك الخافي  
دعا فأجابته الجموع فقادها فوحد أشتاتاً وقام بأحلاف

كما نشر فيها الخيرات والبركات، وأسأل فيها التبر عيوناً، والحصى دُرٌّ، ولألاء النجوم عقود،  
ورفل فيها الحضارة والتقدم والازدهار، ونشر الأمن والأمان بين الناس للغادي والرائح<sup>(٥٠١)</sup>:

ردّ الجزيرة وهي نسبي بلقع حوضاً عليه للعفاء بُرودُ  
التبرُ سال بها عيوناً والحصى دُرٌّ ولألاء النجوم عقود  
رَفَلَتْ بأبراد الحضارة أربعُ كانت عليها للعفاء بُرودُ  
أمنَ المخاوف غادياً أو رائحاً جَوَابُ مُتَفَرِّعِ رعاها السيّدُ

وإذا الأمور تجاوزت حدودها عنده، فعم الفساد الأرض، وطغى الظلم، وانتشرت شرار الأمور،  
فغلبت على الخير، فإنه يأتي ويضع لكل هذه المفاسد حدوداً ورا دعاً كالسيل إذا طغى فيفسد  
المحصود<sup>(٥٠٢)</sup>. فهو قد عرف الحياة بكافة أشكالها الناعمة والبائسة، بلياليها البيض والسود<sup>(٥٠٣)</sup>:

عرفَ الحياةً مناعماً ومبائساً وتداولته بيضُها والسُّودُ

كما كان قدوة مثلى في سبيل النضال والأمانة والطموح وتحقيق المجد والنماء والصلاح وتأکید  
الهوية الإسلامية، فما نام تحقيق المراد لوطنه مؤسساً ومنظماً ستين عاماً بيني الصروح ويشيد بالتقدم،

---

(٥٠٠) الديوان، ص342

(٥٠١) الديوان، ص303

(٥٠٢) الديوان، ص303

(٥٠٣) الديوان، ص304

فأسس عرشه بما يريد من دعائم الإيمان والصدق والتسديد لله سبحانه ثم توحيد صفوف الناس وقلوبهم<sup>(٥٠٤)</sup>:

عرشٌ بناه على النضالِ عمادُه ودعامهُ الإيمانُ والتسديدُ  
ما نام عنه مؤسساً ومنظماً ستين حولاً بيتني ويشيدُ  
ضمَّ القلوبَ موحداً أشاتها لله ثم لشعبه التوحيدُ

وهو الإنسان المؤمن لربه والمطيع لأوامره، والذي لاتزال عينه متصلة بربها وقلبه بغير الباري منفصم غير متصل، وهو الإمام الحق الذي تحرسه عين الله من كل معتدٍ ومن كل حاسد<sup>(٥٠٥)</sup>:

عبدالعزیز الإمام الحقُّ تكلُّؤُهُ عينٌ من الله لا جندٌ ولا حشم  
العينُ إنسانها بالغيبِ متصلٌ والقلبُ عن غيرِ ذكرِ الله مُنفصم

كما يمتلك من المحاسن والصفات الجيدة أجمعها وأسمائها منزلة، فهو يمتلك مثلاً الحنكة والحكمة، واليقظة والنباهة وسرعة الخاطر؛ مما تساعده على تجاوز الصعاب والعقبات بالرأي السديد والاستشراف الصائب<sup>(٥٠٦)</sup>:

الناسُ بين يدي حكيمةٍ يُمنُّهم بلوائه ويؤمنه معقودُ  
يقظُ كأنَّ لقلبه ولعينه رصدين لا يُعييهما مرصودُ  
عقلٌ كأن الغيب منبسطٌ له سِفرًا ورأيٌ في الصعاب سديدُ

ويمتلك الإمارة في المعارك والشجاعة الصارخة والبدانة الوحيدة، فهو عندما تتطاحن الفرسانُ يكون بينهم كالعلم يموج وحيد لاتمسه الأسياف إلا كما خدش الحديد حديد<sup>(٥٠٧)</sup>:

---

(٥٠٤) الديوان، ص304

(٥٠٥) الديوان، ص28

(٥٠٦) الديوان، ص303

(٥٠٧) الديوان، ص303

تتطاحنُ الفرسانُ وهو كأنه ما بينها علمٌ يموج وحيدٌ  
لا تبلغُ الأسيافُ من جثمانه إلا كما خَدَشَ الحديدُ حديدُ

وكذلك الكرم فهو كريم معطاء كمنهل السحاب، يعطي بسخاء ولا يكتنز المال ويدخره، وهذا المال ليس بمحبب عنده أبداً لولا ذلك الجود والعطاء<sup>(٥٠٨)</sup>:

جودُ كمنهلِ السحابِ وما الغنى بمحببٍ لولا التدى والجودُ

وهو المعمار الإنساني الذي يستجير المستجير ويعطف على المسكين، ومصدق العهد والأمانة، به يثق الناس ويعتصمون به<sup>(٥٠٩)</sup>:

صدقت عهدك والأيامُ شاهدةٌ والعهدُ عندك عهدُ الله والذممُ  
عش للعروبة والإسلام مُعتصماً فإنما بك بَعَدَ اللهُ يُعتصم

كما أنه الإنسان الذي تعاهد الناس على تأييده، وتعاهدوا على الولاء له، مخلصين له ملكاً عادلاً، جنوداً له متى ما يريدهم في المحن والأزمات، وهذا ما يبدي لنا بأنه اكتسب ثقة الناس في محبته والولاء له<sup>(٥١٠)</sup>.

وما يلحق بال نماذج السابقة كذلك، هو نموذج الملك فيصل بن عبد العزيز الذي كان نعم القائد والسياسي العربي، الذي استبشر الشاعر بتنصبه ملكاً وعقد به الأمل الزاهر الذي يحقق السياسة المثلى للوطن، بالمحافظة على صوت الملك من العبث بإحقاق العدل، ونشر الأمن وكشف المشاكل والمعاضل التي تواجه الناس<sup>(٥١١)</sup>:

من مثله كان كشافاً لمعضلة من مثله كان حلالاً لإشكال

---

(٥٠٨) الديوان، ص 304

(٥٠٩) الديوان، ص 29

(٥١٠) الديوان، ص 304

(٥١١) الديوان، ص 347

كما أن الناس أحبوهم وعقدوا عليه الآمال، واستبشروا بقدومه ملكاً وقائداً، فرفوا له التحايا والتبريكات، وسارعوا له بالبيعة والولاء<sup>(٥١٢)</sup>:

تباشَرَ الناسُ لما قام فيصلها مُملكاً وأتت بالبيعةِ الرُّسلُ

وكان هو الزعيم الذي حفظ حق وطنه وكان رمزاً في حبه الحقيقي تجاهه، فرفع شأنه في السبق إلى المجد وتحقيق الآمال، وصانه من الفجائع وتركه لا يعي نشوان الألم وحطام الأسي، كما صد أعداءه من التآلب عليه صد الأب الحنون، بغض النظر عن موقعه الرئاسي<sup>(٥١٣)</sup>:

تركته لا يعي نشوانَ من ألمٍ محطماً بالأسى منهوك أوصالٍ  
وكنتَ تكلؤه من كل نازلة كلاءة الأب لا المولى ولا الوالي  
بادلته الحبَّ تسقيه على ظمئٍ وُدّاً ويسقيك من ودٍ بهطالٍ

وهو يمتلك الدراية والتجربة في الحياة الإنسانية، فكان خير قدوة تتعلم الناس منه الخصال الحميدة والصفات الرائعة، كالحلم عندما يغضب ، والصبر عندما تعظم المصيبة أو تحدث حادثة، والرأي السديد ولفت الانتباه والقوة في الحديث والظفر بالخير<sup>(٥١٤)</sup>:

يا فيصلاً عَرَكَ الأيامَ تجرِبَةً وخاضَ لُجَّ لظاها وهي تَشْتعلُ  
تَعَلَّم الناسُ منه الحِلْمَ في غضبٍ والصبرَ إنْ جَلَّ خَطْبٌ أو دهى وهلُ  
في كلِّ مُجْتَمعٍ للرأي مُنْعَقِدٍ إليه يُصغى وترنو نحو المقلِّ  
ما جاء من ظفرٍ إلا إلى ظفرٍ جِلُّ يكلله فوزٌ ومُرتحلُ

كما أن تلك المحافل والميادين التي احتضنت المعارك أيام الحروب وسل السيوف ورمي الرماح، وفي المقابل في وقت السلام والعطاء والأمن والأمان، كان فيها هو الرجل البارز والحقيقي الصادق<sup>(٥١٥)</sup>:

(٥١٢) الديوان، ص344

(٥١٣) انظر تكملة الأبيات في الديوان، ص347

(٥١٤) الديوان، ص344



تلك الميادين في سلمٍ ومُعتركٍ أشهدتَ ربَّك فيها أنك الرَّجُلُ ..

وأما النموذج الإنساني الذي يختلف عما سبق هو نموذج الملك حسين الشريف الذي صوره الشاعر نموذج إنساني يتراوح ما بين الكمال والنقص والقبول والرفض، بمعنى أن الشاعر جعله نموذجاً إنسانياً يحمل ضدين من الجانب الإيجابي أو السلبي.

ففي البداية يذكر بأنه لم يكن يحذر الحذر الشديد من خصومه وأعدائه، حتى طال انقياده للإنكليز، ومواليه الذين في صفه، كما أنه كان يسيء الظن بجميع الناس حتى لدرجة تصل إلى الرضيع والفتيم<sup>(٥١٦)</sup>:

لم يجدك الحذرُ الطو يُل من الموالى والخصيم  
أيامٍ كنتَ تُسيءُ ظنك بالرضيع وبالفتيم

وأنه كان يأخذ النرجسية في تصرفاته ولم يكن يقبل بالنصيح بل يحفى ويحظى بالنمامين الوشائين، فأصبحت النعمى والخيرات لهؤلاء الوشاة بينما لظى الجحيم للأباة الذين يزجون بالنصائح<sup>(٥١٧)</sup>:

ما كنتَ تحفلُ بالنصيحِ وحِ وكنتَ أحفى بالنموم  
للنعمياتِ يدُ الوشاةِ وللأباةِ لظى الجحيمِ

وكم كان يظلم أرواح الأحرار وجسومهم، ويسجنهم في قبو قصره، عقاب منتقم ظلوم<sup>(٥١٨)</sup>، وهو بتلك الخطايا لا يستحق الخلافة وهي بعيدة منه كل البعد؛ لأنه يجهل أمورنا ويجهل أمور الناس فيها<sup>(٥١٩)</sup>:

---

(٥١٥) الديوان، ص 344

(٥١٦) الديوان، ص 76

(٥١٧) الديوان، ص 76

(٥١٨) الديوان، ص 76

(٥١٩) الديوان، ص 77

عجباً لمن طلب الخلافة والخلافة في النجوم  
أين الخلافة لا خلافة في الحديث ولا القدم

وهو في خلافته لم يكن يرفع العقيرة عن الجموع وينفي الهموم والأرزاء عن قومه ويشفي صدور  
كلومهم<sup>(٥٢٠)</sup>، بل كان لا يبال بالنعيم ويعبث بالهموم وهو مصدر الكلوم كلها، فكانت سياسته وتدبره  
في شؤون الوطن سياسة الباغي الوخيم<sup>(٥٢١)</sup>.

وهو مع ذلك كله قد عرف بالعلم والقوة والمقدرة والصلابة والشدة<sup>(٥٢٢)</sup>، فكانت له محاسن  
تقابل ما سبق؛ وبذلك لم يكن الحسين بذلك الشيخ النؤوم الذي يسقط في الملمات والعقبات،  
والمتغافل عن الحقوق<sup>(٥٢٣)</sup>:

ما كان والله الحسين      الشيخُ بالشيخِ النؤوم

وكما أنك لو نظرت إلى الملك الحسين، فإنك تنظر إلى الحكام الجبارة القروم العظام، الذي  
يجمع بين المتناقضات سواءً أكانت غرائز وطبعاً أم كانت فهماً وتجربة وطول ممارسة ما بين الجميل  
والقبيح في نفس الوقت<sup>(٥٢٤)</sup>:

من كالحسين إذا نظر      إلى الجبارة القروم  
الجامع المتناقضات      من الغرائز والفهوم

فهو إنسان غافل وبازل وعاتي؛ ويقظ وحريص ورحيم، ومن ناحية أخرى مدره طيّع حلیم،  
وعتي عصي شرس، وكذلك صحيح صادق الظن، فاسد الرأس السقيم، وطيب النفس الأنيس  
الجميل، وسيء الخلق السؤوم:

---

(٥٢٠) الديوان، ص 78

(٥٢١) الديوان، ص 79

(٥٢٢) انظر مارأيت وما سمعت، من ص 165

(٥٢٣) الديوان، ص 79

(٥٢٤) الديوان، ص 77

الغافلِ اليقظِ الحريدِ ص الباذلِ العاتيِ الرحيمِ  
المدزّه العتيّ العصيّ الطيّعِ الشرسِ الحليمِ  
الصّادقِ الظنّ الصّحّيحِ الفاسدِ الرأى السّقيمِ  
الطيبِ النفسِ الأنيسِ السّيءِ الخلقِ السّوومِ

وكذلك الشخصية التاريخية (مجدلين) التي ظهرت في أعمال الفرنسي (ألفونس كار)، وترجمها إلى العربية مصطفى لطفى المنفلوطي، تطرق الشاعر لهذه الشخصية وجعلها نموذجاً إنسانياً يعبر عن الحب والوئام بين المتحابين والعاشقين، فتأتي الظروف والعقبات فتمنع العاشقين من التلاقي في قفص الزواج.

والشاعر في هذا النموذج الإنساني يتعمق في تصوير الحالة النفسية التي يعيشها أبطال هذا النموذج، "ولا شك في أن تصوير البعد النفسي للشخصية هو أعقد ألوان التصوير الفني، وأعسرها منالاً، ويحتاج من الأديب طبعاً مواتياً، وخيالاً خصباً، وملكه خالقة، وبراعة في التصوير فائقة؛ حتى يستطيع إقامة التوازن بين الألوان، والتركيز على اللقطة الدالة، والاكتفاء باللمحة الموحية، وعلى قدر براعة الأديب ومقدرته التصويرية يكون نجاح الشخصية النموذج وإخفاقها، وتفاوت درجات هذا النجاح أو الإخفاق" (٥٢٥).

والنموذج الإنساني هذا يحمل في طياته الكثير من شؤون الحياة المختلفة من غربة وعزلة، وبأس وحب، وعهد وفراق، وفقر وطمع، وخدعة وزواج، وجنون وراث، وحال، وفرح وذكريات، وموت وانهايار. نموذج يؤسس الشقي البائس و تلهم السعيد الهانئ، وما بين الشقاء والهناء سوى شعرة، ولا بين البؤس والسعادة سوى خيط رفيع معلق على حيطان الزمان، فلا الهانئ هانئاً أبداً، ولا الشقي شقياً أبداً.

والشاعر جعل أحداث الشخصية تدور حول (مجدولين والشاعر) <sup>(٥٢٦)</sup>، الشاعر (استيفن) من أسرة متوسطة الحال، يحب المطالعة، ويأنس للطبيعة، ويجد لذته في العزلة والبعد عن الناس؛ يترك منزله يحب الشعر مجداً ومبتئساً وهازلاً ووجماً، لا يرى في الناس إلا العبر، بعد وفاة أمه وزواج أبيه، ذهب ليسكن وحيداً في غرفة متواضعة في منزل من إحدى القرى، حيث يحب ابنه صاحب المنزل واسمها (مجدلين)، فتبادلته الفتاة الحب، فتغير نظرة الشاعر إلى الوجود، ويمتلئ قلبه أملاً وبهجة. وتتكرر اللقاءات بين استيفن ومجدولين في أحضان الطبيعة الخلابة وعلى ضفاف الأنهر، أو تحت شجرة الزيزفون يجتمعون ويألفون ويتعانقون، فيحلم العاشقان بحياة مستقبلية سعيدة، ويرسمان في خيالهما صورة بيتهما العتيق الذي س يضمهما، وسيكون بيتاً متواضعاً يحمل أجمل معاني الحب؛ ولكنهما يصطدمان بالواقع المرير الذي رفض الأب فيه أن يزوجهما بحجة الطمع والجشع، فيزوجها إلى غني. ومن هنا تبدأ المعاناة ما بين هي في زينتها وعرسها، وهو في كربه ولوعته، وتمضي الأيام ولا تزال الذكرى تهيح المأماً بين المتحابين، فيستلب مال الزوج ويبقى خالياً من المال فتنفصل مجدولين منه، وتضيق بها الأرض ذرعاً لا حبيب ولا نسيب ولا نشب، فتسأم من الحياة وتلقي بنفسها إلى اليم، ويجد الشاعر جثتها ماثلة على اليم، فيعانق جثمانها ودمعه صيب ويجثو مكثباً مستغفراً، ثم يعتزل الناس ويأس من هذه الحياة وتذهب أحلامه سدى، فينفرد لوحده حتى يصعق بالموت. وتختتم صفحة هذا النموذج معبراً عنها الشاعر:

هكذا الحُبُّ وئامٌ فغرامٌ فهُيامٌ فسقامٌ فمُنُونٌ  
لا يرى الشاعرُ في الحبِّ ملامٍ تتصّبأه قُدودٌ وعيُونٌ  
ضمَّ شملَ المستهامين الحِمَامِ بعد أن أقصاهما الدهرُ الخُونُ

لم يكن برق المنايا خُلْباً

وحياةُ العمرِ كانت عَطْباً

دُفنا في تُربةٍ واحدةٍ والصدْرُ بالصدرِ التقى !

وأما النماذج الإنسانية العامة التي تطرق لها الشاعر هو نموذج الشهيد الفدائي الذي يفدي نفسه من أجل قومه ووطنه وإنسانيته، لانتصار الضعف على القوة، والحق على الباطل، والبساطة على الهيمنة والاستبداد، فالشاعر يرى بأن الفدائي الشهيد هو مثال للناس كافة في العزة والكرامة والإباء وطلب العيش السعيد بعيد عن الحياة البغيضة التي تجلب الهم والكدر والظلم، مثال يرمز للحياة بجمالها وطبيعتها التي لا ترضى سوى الجمال والكمال، مثال في الثبات والتحمل وقت الشدائد والملمات والأزمات<sup>(٥٢٧)</sup>:

الضحايا رمزُ الحياةِ ومعنى وثبات الأرواح في الأوجال

وموت الشهداء هو موت العزة والكرامة، والثبات والقوة، والذكرى الجميلة التي لاتمحي من الذاكرة، وهي تختلف من مات في الرفاهية والراحة تحت ظلال المقاصير<sup>(٥٢٨)</sup>:

ليس من ماتَ في ظلالِ المقدِّصِ كمن ماتَ في ظلالِ النُّضالِ

وهو موت إباء كفكفوا عبرة الصغير والكبير، والثاكل والمسكين، والأرملة والضرير، فرفعوا عن الحمى كل باغٍ متسلط، ظالم متعالي، مرديد لقاء الله وجنات نعيمه، محادين بأنفسهم عن درك الذل والسول، ماضين غير هَيَّابِينَ للموت، مقبلين إقبال الشجعان الأفذاذ، متجاوزين كل وعيد وتهويل<sup>(٥٢٩)</sup>:

ضحايا إباءٍ كفكفوا عبرة الحمى وقالوا: لقاء الله أو درك السؤلِ

مَضَوْا غَيْرَ هَيَّابِينَ للموتِ صولةً ولا ما لباغٍ من وعيدٍ وتهويلِ

والفدائي الشهيد عندما تأبى نفسه الذل والعار، ويهم بمفاداة نفسه رخيصة من أجل أهله وقومه، تصبح الحياة عنده مثقال ذرة لا يعبأ بجمالها ونعيمها المقيم ولا خيراتها وثمراتها، بل يضع

---

(٥٢٧) الديوان، ص187

(٥٢٨) الديوان، ص187

(٥٢٩) الديوان، ص260

نصب عينيه تلك الحرية والاستقلال الذي بهما يحفظ حق كرامته وعزة ذويه، مغيراً عن كل الحياة ومافيهما، مخترقاً جناح الظلام يمشي رابطاً الرأس يمشي كالأسد المقدام<sup>(٥٣٠)</sup>:

شَقَّ جُنْحَ الظلامِ يمشي إليهم رابطاً الجأشَ مِثْيَةَ الرِّبَالِ  
قائلاً للحياة: غَيْرِي غُرِّي .. قائلاً للنعيم: غَيْرِي وَالِ  
ليس ما يُشْتَرَى بغير الدَّمِ الحُرِّ بِحُرِّيَّةٍ أو استقلالٍ . .

وهؤلاء هم من كانوا بأفعالهم الجسام والبذل المجزي الليث الصيال الذي كان ملجأ كل صارخ متألم، والذين أخذوا في عواتقهم أجمل الصفات وأرفعها منزلة، وأسمى ما الناس حملوه في الحياة، فقد حملوا التُّبْلَ والمهابة والحزم والصدق في العمل والقول، وحملوا البأس والندى<sup>(٥٣١)</sup>:

شَهِدَ اللهُ أَنَّهُمْ حَمَلُوا مَوْئِلَ مُسْتَصْرِخٍ وَلَيْثَ صِيَالٍ  
حَمَلُوا التُّبْلَ والمهابةَ والحزمَ وَصَدَقَ الأَعْمَالَ والأَقْوَالَ  
حَمَلُوا البأسَ والنَّدَى حَمَلُوا أَفْضَلَ ما فِي ابنِ حُرَّةٍ من خِلالِ

وقد يتعمق الشاعر أكثر في نفسية هذا الفدائي الشهيد، عندما يفدي بروحه ونفسه من أجل عشيرته وأهله، فنجدته يقف على هذا الموقف عن كذب، ويقترّب أكثر من نفسية هذا الفدائي ويتعمق في وجدانه وفكره عندما يكون هذا الفدائي بين مفترق طرق إما النجاة بالنفس أو الشهادة والمجد ونجاة الناس من خلفه.

والشاعر في هذا التصوير للبعد النفسي، لا نجدته يتعمق أكثر في نفس الشخصية النموذج باسترجاع الماضي وذكرياته، وذكر الأماني والأحلام المستقبلية - كنموذجه السابق - بل نجدته يصف تلك اللحظة الآنية فقط دون الاستطراد اللازم في التعمق في نفس الشخصية.

ففي قصيدة (الديدبان)<sup>(٥٣٢)</sup> نرى الشاعر يصور لنا حالة هذا الفدائي الذي يحرس قومه في أثناء مهاجمة العدو، عندما ينادي فيهم بأن العدو القادم يمموا النهر، وعندما يأتوا النهر، تأتي البطولة

---

(٥٣٠) الديوان، ص188

(٥٣١) الديوان، ص188

فيفكر الحارس في أمر قومه ويتدبر، فيلقي بنفسه إلى النهر العميق، فيختفي عنهم ويختفي رأسه إلا يديه:

وقف الحارس الأمين وقد فكّر في أمر قومه وتدبّر  
ثم ألقى بنفسه يوهّم القوم بأن السبوح في النهـر يُعْمَر  
فاختفى عنهم وقد خفض الرأس وظلّت آثار كفيه تُبصر

مخاطباً النفس حينها في ظلمة الماء الحالكة وقلبه يتسعر مذعوراً ما بين التفكير بالبقاء والنجاة لذاته، والبقاء والنجاة لمعشره، ومع هذا الشد والجذب يجب الموت والشهادة في سبيل قومه وعشيرته التي فيها جثمانه سوف تذكر:

خاطب النفس وهو في لجج الماء وفي قلبه اللظى تتسعّر  
إن أردت البقاء خاضوا إلينا وابتغوا معشري بكلّ مُضَمَّر  
أو أردت الفناء هاهم الماء فكفوا أو تابعوا السير في البر  
حبذا الموت في سبيل قبيلتي! إنما المرء من يموت فيذكر!

وبذلك تطوى صفحة هذا الفدائي الشهيد جثة هامدة فوق صفحة الماء، نال بها تخليد ذكراه عبر العصور عندما أنقذت آله وقومه، مؤكداً الشاعر على عظم هذا الفعل النبيل:

أنقذت آله وربّ شهيدٍ خلّدت ذكره العصورُ معمّر  
هكذا فليكن أخو البأس يفدي بالدم الحرّ قومه حين يهدر

## الفصل الثالث

### البناء الفني لشعر الاتجاه الإنساني عند الزركلي

- ١ - المبحث الأول: العنوان والهيكلة العام
- ٢ - المبحث الثاني: الصورة الفنية
- ٣ - المبحث الثالث: المعجم الشعري
- ٤ - المبحث الرابع: الموسيقى



### الفصل الثالث: البناء الفني لشعر الاتجاه الإنساني عند الزركلي:

يعد شعر الاتجاه الإنساني عند خير الدين الزركلي مادة فياضة تجمع بين القديم والجديد، انطلق من القديم وتنقل حتى وصل به إلى الجديد، فقام بالسير على منهج القدماء، واقتفى أثر المجددين في العديد من الفنون المستحدثة والتي طمح فيها إلى التحرر من قيود الوزن والقافية أحياناً. وهو بذلك يقطف من كل حديقة زهرة تعجبه ملامحها ونصاعة جمالها في السير على منهج حر في نظم القصائد، يمنح نفسه فيها الحرية الإنسانية المطلقة في قول الشعر دون قيد أو رادع يجد من انطلاقاته في جوب التجربة الشعرية<sup>(٥٣٣)</sup>:

عَرَفَ الشُّعْرَ بَعْضُهُمْ بِالْقَوَائِي وَفَرِيقٌ بوزنِهِ عَرَفُوهُ  
حَرَفُوا نَعْتَهُ وَلَوْ عَرَفُوهُ أَوْ ذَرَوْا كُنْهَهُ لَمَا حَرَفُوهُ  
إِنَّمَا الشُّعْرُ سَلْسِبِيْلٌ زُلَالٍ كَيْفَ يَدْرِي الزُّلَالُ مَنْ مَرَفُوهُ ؟

كما أغنى شعره بالمعاني الإنسانية الجديدة، واللغة العصرية، وبالصور المستوحاة من الطبيعة والواقع غير المتوقعة على الماضي التليد، محاولاً بذلك مجازاة الواقع الحاضر وتقلده كل عصري جديد، كما أغناها بما كان "عند المتقدمين من حيث الجزالة والمتانة والأسلوب"<sup>(٥٣٤)</sup>، وهكذا نرى أن شعره تميز كما "تميز أدب الرابطين بالإشراق والرقّة، والعمق والصدق والأصالة والإنسانية الرحيمة الحادبة، وبالثورة المباركة التي ملأت عيون الأدب بالنور، ونفضت عنه أكفان الجمود والعدم التي كان يرسف فيها تقليداً للقديم البائد وجرياً وراء التزاويق اللفظية"<sup>(٥٣٥)</sup>.

فالشاعر لم يقف معارضاً للجديد برمته، ولم يتعصب كذلك للقديم، بل وجد في القديم جلالاً لا يهمل، ورأى في الجديد حرية وانطلاقاً لا يغفلان، فوטר لنفسه ما يتناسب مع تجربته الشعرية،

---

(٥٣٣) الديوان، ص158

(٥٣٤) بتصريف من كتاب خير الدين الزركلي - المؤرخ الأديب الشاعر، ص109

(٥٣٥) د. عيسى الناعوري، مهجريات، ص8، الدار العربية للكتاب، عمان، طبعة منقحة ومضافة.

"فالشاعر الحق هو الذي يستطيع أن ينسج من كل المؤثرات بساطاً خاصاً به، بتحطيمه كل ما علق في فكره من صور وأشكال، فيجعلها تتلاشى وتضمحل؛ ليحل محلها صورته المصنوعة بيده بفكره ومشاعره وتأملاته الخالقة المبدعة"<sup>(٥٣٦)</sup>، لذا نرى الشاعر يصرح بذلك المنهج المخضرم بياناً بأن شعره يحوي القديم والجديد<sup>(٥٣٧)</sup>:

يقولُ الناسُ في شعري كثيراً وأهلُ "التَّقدِ" أنكأ للكُلوم  
خُذوا منه "الجديد" وإن رأيتم "قديمًا" فالرَّعايَةُ للقديم!

وفي هذا الفصل بإذن الله سوف نتناول شعر الاتجاه الإنساني انطلاقاً من الدراسة الفنية محاولين تقصي الأبعاد التي تساعدنا على فهم منهج الشاعر وطريقته في تناول الشعر، وذلك من خلال العنوان والهيكال العام، والصورة الفنية، والمعجم الشعري، والموسيقى.

---

(٥٣٦) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 492

(٥٣٧) الديوان، ص 238

## المبحث الأول: العنوان والهيكل العام

### 1 - العنوان :

العنوان له أهمية بالغة في فهم القصيدة العربية، فهو ليس مجرد تسمية، أو إملاء فراغ بل كالاسم للشيء ونقطة ارتكاز تقف القصيدة على مضمونها، " فأهمية العنوان في النصوص الأدبية تبرز بكونه سمة من سمات المنتج، وعلامة تطبعه وتميزه، بالإضافة إلى كون العنوان مدخلاً للنص وبداية له، فهو ينبئ عن النص ويشير إليه، وقد يكون ملخصاً له وتكشيفاً لمضمونه" (٥٣٨). لذا فهو المفتاح والعتبة والبوابة الأولى للدخول في عالم القصيدة، ووجه مصغر لمضمونها، وهي الإشارة الأساسية التي قد تبعث الشعور إلى المتلقي بتكوين نظرة استشرافية حول قراءة القصيدة، فتدفعه قدماً إلى قراءتها أو الانصراف عنها وعدم الانسياق خلفها. وهو النقطة البارزة لما يحتويه من مضامين أساسية تضفي للمتبع خفايا وأسرار واتجاهات الشاعر تجاه تجربته الشعرية، وربما دلالات عن روح الشاعر تجاه قصيدته، فيضفي عن مدى كشف الصراع الذي يحمله بداخله، وحقيقة ما يكن من شتى أنواع العواطف الإنسانية المختلفة.

ويعد عنوان القصيدة العربية الحديثة من أهم عناصر البناء فيها، ولبنة أولى من لبناتها، ومن غير المستساغ خروج القصيدة بلا عنوان (٥٣٩)، كما أن الحرص على وضع العنوان يدل دلالة أكيدة على أن الشاعر يعي أن تجربته تدور حول قضية ما (٥٤٠)، لما يحويه العنوان من عنصر التشويق والظهور والدلالة والكشف والنفثة الإبداعية الأولى من تجربة الشاعر في قصيدته.

ويؤكد بعض الباحثين على أهمية العنوان في القصيدة، ودوره الفاعل في التنوير والإضاءة للنص " فالعنوان في القصيدة - أية قصيدة- هو آخر ما يكتب منها، والقصيدة لا تولد من عنوانها، وإنما

---

(٥٣٨) أحمد اللهيبي، قراءة في عنوان الديوان عند عبدالله الزيد، مقالة نشرت في صحيفة الاقتصادية، الثلاثاء

1425/10/8هـ، العدد 4068، ص23

(٥٣٩) انظر د. محمد عويس، العنوان في الأدب العربي، ص282، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1408هـ.

(٥٤٠) د. طه وادي، جماليات القصيدة المعاصرة، ص272، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1989م.

العنوان هو الذي يتولد منها، وما من شاعر حق إلا ويكون العنوان عنده آخر الحركات" (٥٤١). وهو قاعدة أساسية من قواعد الإبداع الشعري، حتى نظر له بأنه جزء عضوي من أجزاء القصيدة (٥٤٢).

وهذا الاهتمام بالعنوان في القصيدة الحديثة يعد عنصراً من عناصر التجديد، ففي حين أن مهد الطريق للشعراء في العصر الحديث بنور التراث العربي ونور غيره من الآداب الأخرى.. كان لهذه الإضاءات التي دخلت الأدب العربي تأثيرات كبيرة في مسارات الشعر العربي، وكان من أبرزها ظهور العنوان في القصيدة العربية (٥٤٣).

وبذلك يظهر لنا بأن القصيدة التراثية لم تكن تحتفي بالاهتمام من قبل أربابها بالمعنونات للقصائد، بل كان المتلقي هو من يحدد العنوان المناسب للقصيدة إن كانت على المستوى المناسب الذي يمنحها التميز عن غيرها، لذا رأينا القصيدة يعنون لها بحسب ما يراه الآخر من زاويته التي يراها أنها الأنسب بحسب الغرض (٥٤٤) والقافية (٥٤٥) والمناسبة (٥٤٦) والحادثة (٥٤٧) أو الظاهرة الماثلة في عصر من العصور (٥٤٨). بخلاف الشاعر المعاصر الذي هو من يحيك عنوان قصيدته، ويقوم هو بوضع العنوان المناسب الذي يتناسب مع تجربته الشعرية، فتأتي القصيدة معبرة عن أحداثها وترجمة صادقة لحرارة انفعالات الشاعر وتجربته الذاتية.

---

(٥٤١) د. عبدالله الغدامي، الخطيئة والتكفير (مدخل من البنيوية إلى التشريحية)، ص 261، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط 1، 1405هـ - 1985م.

(٥٤٢) انظر د. عبدالله بن سليم الرشيد، العنوان في الشعر السعودي بوصفه مظهراً إبداعياً، ص 86، أبحاث الملتقى الأدبي، نادي القصيم الأدبي، 1422هـ.

(٥٤٣) بتصرف من د. عبدالرحمن السماعيل، العنوان في القصيدة العربية، ص 48، مجلة جامعة الملك سعود، م 8، الآداب (1)، 1416هـ - 1996م.

(٥٤٤) مثلما يقول الشاعر مادحاً أو متغزلاً.. إلخ.

(٥٤٥) مثل: سينية البحري، لامية الشنفرى، نونية ابن زيدون.

(٥٤٦) مثل: فتح عمورية لأبي تمام.

(٥٤٧) مثل: فراقية ابن زريق.

(٥٤٨) مثل: الموشحات في العصر الأندلسي.

وأول ما يمكن أن نتطرق إليه هو عنوان الديوان عند الزركلي، فالعنوان أتى على منوال شعراء المدرسة الكلاسيكية الإحيائية كالبارودي وشوقي وحافظ، خالياً من أية ألوان للإبداع الفني والعواطف الإنسانية، متمسماً بالسطحية ومتخذاً وظيفة الدلالة والظهور فقط، دون أن يكون دالاً على مضمون مجموعته الشعرية ومتماشياً مع ما يكون في الخاطر من همسات وخوارج إنسانية تدلنا على مسار الاتجاه الإنساني في شعره.

وإذا نظرنا إلى عناوين القصائد فإننا نلاحظ لأول وهلة أنها جاءت على بساط القص من القصيدة؛ وذلك باختيار كلمة أو عبارة من عباراتها، وفي الحقيقة أنها تشكل العدد الأوفر حظاً في سفر الديوان، وهذا العمل يكشف عن مدى التقليدية، وعدم بذل الجهد المطلوب من أجل الانتقاء في اختيار العنوان المبدع.

ومن هذه العناوين التي لا تتصف بالإبداع وتختفي فيها مظاهر البذل والانتقاء المميز، ما جاء اقتطاعاً من أوائل أبيات القصيدة وأواسطها ونهايتها، فمن أوائلها ما نراه في قصيدة (الكذب) <sup>(٥٤٩)</sup> الذي يشير الشاعر فيها إلى قضية الكذب، وقصيدة (ظلمته) <sup>(٥٥٠)</sup> وفيها إشارة إلى الظلم الذي لحق ابن الوطن من المستعمر الظالم، وأواسطها في قصيدة (ياراقدين) <sup>(٥٥١)</sup> وفيها نوع من الحث والبحث عن الحرية الوطنية، وقصيدة (فيصل بن عبد العزيز) <sup>(٥٥٢)</sup> وفيها يقوم بمدح الملك فيصل، ونهايتها (أشبال قحطان) <sup>(٥٥٣)</sup> وفيها يفتخر بأبناء العروبة، وقصيدة (وقاك الله فنتتهم) <sup>(٥٥٤)</sup> وفيها إشارة إلى الأشخاص الثلاثة الذين حاولوا أن يقتلوا الملك عبد العزيز في ساحة الحرم المكي الشريف.

وتلك العناوين السطحية المباشرة، نرى أنها لا تعدو كونها إشارات توضيحية لمضمون القصيدة، تفتقد حساسية الإثارة والتأثير لدى المتلقي، وقد يفسر ذلك بتأثر الشاعر الكبير بالشعراء الذين

---

(٥٤٩) الديوان، ص155

(٥٥٠) الديوان، ص105

(٥٥١) الديوان، ص24

(٥٥٢) الديوان، ص344

(٥٥٣) الديوان، ص26

(٥٥٤) الديوان، ص28

سبقوه في عدم الاهتمام بعنونة قصائدهم، مما دفع الشاعر إلى تقديم عنوان سطحي بهذه الطريقة، إضافة إلى ضعف محصوله الثقافي؛ فبعض هذه القصائد قيلت وهو لا يزال في سن مبكرة.

وإذا تأمل القارئ قليلاً في بعض تلك العناوين يلاحظ أن الزركلي في عنونته للقصائد جعل مظاهر الاتجاه الإنساني بارزة بالمسمى، مما يدلنا على عمق وصدق تجربة الشاعر، وتعاضدها مع ما يكون في المضمون، وهذا يدلنا على أن طريقة الشاعر في القص، تعني أن لديه خبراً مهماً وأنه ذا مكانه عالية في ذاته يريد أن ينقله للآخر.

ومن تلك العناوين قصيدة (وطني)<sup>(٥٥٥)</sup> و(أوطاننا)<sup>(٥٥٦)</sup> التي تدلنا على مظهر الوطنية، وقصيدة (غريب)<sup>(٥٥٧)</sup> التي تدلنا على مظهر الغربة، وقصيدة (هي الحرب)<sup>(٥٥٨)</sup> تدلنا على مظهر الحرب الكونية وتداعياتها، وفي قصيدة (حنين)<sup>(٥٥٩)</sup> التي تدلنا على مظهر الحنين.

وكما يتبع تلك العناوين السطحية التي تدل على مظاهر الاتجاه الإنساني صراحة، عناوين تدل بشكل أو بآخر عن مضمون الاتجاه الإنساني، كما في قصيدة (إنسان، أبناء واحد، الناس كالماء، علي، خيركم، الحياة، إلى إنسان، أخوان، تائه ..)<sup>(٥٦٠)</sup>

كما تتكون تركيبات تلك العناوين من كلمة واحدة أو كلمتين مبينة على جملة أو شبه جملة، مثل: قصيدة (نطق الرصاص، مابال ساري؟، فيم الوني؟، عجي، حسبكم اليسر!)، نقاء الضمير، أبا شاعر! (...)، إذ يلحظ من تركيباتها كثرة التساؤل، وإثارة الاستغراب والدهشة، مما يجعلها تضيف نوعاً من الغرابة تجعل القارئ يتتبع القصيدة لمعرفة دلالة العنوان.

---

(٥٥٥) الديوان، ص32

(٥٥٦) الديوان، ص289

(٥٥٧) الديوان، ص86

(٥٥٨) الديوان، ص177

(٥٥٩) الديوان، ص261

(٥٦٠) الديوان، ص39-104-107-176-196-258-320

وما يلحق بركب تلك العناوين ما يأتي على ذكر مناسبة القصيدة إشارة إلى فحوى القصيدة، وفي اعتقادنا أنها أكثر سطحية في الجانب الإبداعي؛ لأن السابقة تقتص من القصيدة مع دلالتها على أن في نفس الشاعر خبراً يريد أن ينقله للآخر، بالإضافة على كونها علامة توضيحية ودلالية، أما هذه تهتم بإبراز المناسبة والحادثة التي قيلت فيها.

ومن هذه العناوين قصيدة (الشيخ طاهر الجزائري) <sup>(٥٦١)</sup>، الذي يرثي الشاعر فيها جثمانه، وقصيدة (صقر قريش) <sup>(٥٦٢)</sup> الذي يتحدث الشاعر فيها عن بطولات وطموحات القائد العربي عبد الرحمن الداخل، وقصيدة (العلم البريطاني) <sup>(٥٦٣)</sup> الذي يتحدث الشاعر عن المظالم التي ارتكبتها بريطانيا بحق الشعب الفلسطيني، وقصيدة (في رثاء ملك المغرب محمد الخامس) <sup>(٥٦٤)</sup> الذي يرثي فيها الملك محمد الخامس... إلخ.

ومما يلحق بتلك العناوين أيضاً ما يأتي بذكر المكان الذي قيلت فيه القصيدة، وفيما نرى أنها لا تعدو كونها وثيقة توضيحية وسببية ومعلومة تاريخية، ولربما ارتباط الشاعر بالمكان وانتمائه المخلص للأرض التي يمشي عليها سبب في ذلك، ومن تلك العناوين (في وادي فاطمة، في الطائف، في طنجة، في عمان، بين اسطنبول وحلب ..) <sup>(٥٦٥)</sup>.

وإذا تأمل القارئ في بعض قصائد الزركلي كذلك وجد أنه يظهر فيه العنوان التأملي، الذي أظهر لنا ما يعانيه الشاعر من هموم إنسانية وعواطف ذاتية مضطربة أضفت عليه بنوعاً من الحالة النفسية والغربة الذاتية، وتلك العناوين وإن كانت خالية من الإبداع في الشكل إلا أنها في اعتقادنا كانت رائعة في المضمون؛ لأنها أتت صادقة ومنبثقة من القلب مباشرة.

---

٥٦١) الديوان، ص 23

٥٦٢) الديوان، ص 81

٥٦٣) الديوان، ص 230

٥٦٤) الديوان، ص 340

٥٦٥) الديوان، ص 148-130-229-320-342

ومن تلك العناوين عنوان قصيدة (هواجس) <sup>(٥٦٦)</sup> التي حملت معها الكثير من التساؤلات  
وعلامات التعجب مما يراه الشاعر، وقصيدة (وساوس) <sup>(٥٦٧)</sup> التي أخذت في طياتها أحاديث النفس  
المكبوتة، وقصيدة (آمال وآلام) <sup>(٥٦٨)</sup> التي يعيش فيها الشاعر بين فكي الأمل والألم.

والم تأمل كذلك يرى أن الشاعر في عناوين قصائده كانت تحمل صدى لنفسه الحزينة؛ ولكنها لا  
تحمل طابع التأمل، ومن تلك العناوين (صرخة محزون، صيحة، شكوى، نجوى ..) <sup>(٥٦٩)</sup>. وهذه  
العناوين توحى لنا بأن الشاعر يحمل في نفسه شيئاً مضطرباً وغير مستساغ يحاول من خلالها إخراج  
ما في ذاته، كما أننا لو نظرنا وتبعنا ما خلف تلك العناوين لوجدنا أن الشاعر يدور وينساق خلف  
عدة أمور نراها مجتمعة في مسار الاتجاه الإنساني.

كما جاءت بعض العناوين مبهمة ورامزة، والتي تتخذ صفة العمومية ولا تشير إلى فحوى  
القصيدة، كعنوان قصيدة (كلمات) <sup>(٥٧٠)</sup> و(كلمة) <sup>(٥٧١)</sup>، والتي تتخذ صفة العمومية ولا يمكن أن  
يدور في الذهن تحديد فحوى ما وراءها.

كما يوجد بعض القصائد التي لا تحتوي على عناوين، مثل القصيدة التي قالها بعد مغادرته من  
المستشفى في بيروت في قناص <sup>(٥٧٢)</sup>، والقصيدة التي قالها قبل وفاته بثلاثة أيام ووجدت بجانب سريره،  
والذي يقول في مطلعها <sup>(٥٧٣)</sup>:

متى تبرج الدنيا ويشدو هزاز ربيعها بعد النحيب

---

(٥٦٦) الديوان، ص 249

(٥٦٧) الديوان، ص 267

(٥٦٨) الديوان، ص 72

(٥٦٩) الديوان، ص 21-191-148-114

(٥٧٠) الديوان، ص 167

(٥٧١) الديوان، ص 281

(٥٧٢) الديوان، ص 367

(٥٧٣) الديوان، ص 367



وأخيراً نجد الشاعر يذهب في عنونة بعض قصائده إلى استخدام ما يسمى بتراسل الحواس، كعنوان قصيدته (سكر الدهر)<sup>(٥٧٤)</sup>، والتي يظهر من العنوان أن الشاعر استخدم اللغة المجازية التي تعتمد على التشخيص والتجسيد في صورة تركيبية مبتكرة تحمل معاني عديدة تحدث نوعاً من المفاجأة والدهشة.

والملاحظ فيما سبق أن الشاعر لم يكن يحفل ويهتم كثيراً بعنونة قصائده، وإنما كانت تنبثق العنونة مباشرة ودون أي عمق إبداعي مقارنة ببعض الشعراء الذين يتفنون في عرض عناوين قصائدهم الشعرية فتأتي رامزة وموهمة ومسكوبة بعناية واهتمام.. ولربما أن لغة الاتجاه الإنساني هي من حتمت ذلك، فهي لا تحتاج إلى نوع من الغموض بل تناسبها اللغة المباشرة المفهومة.

## 2- المطلع :

عند النظر إلى الهيكل البنائي العام في القصيدة العربية تقع العين أول ما تقع على المطلع، الذي عني به الشعراء وأولوه جل اهتمامهم، لما له من وقع في نفس المتلقي، وما يحدثه من تأثير عميق في لفت الانتباه، ومن ترك أثر قادر على دفع المتلقي للإصغاء والتنبه إذا كان المطلع مؤثراً مشوقاً، بعكس ما يدفع السامع إلى الانصراف عن القصيدة إذا كان رديئاً<sup>(٥٧٥)</sup>.

ونتيجة لأهمية المطلع اهتم النقاد بدراسة تلك المطالع، وأولوها بالاهتمام والدراسة والمتابعة، ورأوا بأنه على الشاعر: " أن يجود ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة"<sup>(٥٧٦)</sup>، وأنه ينبغي أن ينال عناية واهتماماً خاصاً، كما نظروا إليه بأنه مقياس جمال القصيدة وصدق العاطفة ووحدتها وترابط أفكارها<sup>(٥٧٧)</sup>، وحكموا عليها من خلال تبين المستحسن منها

---

(٥٧٤) الديوان، ص 237

(٥٧٥) انظر د. أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص 297، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م.

(٥٧٦) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ج 1، ص 218، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا، ط 5، 1401هـ-1981م.

(٥٧٧) انظر مقال بعنوان مطلع القصيدة الشعرية، عتاب الضويحي، صحيفة الفرات، دير الزور، سوريا، 2009/4/5م.

والمرفوض، واستعراض الأسباب التي تجعل في المطلع شرطاً مهماً لقبول الإبداع، وبينوا نماذج كثيرة للمطالع الجيدة، والمطالع الرديئة<sup>(٥٧٨)</sup>.

وتبعاً لتلك الأهمية يرى النقاد أن المطلع له اتجاهان مهمان، الأول هو ما يحدثه المطلع من تأثير ملموس في نفس السامع؛ إذ "يفسر البلاغيون ضرورة العناية بجودة الاستهلال، بأن الانطباع الأولي للنفس يكون أقوى وأكثر فاعلية من غيره، ولأنه من سيسحب آثاره على ما يليه، فإن كان حسناً انجذبت النفس إلى النص الذي ينقل التجربة، وتفاعلت معه"<sup>(٥٧٩)</sup>. والآخر يؤكد على دلالة المطلع على نفسية المبدع إذ اتجهوا إلى أن المطلع "هو تعبير عن وجدان الشاعر ونفسيته وموقفه إزاء الكون والحياة"<sup>(٥٨٠)</sup>.

والمتأمل في مطالع القصائد عند الزركلي في شعر الاتجاه الإنساني يرى بأن الشاعر قد أولى العناية الكاملة بمطالع قصائده، وحرص فيها على تكثيف الفكرة، وكأنه يجمع ما كان في نفسه من مقصد ويلقي به في مطلع القصيدة، لكي تؤدي الغرض المراد والمرجو، والشاعر بذلك يتبين لنا عنايته بخلاصة الموقف الشعوري، الذي يعتبر من أبرز العوامل في بناء القصيدة ونهوضها، وذلك البيت هو الذي يسمى بيت القصيد<sup>(٥٨١)</sup>، وقد ظهر ذلك البيت في عدد من قصائد الزركلي.

ومن أهم تلك النماذج عند الشاعر ما نراه في تلك القصائد التي تستهل بأسلوب إنشائي كالاستفهام، والذي يبدو وكأنه من حرك التجربة في نفس الشاعر، وما القصيدة التي ينظمها سوى محاولة للإجابة عن هذا التساؤل المنبعث من ذات الشاعر.

---

(٥٧٨) نفس الكتاب السابق، ص 297

(٥٧٩) د. مجيد عبد الحميد ناجي، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص 91، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1404هـ-1984م.

(٥٨٠) د. عبد الحليم حفني، مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية، ص 49، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1987م.

(٥٨١) انظر د. إبراهيم حاوي، حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، ص 210، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1404هـ-1984م.

واستهلال الاستفهام يدلنا على أن الشاعر يعيش في أكف عبء إنساني داخلي يجول بخاطره، وحيرة شديدة تسطير عليه، وكأن هذا العبء وهذه الحيرة هي التي حركت شعوره وجعلته يقوم بنظم قصيدته من أجل البحث عن مرفأ يحمل عنه هذه السلطة التي زعزعت ذاته المستقرة.

ومن تلك القصائد التي بدأها الزركلي بالاستفهام قصيدة (جزيرة العرب) <sup>(٥٨٢)</sup>، إذا يتساءل الشاعر في البداية عن الوقائع التي نشبت بين أهل نجد والحجاز واليمن في جوار الطائف وفي عسير وفي شرق اليمن، وهو بذلك بحاجة إلى إجابة شافية تبعد عنه هذا التساؤل الداعي إلى نشوب هذه الوقائع، فكانت القصيدة إجابة على هذا التساؤل حيث يقول في المطلع:

هل في الجزيرة مُسَعَفٌ بجوابٍ صَفِيٍّ ثانيةٌ على الأبوابِ  
لمن الأعنة والأسنَّةُ شُرْعٌ والبيضُ تلمعُ في رُئي وهضابِ

والنقطة البارزة التي جعلت هذا المطلع يحوي نوعاً من الجمال، هو إثارة حفيظة القارئ عن أسباب هذه الفوضى والوقائع بين الناس ومن الداعي لها لتكون في جانبه، وتشويقه للبحث عن الجواب الكافي؛ لأن الشاعر في النهاية استطاع أن يصل إلى إجابة سديدة عبرت عنها نفسه، كما أن جماله يظهر في ملاءمة المطلع لمضمون القصيدة <sup>(٥٨٣)</sup>؛ فالتأمل في ميدان القصيدة يجد أن الإجابة عن هذا التساؤل لم يخرج عن مضمار القصيدة، وبهذا يكون الشاعر كثف فكرته في المطلع، وأدرك القارئ ما يحمله الشاعر من اتجاه إنساني تجاه الآخرين ومن معاناة كبيرة تجاه هذه الوقائع التي لا تجلب سوى الذعر والفرقة والسباب، والسبب الذي جعل هذه الوقائع تنشب ويتصاعد دخانها، وهو البحث عن الملك والمنصب بين علم الرياض ومكة، لذا نرى الشاعر يختتمها بتعجب بقوله:

ما كنتُ أعهدُ أنَّ ملكاً يُبتنى بعقيرةٍ مرفوعةٍ وسبابٍ !

ويكثر أسلوب الاستفهام عند الشاعر في مطالع قصائده مما يدلنا على أن الإنسان هو المثير لإبداعه وهو مثار حيرته وإثارته بأعماله وأقواله، وأنه ذو مكانه واهتمام واتجاه وموقع رفيع المستوى

(٥٨٢) الديوان، ص 246

(٥٨٣) أسس النقد الأدبي عند العرب، ص 297

في كيان الشاعر، ومن أمثلة الاستفهام عند الزركلي قوله في مطلع قصيدته التي عنوانها (عشر مضين)<sup>(٥٨٤)</sup>:

طال الحنينُ فهل في الشام من حاني؟ أهلي بها وأحبائي وخلائي

وقوله في قصيدته التي عنوانها (حسبكم اليسر)<sup>(٥٨٥)</sup>:

أيُّها الموسرون! حسبكم اليسر! فهلاً مننتم باليسير؟

ومن الأساليب الإنشائية التي يفتح بها الزركلي قصائده أسلوب النداء، ويكثر هذا الأسلوب في بداية قصائده؛ مما يدل على أنه يشكل أمر بارزاً وهاجساً بعثه لاستخدام هذا الأسلوب بكثرة، وأنه صاحب قضية يريد أن يصل إليها من خلال نداءاته المتكررة في أكثر من قصيدة.

وإذا تأملنا في المنادى الذي يفتح به الزركلي قصيدته نلاحظ أنه ينادي الإنسان، وذلك يدل على نزوع الشاعر الإنساني ومشاركته الدائمة إياه، ولعل الأمثلة التي تدل على ذلك بكثرة، فجدده في مطلع قصيدته (رسالة)<sup>(٥٨٦)</sup> يقول:

يا نازلين بلبانٍ زويدكم ماذا حملتم إلى أبناء لبنان

في حين نرى الشاعر يحادث غير العاقل الإنسان وكأنه سئم من الإنسان، وأحس بالغرابة من تصرفاته وأفعاله، فينادي على سبيل التشخيص (الزمن، والليل، والنجوم، والعواصف، والقلب، والعين)، ففي مطلع قصيدته (بين مد وجزر)<sup>(٥٨٧)</sup> يقول:

يا زمنُ ازددْ عُتُوًّا ! ويا ليالي اكْفَهري !  
ويا بُحومُ تَوارِي ويا عَواصفُ مُري

---

(٥٨٤) الديوان، ص268

(٥٨٥) الديوان، ص223

(٥٨٦) الديوان، ص329

(٥٨٧) الديوان، ص66

ويقول في مطلع قصيدته (الشهداء)<sup>(٥٨٨)</sup>:

يا عَيْنُ أسهرِكِ الجُنَّاهُ ونأمُوا لا أنتِ هاجعةٌ ولا الآلامُ

ويقول في مطلع قصيدته (أفلاذ سورية)<sup>(٥٨٩)</sup>:

يا قلبُ أوجعكِ الحديثُ مُعادا فاحقق كما شاءَ الأسي وأرادا

ومن المؤكد أن ما تحمله هذه المطالع من دلالات تدل بشكل أو بآخر على اتجاه الشاعر نحو الإنسان، وأنها تحمل ما يشير إلى مضمون القصيدة، " فالغرض العام من التجربة الفنية، ودلالته عليه، فيكون بمثابة إيقاظ للسامع، ولفت لانتباهه، وهيئته نفسياً لتلقي التجربة كاملة والانفعال معها"<sup>(٥٩٠)</sup>، وهو ما كان بارزاً عند الزركلي فإننا بالنظر إلى جميع المطالع التي سبقت، لييدي لنا هذا الوضع على أعلى وضوح، فمجرد قراءة المطلع سندرك مباشرة ما هو الغرض الدال على مضمون الاتجاه الإنساني في القصيدة المطروحة.

ومما يدل على عناية الزركلي بمطالع قصائده حرصه الشديد على أن تكون عبارات المطلع وألفاظه ملائمة للجو النفسي للغرض المطلوب، فعندما يكون غرض القصيدة هو الظلم من شخص ما فإن الشاعر يجابه ذلك بجرس ألفاظ فيها نوع من القوة والمجاهمة والتصدي، كمطلع قصيدته (مابال ساراي؟)<sup>(٥٩١)</sup>:

اجهرُ برأيك لا يأخذك ترويعُ لا ينفع الصوتُ إلا وهو مسموعُ

فالمتأمل في المطلع السابق يجد أن الشاعر استخدم الألفاظ التي فيها جرس القوة والثبات وعدم اللين والتراجع (اجهر، لا يأخذك ترويع ..)، وذلك بمناسبة القصيدة التي نظمها الشاعر في مندوب المفوضية الفرنسية (ساراي) وقائد القوات الفرنسية في سوريا أيام الثورة وما أثاره من بطش وظلم.

---

(٥٨٨) الديوان، ص 239

(٥٨٩) الديوان، ص 308

(٥٩٠) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص 98

(٥٩١) الديوان، ص 127

وأما عندما يكون غرض القصيدة فيه دعوة إلى التعاطف والرحمة، فإن جرس الألفاظ يكون غير ذلك، فلتجده يحتوي على الألفاظ التي تلامس شغاف القلب وتحمل في متنها الرحمة والرأفة والعطف بما يتناسب مع الحالة النفسية الملائمة لمضمون القصيدة، ففي مطلع قصيدته (اللاجئ)<sup>(٥٩٢)</sup>:

دُموعٌ مَنْ ، تلك التي تُذرفُ؟ وقلبٌ من ، هذا الذي يُوجفُ؟  
إن كان إنساناً فهلاً صغى إليه مَنْ يرحمُ أو يَـرأفُ

والمأمل في هذا المطلع يجد أن الشاعر انتقى الألفاظ التي تناسب مضمون القصيدة (دموع، قلب، إنسان، رحمة، رأفة ..) والتي تدعو إلى التعاطف والرحمة بهذا اللاجئ، ولم يختار ألفاظ فيها صلابة وقوة ومتانة وغلظة.

بالإضافة إلى ذلك نلاحظ حرص الشاعر على التصريح في بعض مطالع قصائده، وهو يعني أن تكون العروض في الشطر الأول موافقة في القافية للضرب في الشطر الثاني، والعناية به تدل دلالة مؤكدة على إخراج الشاعر القصيدة بالشكل المناسب التي تتطلبه القصيدة من القوة والتأثير؛ ذلك لأن التصريح يلفت انتباه المتلقي، ويحمل كثافة موسيقية تؤثر فيه<sup>(٥٩٣)</sup>؛ فيكون موضع ذلك جيداً في ذاته، ويدفعه لمواصلة القراءة وعدم التوقف.

ولأهميته الكبيرة اهتم به في مطالع القصائد، ولذا يقول الجندي: "ونحن حينما نرهف آذاننا للإرشاد من شاعر معروف، فأول ما نتشوف إليه ونترقبه منه هذا التصريح الذي يشبه مقدمة موسيقية خفيفة قصيرة، تلهب إحساسنا، ويهيئنا لاستماع قصيدته، وتدلنا على القافية التي اختارها، فإن أغفلها أو أتى به رديئاً ركيكاً خيل أن شيئاً من الجمال ترك مكانه شاغراً"<sup>(٥٩٤)</sup>.

---

(٥٩٢) الديوان، ص333

(٥٩٣) انظر د.عبده بدوي، دراسات في النص الشعري، ص25، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1405هـ.

(٥٩٤) د.علي الجندي، الشعراء وإنشاد الشعر، ص134، دار المعارف، القاهرة، 1969م.

والنماذج في التصريح عند الزركلي كثيرة، ومن ذلك ما نراه في قصيدة (الجزائر)<sup>(٥٩٥)</sup> والتي يقول الشاعر في مطلعها:

أما لدوي جلجلة الرعود سميع في التهائم والنُّجود

فالمأمل في البيت السابق يرى بأن البيت حمل معه التصريح من خلال اتفاق آخر حرفين من العروض والضرب، وهذا التصريح أضفى نغماً موسيقياً رائعاً، لفت فيه انتباه المتلقي لما حمله معه من تأثير على نفسيته، وكما أن هذا المطلع كان عاملاً مهماً في الإيضاح عن مضمون القصيدة، إذ أن القارئ يلحظ بمجرد قراءته أجواء القصيدة التي تحكي واقع تباريح البؤس والآلام الذي لحق الجزائر وأهلها.

### 3- الطول والقصر :

طول القصيدة وقصرها من الأمور المهمة التي تأخذ جانباً مهماً في الحكم على القصيدة، ومعيار الطول والقصر يرتكز أولاً على عدد أبيات القصيدة، ولكنه لا يعد المعيار الأوحيد في الحكم، إذ لا يفهم من قصر القصيدة قلة عدد أبياتها، وإنما المحك الفعلي في القصيدة يتمثل في انتظامها داخل مستوى شعوري واحد، وضمن موقف عاطفي يسير باتجاه محدد وملموس<sup>(٥٩٦)</sup>، وبذلك يكون عدد الأبيات مساعداً في معرفة انتظام القصيدة في ذلك المستوى.

وأما طول القصيدة فلا يتوقف أيضاً بالنظر إلى كثرة الأبيات فحسب، بل يكون العدد عاملاً مساعداً في معرفة المواقف الشعورية، والخبرات الإنسانية أو الفردية<sup>(٥٩٧)</sup> التي تظهر بها أبيات القصيدة، وعلى هذا الأساس يكون الحكم بالطول المناسب للقصيدة.

---

(٥٩٥) الديوان، ص290

(٥٩٦) د. إبراهيم الخاوي، حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، ص209، مؤسسة الرسالة، ط1، 1404هـ -1984م.

(٥٩٧) نفس الكتاب السابق، ص209

وبذلك نرى أن طول القصيدة لا يعد من الأمور الفنية للحكم على جودة القصيدة وجمالها، وكذا بالنسبة إلى قصر القصيدة لا يعد قصرها حكماً عليها بالرداءة والسوء، وإنما يعول في الحكم على الطول والقصر بمدى ملاءمة أبيات القصيدة للتجربة الشعورية، وإظهارها عن أحاسيس الشاعر.

وعند التأمل في شعر الاتجاه الإنساني عند الزركلي نجد يتراوح ما بين الطول والقصر؛ إذ هي في القصر تسير وفق تجربة شعورية محددة؛ وذلك لأن طبيعة الشعر الإنساني يحتاج إلى نوع من السهولة والتأثير المباشر في ذهن المتلقي أو السامع، بحيث يحفظ ما يقوله الشاعر ويدرك المغزى منه، دون تطويل يبعث إلى السأم والملل، وترهل الفكرة وتسطيحها، ولذلك يقول الخليل بن أحمد: "يطول الكلام ويكثر ليفهم، ويوجز ويختصر ليحفظ.."<sup>(٥٩٨)</sup>، وقيل لابن الزبيري: "إنك تقصر أشعارك، فقال: لأن القصار أوج في السامع، وأجول في المحافل.."<sup>(٥٩٩)</sup>. وفي الطول نجدتها تدل على شخصية متمزقة لديها رسالة إنسانية تريد إيصالها إلى المتلقي، فعندما يريد الشاعر نظم قصيدته تسيطر عليه عدة مواقف إنسانية فتأتي القصيدة محملة بعدت مواقف شعورية.

فمثلاً لو أننا نظرنا إلى قصيدة (أشبال قحطان)<sup>(٦٠٠)</sup> لوجدنا أنها تعد من قصار القصائد؛ لأن القصيدة احتوت على موقفاً شعورياً واحد وهو الفخر بأشبال قحطان دون الخروج إلى أي موقف شعوري آخر، وعدد أبياتها لم تتجاوز اثني عشر بيتاً.

وأما طوال القصائد عند الزركلي فنراها تعتمد على تعدد المواقف الشعورية، وهي تدل على ما يجول في نفس الشاعر من أحاسيس واضطرابات يحاول أن يوصلها في إطار موقف واحد من خلال قصيدة واحدة، فلو نظرنا إلى قصيدة (نجوى)<sup>(٦٠١)</sup> لو جدنا أنها من طوال القصائد؛ وذلك لأن الموقف الشعوري التي ارتكزت عليه القصيدة احتوى عدة مواقف شعورية متعددة، وبحيث نرى الشاعر بدأ

---

(٥٩٨) العمدة في محاسن الشعر ونقده، ج1، ص186

(٥٩٩) نفس الكتاب السابق، ج1، ص187

(٦٠٠) الديوان، ص26

(٦٠١) الديوان، ص21



القصيدة بالحديث عن غربته تجاه وطنه ومرارة البعد منه، ومن ثم انتقل إلى الحديث عن الآلام والأوجاع التي لحقت به، ومن ثم تطرق إلى الحنين لوطنه، وأخيراً عاد إلى الحديث عن الغربة كما بدأ، وبالنظر إلى عدد الأبيات نجدتها عشرين بيتاً.

والمأمل في ذلك البناء - كغيره من الأبنية الطويلة - يلحظ مقدرة الشاعر على التشكيل الشعري، وعلى أساس ذلك اختار لها هذا الإطار الطويل الذي يتناسب مع تلك المقدرة الشعرية، وهو دليل على وعي الشاعر بتجربته الشعرية<sup>(٦٠٢)</sup>.

وقصار القصائد وطولها عند الزركلي نجده جدد في المضمون وأخذ شكلاً آخر غير ما عرف عليه في الأغراض القديمة التي تقتصر في أكثرها على الرثاء والمدح والغزل والوصف، والتي قلما تتعرض إلى الجوانب والقضايا التي تهتم بشؤون الإنسان واحتياجاته واهتماماته وقضاياها، وتخطبه في حدود وطنية معروفة يقصد بها شخص ينتمي إلى قطعة محددة من الأرض.

ففي عدة مواقف متعددة في عدة قصائد كما في قصيدة (اللاجئ)<sup>(٦٠٣)</sup> نجد الشاعر جدد في المضمون فلم يعتمد المضامين القديمة المتبعة وإنما دخل إلى موضوعه مباشرة، ولم يمزج الشاعر أبياته بالأغراض التقليدية، بل كان موضوعه يشكل طابع رحمة مواساة للضعفاء الذين ألفت بهم هوة الحرب على حافة الألم والفقر من خلال ذلك الإنسان المسكين الذي نزع عن وطنه فكان على حافة الفقر منبوذاً من الجميع.

والشاعر بالإضافة إلى ذلك يسير في شعره إلى عدم التقيد بوحدة الموضوع، والذي نقصد به أن تتكون القصيدة بأكثر من موضوع واحد، بحيث لا تقتصر على حول الدوران حول غرض شعري محدد سواء في حب الوطن أو الغربة أو البحث عن الحرية أو ما إلى ذلك. فلو نظرنا مثلاً إلى قصيدة

---

(٦٠٢) انظر حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، ص 209

(٦٠٣) الديوان، ص 333

(الفاجعة)<sup>(٦٠٤)</sup> لو جدنا أن القصيدة احتوت على أكثر من موضوع واحد من خلال الوطنية والغربة والحنين والإخاء.

وبالنظر إلى الوحدة العضوية التي تختلف في مفهومها مع وحدة الموضوع وتقتضي توفرها نظير تحققها، نجد أنها في تحققها تستلزم " أن تكون القصيدة بنية حية تامة الخلق والتكوين.. وبناء بكل ما تحمله الكلمة من معنى؛ أي عمل تام كامل ينقسم إلى وحدات تسمى أبياتاً، ولكن كل بيت خاضع لما قبله، لا تحجزه عنه خنادق ولا ممرات، فهو خيط في النسيج، يدخل في تكوينه، ويساعد في تشكيله"<sup>(٦٠٥)</sup>.

وبذلك تكون القصيدة ليست مجرد أبيات تجمع هنا وهناك؛ بل بناء منسجم نابضاً بإحساسات الشاعر وشعوره الحي القائم على وحدة الموضوع، فلا ينظر إذن "إلى البيت المنفصل، وإنما ينظر إلى التعبير كله أو القصيدة كلها"<sup>(٦٠٦)</sup>.

وفي مجمل قصائد الزركلي يلحظ أنها تفتقر إلى مثل هذه الوحدة، فبعض القصائد عنده نجد أنها تتشابه مع بنائية القصيدة القديمة من حيث تعدد الموضوعات، فنجدها لا تقتصر على موضوع واحد بل نجد أنها تحتوي على موضوعات وأغراضاً عدة من غير الممكن أن تنسجم مع تحقق الوحدة العضوية. وبعض القصائد نجد أنها تحتوي على موضوع واحد ودائرة واحدة تدور حولها القصيدة، ولكنها لا تخضع للمفهوم الذي تعرف به الوحدة العضوية من حيث الترابط الوثيق بين أبيات القصيدة التي يختل مفهومها عندما تقدم بيت عن بيت أو تحذف بيت.

#### 4- الخاتمة :

تعتبر الخاتمة من النقاط البارزة والمهمة في الهيكل البنائي للقصيدة، لأنها خاتمة الكلام " وخاتمة الكلام أبقى في السمع، وألصق في النفس؛ لقرب العهد بها؛ فإن حسنت حسن، وإن قبحت قبح،

(٦٠٤) الديوان، ص116

(٦٠٥) بتصرف من د. شوقي ضيف، في النقد الأدبي، ص153، دار المعارف، القاهرة، ط9.

(٦٠٦) نفس الكتاب السابق، ص158

والأعمال بخواتيمها"<sup>(٦٠٧)</sup>، و اختتام القصيدة هو " قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسيله أن يكون محكماً لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعدها أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون قفلاً عليه"<sup>(٦٠٨)</sup>؛ لذلك كان الخاتمة لها أهمية عظيمة؛ لأنها هي آخر ما يستقر في ذهن المتلقي من التجربة الإبداعية، لذا يتوجب على الشاعر كما يقول أبو هلال العسكري: " ينبغي أن يكون آخر بيت في قصيدتك أجود بيت فيها، وأدخل في المعنى الذي قصدت له نظمها"<sup>(٦٠٩)</sup>. ونتيجة لذلك اعتنى الشعراء بخواتيم قصائدهم، فكانوا يهتمون ويحرصون - في الغالب - على اختتام قصائدهم بأجود ما يكتبون.

ولحظة التكثيف الشعورية - وهي لحظة مؤثرة في نفس المبدع، وما تتركه من تأثير عميق في نفس المتلقي، هي لحظة قد تأتي في مطلع القصيدة، أو في وسطها، أو في خاتمها، ولكن الغالب والمنطقي أن تأتي هذه اللحظة في خاتمة القصيدة؛ لأن كل جزء سابق على النهاية يسلم بطريقة فنية إلى الجزء الذي يليه، وهكذا تصل القصيدة إلى لحظة تكثيف التجربة، وإيجاد التفسير الملائم لها"<sup>(٦١٠)</sup>، وبذلك تكون للخاتمة أهمية خاصة ثلاثية النتائج في نظرة الناقد من جهة، وانطباع خاص في نفس المتلقي من جهة أخرى، وعناية جيدة حين يبدع الناظم قصيدته من جهة ثالثة.

ولعل تلك اللحظة الشعورية تفيض بالتمازج في شعر الزركلي، كما سبق في الحديث عن مطلع القصيدة بتلك اللحظة الشعورية فإنها كذلك قد جاءت في خاتمة القصيدة، وهي دليل على اهتمام الشاعر بخواتيم قصائده. وتمثل هذه اللحظة بداية في خاتمة قصيدة (الديدبان)<sup>(٦١١)</sup> إذ نرى الشاعر يبدأ قصيدته بأسلوب قصصي جميل بين جيشين متناحرين ومتضادين، يقف في غضون أحدهما الحارس الأمين الذي يفدي بروحه من أجل أن ينقذ قومه من شر العدو، وبين الشد والجذب في أحداث القصيدة الدرامية، والتي أدت إلى فداء هذا الديدبان روحه فداء لقومه وآله، تأتي لحظة

(٦٠٧) العمدة في محاسن الشعر ونقده، ج1، ص217

(٦٠٨) نفس الكتاب السابق، ج1، ص239

(٦٠٩) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص503، ت. مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1401هـ.

(٦١٠) حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، ص216

(٦١١) الديوان، ص61

التكثيف الشعورية في الخاتمة ليبيدي الشاعر موقفه من هذا كله في تقدير شخصي منه، بأن هذا العمل من الأخوة الحقيقية التي فيها يفدي الحر قومه بدمه:

هكذا فليكنْ أحو البأس يفدي بالدمِ الحرِّ قومه حينَ يُهدرُ

وكما نرى في خاتمة قصيدة (مشقياها ومسعداها) <sup>(٦١٢)</sup> الذي يبدأ الشاعر تجربته بالحديث عن فتاة حنّت وشاقت أن ترى أهلها، فأبى الزوج وصددها عن أبيها وتركها في دارها، ومع دأبها المستمر وجأشها بالبكاء رماها الزوج فغادرت إلى أبيها تشكو ما دهاها، وقصت على الأب المرجى في شجوها ما كان بها، فما كادت أن تتم حديثها إلا وزجرها الأب وبدت في عينيه نار الشر معتزماً على أذاها فتذهب هذه الفتاة إلى ديار زوجها وقلبها يحمل الحزن والأسى، ولوقوفها بين نارين فضلت العدول عن ديار زوجها، من ثنائية الظلم الذي لحقت والحالة السيئة التي تكالبت عليها، فأصبحت حالتها كزهرة الروض التي ذوت وجفت فذهب سناها وشذاها، وفي الختام يظهر الشاعر موقفه الشعوري من ذلك بأبيات عاطفية للغاية تقف في صف الضعيف وإنصافاً له من سطوة القوي:

فعبرةٌ يا أباً وزوجاً مُلكُماها فأحيها

فأنثما مالكا خُطاها فمُشقياها ومُسعداها

ومن تلك اللحظات الشعورية ما يختتم الشاعر قصيدته بأسلوب إنشائي، ومن تلك الأساليب أسلوب النداء، إذ يبدو ذلك جلياً في خاتمة قصيدة (المهرجان) <sup>(٦١٣)</sup> الذي يتحدث الشاعر فيها عن معركة الانتصاف بين العرب وإسرائيل عام 1973م، مختتماً القصيدة بأسلوب النداء:

يا عينُ أبكاكِ الزمانُ وعادَ يعتذرُ الزمانُ ..

---

(٦١٢) الديوان، ص186

(٦١٣) الديوان، ص307

وكذلك أسلوب الاستفهام إذا يكون في خاتمة قصيدة (السلم) <sup>(٦١٤)</sup>، والذي يتحدث الشاعر في قصيدته عن السلام في الحرب، تاركاً خاتمة القصيدة مما يدل على الحيرة الشديدة من هذه الحروب:

هل يَحِينُ اليوم الذي يُدْرِكُ العالمُ فيه حلاوةَ الأيامِ

والمتتبع يرى أسلوب التعجب أيضاً، إذ يظهر مثلاً في خاتمة قصيدة (لو أنصف) <sup>(٦١٥)</sup>، الذي يبدأ الشاعر قصيدته عن المساواة بين الإنسان وأخيه، وفي هذا الأخذ والرد يختتم الشاعر قصيدته بأسلوب تعجبي من الإنسان، مما يدل على أن الإنسان موضع حيرة لدى الشاعر:

ما أظلمَ الإنسانَ مُشتكياً أَلَمْ الجَرمِةِ وهو جارمُها !..

ومن اهتمام الشاعر بخواتيم قصائده، نراه يختتم قصائده بما يتناسب مع أحداث القصيدة، وهو بذلك يبدي لنا مدى انسجام الخاتمة مع موضوع القصيدة، ومدى ارتباطها الوثيق والمنسجم مع الأحداث المتقدمة، ففي خاتمة قصيدة (البائسة) <sup>(٦١٦)</sup> الذي يذهب الشاعر فيها إلى ذكر أحداث تلك الضحية التي باتت من ضحايا الحرب الكونية، وما أصابها من وابل الجوع والخوف والسرقة في حوار إنساني مفعم بالعواطف الإنسانية، يتساءل الشاعر في خاتمة قصيدته من ذا الذي يرأف بحال هذه البائسة، ويغار على الإنسانية التي بها ينقذ النفس من دهاليز الألم:

أما من رؤوف أوسع الله عيشه يَرِقُّ لمن أضناه عيشٌ مضيئُ

أما من غيورٍ يُنقذ النفسَ بالجدِّا يُرَدُّ به سهمُ الشقاءِ المفقُ

تختتم قصائد الزركلي بما لا يتناسب مع أحداث القصيدة، والمتأمل في ذلك يرى بأن الشاعر يحمل في ذاته همّاً تجاه ذلك الشيء المذكور مما أوجد وقعاً غائراً في ذاته، مما جعله يختتم القصيدة بهذا

---

(٦١٤) الديوان، ص332

(٦١٥) الديوان، ص144

(٦١٦) الديوان، ص151

الختام، وما يبدو لنا في هذا الشأن خاتمة قصيدة (حرب)<sup>(٦١٧)</sup> إذ يبدأ الشاعر قصيدته بين الأحداث التي تدور في البيت الأسري الواحد بين الضرة وجارتها وما يأتي بينهما من شجار وتضاد، حتى يحتتم الشاعر بخاتمة تعلق عن هذا كله بأن يتمنى الشاعر بأن الحروب في الكون كهذه الحرب التي فيها تلهف وضراعة وتوسل وتوسم؛ وذلك يظهر لنا بأن الشاعر يقف موقفاً مضاداً ويحمل همّاً كبيراً تجاه هذه الحروب التي كانت ولا زالت السد المنيع ضد الإنسان وسعادته:

لَيْتَ الْحُرُوبِ كَمَا رَأَيْتُ: تَلْهُفُ وَضِرَاعَةٌ وَتَوْسُلٌ وَتَوْسُومٌ!

كما يلاحظ في اختتام الشاعر لقصائده أن الخاتمة يظهر فيها حكمة أو مثل سائر على الألسن بين الناس، وذلك نظراً لاطلاعه على الشعر العربي وإعجابه ببعض الشعراء الكبار الذين سبقوه، الذين كانوا يحرصون على أن تخرج قصائدهم بخاتمة تحوي على حكمة أو مثل سائر. ويظهر ذلك في خواتيم عدة قصائد كثيرة، ومنها على سبيل المثال خاتمة قصيدة (في عمان) إذ يقول الشاعر فيها<sup>(٦١٨)</sup>:

فَمَنْ كَانَ ذَا عَزْمٍ فَصَمَّمْ فِي الْعُلَى أُتِيحَ لَهُ مِنْهَا الْعَدَاةُ مُتَاخُهَا!..

وقوله في خاتمة قصيدة (بالصفا بالحجون)<sup>(٦١٩)</sup>:

إِنْ لِلْبَاطِلِ اضْطِرَاباً عَلَى الْحَقِّ وَعُقْبَاهُ أَنْ يَكُونَ زَهُوقاً

ومن هذا العرض السابق يتضح لنا أن بناء القصيدة في الشعر الإنساني عند الشاعر كانت ذات دلالات ومواقف مهمة دالة على ذات الشاعر، وأنها ذات جودة فنية جيدة جمعت بين القديم والجديد وبين الماضي والحاضر.

---

(٦١٧) الديوان، ص 92

(٦١٨) الديوان، ص 155

(٦١٩) الديوان، ص 173

## المبحث الثاني: الصورة الفنية

الصورة في الشعر هي مناط التجربة ومحورها الأساسي بل هي التجربة ذاتها لما لها من أهمية بالغة في تحديد مستوى الإبداع داخل النص الشعري، والتعبير بالصورة من الأركان الأساسية التي قام عليها الشعر منذ أن وجد حتى اليوم<sup>(٦٢٠)</sup>، فهي جوهر الشعر وأداته القادرة على الخلق والإبداع والتحديد والإشارة والتأثير. و"مجال الحكم على الشاعر، فالمعاني عامة لدى جميع الناس ومنهم الشعراء، ولكن العبرة في مدى قدرة الشاعر على صوغ هذه المعاني في ألفاظ وقدرته على تصويرها"<sup>(٦٢١)</sup>، فالصورة وحدها هي من تجعل لإبداع الشاعر أو الرسام أثراً فنياً<sup>(٦٢٢)</sup>.

ونظراً لتلك الأهمية تبوأَت الصورة مكانة مرموقة في الأدب والنقد، وتطورت مفهوماً وشكلاً، واهتم النقاد المحدثون بدراساتها، وأولولها كل عناية، وقد تنوعت الاتجاهات في دراسة الصورة، إذ نجد بعض الدارسين والنقاد اهتموا بالصورة من الناحية اللغوية فعدت تشكيلاً لغوياً، يقول علي البطل: "الصورة تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصور مستمدة من الحواس، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية، وإن كانت لاتأتي بكثرة الصورة الحسية"<sup>(٦٢٣)</sup>.

ومن النقد من يتوقف عند الناحية البلاغية المرتبطة بمجال البيان خاصة، كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، وهذا في اعتقادي أنه ربط عقيم، فالصورة لا يمكن أن تمتلك مفتاح الإبداع وتكون ذات قيمة جمالية إذا انطلقت من مجال واحد تحمل فيها بقية المجالات المختلفة.

وقد يأخذ الحديث عن الصورة غير المجال البلاغي، فالصورة نظر إليها بأنها قد تخلو من أنماط البلاغة، وتتكون من عبارات حقيقية الاستعمال، وهذا ما أكده محمد غنيمي هلال حينما قال:

---

(٦٢٠) إحسان عباس، فن الشعر، ص230، دار الشروق، عمان، 1996م.  
(٦٢١) د. عبد الفتاح صالح نافع، الصورة في شعر بشار بن برد، ص53 عمان، 1983م.  
(٦٢٢) تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص68، دار الحوار، اللاذقية، ط1، 1983م.  
(٦٢٣) علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، ص3، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1980م.

فقد تكون العبارات الحقيقية الاستعمال وتكون مع ذلك حقيقة التصوير دالة على خيال  
حصب" (٦٢٤).

ومن النقد من ربط الصورة من الناحية النفسية، فيعرفها عز الدين إسماعيل، بأنها "تركيبية  
وجدانية تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع" (٦٢٥). ويعرفها سمير  
قطامي "كيفية تناول الشاعر للمرئيات والوجدانيات في محاولة لنقل تجربته إلى المتلقي على درجة  
كبيرة من التأثير، وإثارة مشاعره وانفعالاته، أو نقل هذا المتلقي إلى حالة الانفعال تشبه تلك التي  
مرت بالمبدع وقت إبراز العمل الفني" (٦٢٦).

ومنهم من ربطها بالناحية العقلية والذهنية، إذ يراها عبد القادر الرباعي بأنها "ليست بذلك  
التركيب المعتمد على التركيب المفرد الذي يمثله تشبيه أو كناية أو استعارة .. بل هي تبدأ بالتركيب  
الصوري المفرد بكل ما في هذا التركيب من ألفاظ، وبما يتعلق بألفاظه من ألفاظ أخرى، ربما لا تشكل  
وحدها وضعاً صورياً، ثم ينتهي بالقصيدة بكل ما فيها من صور داخلية تتحرك وتحرك غيرها من  
تراكيب، وعلى هذا لا تنفصل الصورة التي تكونها أشياء الألفاظ المادية المثارة بالذهن، عن نغمة هذه  
الألفاظ السارية في نظام النسق الصوري" (٦٢٧).

ويذهب بعض النقاد إلى أنها تعبير يخضع للنشاط النفسي أكثر من الذهني، فيقول علي إبراهيم  
أبو زيد بأنها "أداة الشاعر الفنية يعبر بها عن تجربته، ويرسم مشاهداً من حياته وواقعه، قوامه  
(الكلمات) وما يحدثه بينها من علاقات يبتكر بها دلالات جديدة غير مباشرة، يبنى بها عالماً متميزاً  
جديداً، يجمع فيها بين عناصر متباعدة، في إطار الانسجام والوحدة، يصور المعنى تصويراً إجمالياً،

---

(٦٢٤) د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص 457، دار الثقافة، بيروت، 1973م.

(٦٢٥) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص 127، دار العودة، بيروت، ط 2، 1972م.

(٦٢٦) سمير بدوان قطامي، إلياس فرحات - شاعر العرب في المهجر، ص 295، دار المعارف، مصر.

(٦٢٧) د. عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري - دراسة في النظرية والتطبيق، ص 10، دار العلوم،

الرياض، ط 1، 1405هـ - 1984م.



وتخاطب المشاعر التي لا تعرف قيدها أو حداً، أكثر مما تخاطب الفكر، وتدع للخيال حرية التخيل حول الصور المشكّلة، بحيث تظهر فيها شخصية الشاعر واضحة مميزة<sup>(٦٢٨)</sup>.

وينظر إليها عبد القادر القط بأكثر شمولية فيرى بأنها "الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني"<sup>(٦٢٩)</sup>.

والمفاهيم الدالة على تحديد مفهوم الصورة الفنية في الشعر أمر في غاية الصعوبة؛ فهي دائماً في تحوير وتبديل مستمرين حتى إن كل مدرسة فنية تعطي المفهوم الذي يتفق وفلسفتها العامة<sup>(٦٣٠)</sup>؛ فالرومانسي مثلاً يختلف عن الكلاسيكي وعن الرمزي؛ إذ مقياس الجودة يقف عند الرومانسي في بروز العاطفة، بينما الكلاسيكي عند العقل وارتباطه بالهدف الأخلاقي، والرمزي يظهر الجودة في الأثر الخفي. لذا يكاد يقرر بعض النقاد والدارسين على "أن أية محاولة لإيجاد تحديد نهائي مستقر للصورة غير منطقية، إن لم تكن ضرباً من المحال"<sup>(٦٣١)</sup>.

ومع ذلك فبإمكاننا أن نركن إلى مفهوم بسيط تكون فيه الصورة في أبسط مفاهيمها، فتكون استيعاب فكرة مزوجة بعاطفة، في شكل لغوي متكامل يلزم قوانين الشعر، يوسم بالجمال، ويحمل خصائص مبدعه، ويؤثر في المتلقي.

وليس الهدف من هذا كله هو رسم محيط شامل لما يدور حول الصورة الفنية من تعريفات ومقتضيات، فالحديث في ذلك يطول، وإنما هو رسم مسار عام لكيفية تشكيل الصورة الفنية عند

---

(٦٢٨) د. علي إبراهيم أبو زيد، الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزامي، ص 249، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1983م.

(٦٢٩) د. عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص 391، دار النهضة العربية، بيروت، ط 2، 1981م.

(٦٣٠) عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري، ص 85

(٦٣١) بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ص 13، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1994م.

الزركلي، ونظراً لذلك سوف يكون الحديث عن الصورة الفنية عند شاعرنا خير الدين الزركلي، يتمحور في محورين، وهي:

١ - مصادر الصورة.

٢ - أنماط الصورة.

## ١ - مصادر الصورة :

الصورة في الحقيقة تتشكل وفق مجموعة خبرات الشاعر وتجاربه، ومما ترسب في ذاكرته من موروثات قراءاته وإطلاعه. والصورة الشعرية تركيبية معقدة، ترتبط بكل ما يمكن استحضاره في الذهن فتعيد تكوين المدركات الذهنية التي انطبعت من خلال تلك التجارب والخبرات، ومن ثم تتشكل في صورة فنية<sup>(٦٣٢)</sup>.

والمأمل في شعر الاتجاه الإنساني عند الزركلي يلحظ تعدد مصادر الصورة الفنية في شعره، فيجدها مأخوذة من عدة مصادر مختلفة، نظراً للاهتمامات التي تركزت وتكونت في ذهنه. وأول تلك المصادر في نطاق الصورة الفنية هو الموروث الثقافي. وقد يؤدي هذا الموروث دوراً مهماً في تشكيل الصورة، فلجوء الشاعر إلى التراث بمعطياته المختلفة يدخل في القصيدة العربية المعاصرة قدراً من العراقة والأصالة؛ لأنه " يمثل امتداد الماضي في الحاضر، وتغلغل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخصبة المعطاء، كما أنه يمنح الرؤية الشعرية نوعاً من الشمول والكلية"<sup>(٦٣٣)</sup>.

ولعل أبرز المظاهر التي تنطوي تحت الموروث الثقافي هو الدين الإسلامي فلقد تبين فيما سبق أن الدين الإسلامي من أهم الروافد التي أثرت كثيراً في شعر الزركلي، لذا نجد أن الزركلي رسم جانباً كبيراً من صوره الفنية من القرآن الكريم والسنة النبوية ومن التقاليد الإسلامية القويمية، الذي اتخذ منها

---

(٦٣٢) انظر عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ص130 وما بعدها، دار العودة، بيروت، ط3، 1981م.

(٦٣٣) علي عشري زايد، بناء القصيدة العربية الحديثة، ص128، مكتبة دار العلوم، ط2، 1979م.

الشاعر موقفاً جيداً بناءً على أسس إسلامية محددة، معتمداً في اتخاذ هذا الموقف "على ثقافته الخاصة، أكثر من اعتماده على تجاربه المباشرة. فلقد أدرك الشاعر الحديث أن عامله لا يعطيه أنماطاً واضحة للاستجابة. ولهذا فهو مضطر إلى أن يفكر ويشعر في حدود ذاته" (٦٣٤)؛ متكئاً على ثقافته. وما يظهر بداية في هذا المصدر قول الزركلي عن أهل السياسة (٦٣٥):

وأهلها إن واعدوا أخلفوا ميعادهم أو عاهدوا لم يفوا

والمتمامل في البيت السابق والذي صور فيه الشاعر إخلاف أهل السياسة بالخلف في الوعد وعدم الوفاء بالعهد، إلى ارتكاز تلك الصورة الفنية على ألفاظ القرآن الكريم، والذي يقول فيه جل وعلا: ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ (٦٣٦)، وقوله سبحانه: ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾ (٦٣٧)، وكذلك على سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، بقوله: «أربع من كن فيه منافقاً، أو كانت فيه خصلة من أربع، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» (٦٣٨).

كما يلحظ المتمامل في قول الزركلي عن المستعمر الفرنسي الذي استباح أرض الوطن بغير حق، وظلم وسفك ومكر بالأهالي، فكان للباطل اضطراب على الحق (٦٣٩):

مكروا جهدهم بنا وليأبى المكر إلا بأهله أن يحيقا

إن للباطل اضطراباً على الحق وعقباه أن يكون زهوقا

---

(٦٣٤) د. السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، ص126، دار النهضة العربية، بيروت، 1404هـ - 1984م.

(٦٣٥) الديوان، ص334

(٦٣٦) سورة البقرة: الآية 177

(٦٣٧) سورة الرعد: الآية 20

(٦٣٨) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج5، ص 128

(٦٣٩) الديوان، ص173

بأن الصورة الفنية انبثقت من دلالات وألفاظ القرآن الكريم، الذي يقول فيه جل وعلا بما يلتحق بالبيت الأول: ﴿ولا يحيقُ المكرُ السيء إلا بأهله﴾<sup>(٦٤٠)</sup>، وفي البيت الثاني، قوله تعالى: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾<sup>(٦٤١)</sup>.

وكما نلاحظ - أيضاً - الاسترفاد في بيت آخر من أبيات الشاعر، وفي إحدى قصائد الشاعر، يقول فيها<sup>(٦٤٢)</sup>:

كل نفس تجزى بالذي كسبت الحيف بالحيف والأنداء بالديم

والمتأمل في البيت السابق والذي أبدى الشاعر فيما سبقه من أبيات الامتعاظ الشديد من أهل المال والثروة بحيث أحرزوا قوت الفقير ولم يستأثروا به إليه، مما ألقى به وخلفه في جحافل البؤس والفقر والاندثار، ولذا يقر الشاعر قانون الإسلام السمح بأن كل ما تكسبه سوف تجازى به، وهي رسالة إنسانية جعلها الشاعر في صورة فنية بسيطة مستوحاة في شطرها الأول من قول الباري عز وجل: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم﴾<sup>(٦٤٣)</sup>، وفي شطرها الثاني في السير خلف قوله تعالى: ﴿وكتبتنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف...﴾<sup>(٦٤٤)</sup>.

وتتسع هذه الثقافة لنجد أن الشاعر يقوم بالاسترفاد من بعض القصص القرآنية التي حفل بها القرآن الكريم، ومن ذلك مثلاً قصة عصيان إبليس الباري سبحانه وتعالى وإعراضه عن أوامره عندما لم يسجد لآدم عليه السلام، مما جعله يهوي في مدارك الجحيم، ومثل هذه القصة نجد الزركلي يقوم بتلوين إحدى صورة الفنية باستيحاء جمالها من طبيعة القصة الماضية، عندما صور بعض القائمين

---

(٦٤٠) سورة فاطر: الآية 43

(٦٤١) سورة الإسراء: الآية 81

(٦٤٢) الديوان، ص194

(٦٤٣) سورة غافر: الآية 17

(٦٤٤) سورة المائدة: الآية 45

على أعمال وطنه المناهضة للصواب بأن وطن تبرأ منها براءة الله من أعمال إبليس؛ نظراً لسوء العمل الذين هموا به تجاه الوطن<sup>(٦٤٥)</sup>:

لقد تبرأ من أعمالكم وطني براءة الله من أعمال إبليس!

وأما الموروث الثقافي الثاني فهو النص الأدبي، الذي لا يكاد يخلو أي منتج شعري من نصوص شعرية ونثرية، وأحاديث مأثورة، وأمثال مشهورة.. جاعلين الشعراء الماضي يتناغم مع الحاضر في إطار يحمل ساحة خصبة بالصور الفنية الجميلة.

وشعر الزركلي لا يكاد يخلو من ذلك، فلتجد فيه صورة فنية من شاعر سبقه أو من بيت سائر يستشهد به، تخلص فيه حكمة، وتختصر تجربة، أو مسند حديث أو فصل خطاب<sup>(٦٤٦)</sup>. ففي إحدى قصائده نجد الشاعر لون صورته الفنية من إخلال اقتباسه لبيت من معلقة امرئ القيس<sup>(٦٤٧)</sup>:

مَكْرٌ مَفْرٌ مُقْبَلٌ مُدْبِرٌ مَعاً كَجَلْمُودٍ صَخِرٍ حَطَه السَّيْلُ عَالِيَا

والاقتباس السابق يعد اقتباساً كلياً، وهو يعد ضعف كبير في مقدرة الشاعر الإبداعية، بحيث لجأ لمثل هذا التصرف دون التغيير أو إحداث نقلة مختلفة مع ما كان في الصورة السابقة، إلا أن المتأمل يرى أن أخذ الشاعر لألفاظ البيت من شعر امرئ القيس في النص هي محاولة جيدة من الشاعر حاول فيها أن يصف حالة شعورية كانت تسيطر عليه عندما حاول أن يصف حاله مع عدوه وكأنه كالدُّب في الكر والفر والإقبال والإدبار، وذلك بربطها بالماضي من خلال نص أدبي رفيع المستوى، مما أضفى على الصورة هيبه وزرع في نفس المتلقي نوعاً من التقدير، فرفع الصورة إلى مرتبة لم يكن ليحصل عليها إلا من خلال ذلك الاقتباس.

---

(٦٤٥) الديوان، ص298

(٦٤٦) بتصرف من كتاب خير الدين الزركلي - المؤرخ الأديب الشاعر، أحمد العلاونة، ص131

(٦٤٧) الديوان، ص287

وهذا الاسترفاد وما يحمل من مصاحبة لحالة شعورية تنتاب الشاعر فتضفي نوعاً من الجمال في الصورة لم تقتصر على النص العربي فقط، بل نجد الشاعر يقتبس أيضاً من النص الغربي من الشاعر الفرنسي ألفونس دي لامارتين، عندما يقول<sup>(٦٤٨)</sup>:

قالوا: أئهمت فما باليت ما زعموا يأبى لي الخلق العالي ويشمخ بي  
وما يضير عقاب الجو إن علقته بطل جناحيه أدراناً من العُشبِ ؟

فالشاعر في البيت الثاني اقتبسه اقتباساً كلياً من الشاعر الفرنسي، بحيث شبه الشاعر حالته عندما يتهم بأنه كعقاب الجو الذي لا يضيره ما يعلق في جناحيه من أدران العشب.

وغير أمثال الصور السابقة يلحظ المتأمل صعوبة بعض الشيء في أن يجد صورة أخذها الزركلي من شاعر آخر سوى ما يصرح به الشاعر؛ لأن الشاعر يغمر الأخذ في ذاته، ويعيد إبداعها من جديد، حتى تظهر بشكل آخر وبجمل جديدة غير ما كانت عند صاحبها، فلا يتبين للآخرين أنها لشاعر قبله، وهو بذلك محقق شرطاً مهماً من شروط الشاعر القادر على تحويل مادة أو ثروة شاعر آخر لاستعماله الخاص<sup>(٦٤٩)</sup>. هذا إذا استثنينا بعض الصور التي لم تعد ملكاً لأحد وتعد في متناول الجميع كالنار للشوق والبعد مثلاً.

ومن ذلك ما قد نراه عند الشاعر في قصيدة (عكس الناس)<sup>(٦٥٠)</sup> حينما قال:

هات لي ما يغيب العقل عني إنما العقلُ فتنة وبلاء  
أدرك الأحمق الكثيفُ عماءُ ما تمى وخابت العقلاء

حيث يتبين للمتأمل من فحوى تلك البيتين أنها مأخوذة من بيت المتنبي<sup>(٦٥١)</sup>:

---

(٦٤٨) الديوان، ص265

(٦٤٩) سكوت جيمس، صناعة الأدب - بعض مبادئ النقد في ضوء نظريات النقد القديمة والحديثة، ص 109، ترجمة هاشم الهنداوي، مراجعة د. عزيز الطلي، دار الشؤون الثقافية العامة بوزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1986م.

(٦٥٠) الديوان، ص296

(٦٥١) شرح ديوان المتنبي، ج4، ص251، وضعه عبدالرحمن البرقوني، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1407هـ -

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأحو الجهالة في الشقاوة ينعم

فالشاعر قام بأخذ الصورة وهي أن صاحب العقل في شقاء والجاهل في نعيم، وقام بتلوينها وتغييرها فأضاف وجعل فيها شيئاً من روحه حتى ظهرت وكأنها من صنع يديه ومن ثروته الخاصة.

ومن النصوص الأدبية ما ورد عند الزركلي، تردد الأمثال والحكم الشهيرة السائرة بتغيير طفيف يظهر عليها، وهي في الواقع لم تقم بوظيفة فنية في الغالب، وإنما جاءت مساعدة للكشف عن مشاعر الشاعر، وتفجير انفعالات داخلية تحمل دلالات ثرية تضيء بواطن الشعور داخل النص الإبداعي الطويل والمعتم. ومن الشواهد على ذلك ما يقوله الشاعر في إحدى قصائده<sup>(٦٥٢)</sup>:

وما الحربُ إلاَّ خُدعةٌ قد بلوتها هُما أهلها — لم يجلبا الوُدَّ صافيا

فالشاعر يتحدث عن حالة الختل والمراوغة في الحرب، فكان اقتباسه للمثل الشهير (الحرب خدعة) مع تغيير طفيف ظهر عليه، فأنت صورة قوية لتأكيد على أن الحرب فيها الختل والمراوغة.

وهذا المثل كغيرها من الأمثال عند الشاعر، نراه لا يخرج عن أمرين: الأول هو مجيئها أتي بطابع تحميلي يقوي علاقة النص المعاصر بالنصوص التراثية السابقة، والثاني هو عجز الشاعر عن التعبير بما يريد البوح به مما جعله يضمن هذا المثل السائر دوره في إبراز المعنى مباشرة دون أن يكون له دور وظيفي في البناء العام للنص.

ومن المصادر التي أمدت خيال الزركلي، وأسهمت إسهاماً مباشراً في رسم صورته الفنية وسكبها بطابع إنساني، هي الطبيعة الساكنة والمتحركة، التي احتلت جزءاً كبيراً من خياله، وقوت ملكته التصويرية، وساعدته على رسم صور فنية جميلة، فقلد كان الشعراء يتخذون من الطبيعة مادة ملهمة لتشكيل صورهم، فيرسمون منها لوحات جميلة ومؤثرة<sup>(٦٥٣)</sup>.

---

1986م.

(٦٥٢) الديوان، ص287

(٦٥٣) انظر د. راشد بن حمد الحسيني، البنى الأسلوبية في النصوص الشعرية: دراسات تطبيقية، ص283، دار الحكمة،

لندن، ط1، 2004م.

والطبيعة في شعر الزركلي كان لها أثر كبير فيه، وهي من الأمور التي أهتمت في شعره الإنساني، وحركت خياله فأبدع من جميل القصائد المميزة، وهي عشقه الجميل والدائم، وهو لحبها لها يصرح بمدى انجذابه لها، متخذها مصدراً أكيداً لصوره الفنية<sup>(٦٥٤)</sup>:

يانفس! حسبك أن تلومي والهأ بهوى الطبيعة دائم البلبال

والطبيعة الساكنة تشمل ما يرتبط بالسماء وما تحتويه من قمر وشمس وليل وظلام ونور وضياء ونجوم وكواكب وصباح وفجر وما إلى ذلك من أحوال الفصول الأربعة، وما يرتبط بالأرض وما يلحقها من تراب وجبال وصخور ورياح ورمال ونباتات، وما يرتبط بالبحر من موج ومد وجزر، وما يرتبط بالمطر من سحب وبرق ورعد ..

والتأمل في شعر الزركلي يلحظ أنه يلجأ إلى مثل تلك الأمور السابقة، ويمتزج بها كما يفعل شعراء الرومانسية من أجل الفرار من الفساد الذي يرونه في مجتمعهم، وما يعتريه من ظلم وشورور<sup>(٦٥٥)</sup>، وبهذا الأمر يلجأ الزركلي إلى الطبيعة، ويبت فيها الحياة، كما يظهر عندما يجعل اليم في شكل إنسان، يخاطبه ويجاوره ويبت له شكاته وألمه ويلون صورته الفنية بما يحمله من قيم جميلة، ليقاسمه الألم والهلم، ويشاركة ما يراه من واقع إنساني غير مرضي<sup>(٦٥٦)</sup>:

الخافقان عراهما الهلمُّ قلبي وقلبك أيها اليمُّ  
عصفت بك الأهواء عابثةً فشمخت تستعلي وتزدمُّ  
وأرى يد الأيام تعبت بي لا الحمدُ يثنىها ولا الذمُّ  
يا يمُّ خفف عنك ليس لنا إلا العناء وهمُّنا جمُّ  
هلاً هدأت على الآسى فعسى بك قلبي الخفاق يأتُّ

---

(٦٥٤) الديوان، ص48

(٦٥٥) انظر بناء القصيدة العربية الحديثة، ص76

(٦٥٦) الديوان، ص179



فالشاعر في الأبيات السابقة رسم لنا صورة فنية في غاية الإبداع، كان مصدرها الطبيعة بحيث شخص اليم إنساناً يخاطبه ويسمعه ويواسيه ويستقبل منه ما ألم به، ويث إليه شكاته، وييدي له مدى جراحه العميقة التي تتغلغل بداخله، ويؤكد على مدى التناسب بين ما يشكوه البحر من أمور جغرافية فتشور ثأثرته، وبين ما تفعل به الأيام فتثور به الآلام والمواجع الإنسانية.

وإذا كان اليم من مظاهر الكون التي أمدت خيال الشاعر بالصورة الفنية المنتشية بالحياة والحركة، فكذلك فصل الربيع من المظاهر الطبيعية التي أثارت الصورة عند الزركلي، وأمدته بفكرة خاصة تحمل أحاسيس الجمال والسلام ورفض العنف والحرب، لما يحمله هذا العنصر الطبيعي من طبيعة خلابة ترفض الشين والعنف<sup>(٦٥٧)</sup>:

قالوا المعارك في الربيع فقلت: واهاً للربيع

الزهرُ يسقيه الندى فعلام يُسقى بالنجيع

فالشاعر لون صورته الفنية بجمال الربيع الذي هو علامة ورمز يدل على السلام، فصوره بدل أن يسقى بالندى وهو النمط الطبيعي لحياته، يسقى بالدم الأحمر الذي هو دلالة عن ما تحدته هذه الحرب من قتل وفتك تسيل منه الدماء جريان الأودية.

والنجم هو العنصر الطبيعي الآخر المثير لداوخل الشاعر ومثير أكيد لإبداع الصور الفنية المحلقة في الإبداع، فهو العنصر الذي يحمل الرمز الذي يكون بمثابة علامة للرجوع للماضي الذي يحمل الذكريات الجميلة<sup>(٦٥٨)</sup>:

بات يرعى النجم والنجم مُطِلُّ والجوى يُسهر والحُبُّ يُذِلُّ

ذكر "الشام" فأجرى دمه مستهلاً، وله في الشام أهلٌ

---

(٦٥٧) الديوان، ص253

(٦٥٨) الديوان، ص261

فالمتبع يلحظ أن النجم عندما رعاه الشاعر ونظر إليه أثار أحاسيسه وبعثه لتذكر أهله ومراتع صباه، فكان مصدر الصورة الفنية ناشئ من العنصر الطبيعي النجم الذي كان طريقاً ومثيراً أثار موجدة الشاعر فتفاعل مع أحاسيسه وحالته النفسية.

وإذا كان النجم هو المثير لرجوع الشاعر إلى الذكريات الماضية الجميلة، فالشمس هي المظهر الطبيعي الذي يبعث في الشاعر الأمل والنور، ويدل على الإشراق والضياء<sup>(٦٥٩)</sup>:

أنتِ يا شمسُ عِلَّةَ العليلِ حُتِّ تحيين مَيَّتَ الأملِ  
دولةَ النُّورِ لا ظلامَ بها أنتِ كونتها من الشُّعلِ

فالشاعر رسم لوحته الفنية مبنية على عنصر الطبيعة متخذاً إياه مصدراً لتلوين صورته الفنية وتشكيلها التي شكلها بأنها تحيي الأمل في النفوس، وأنها دلالة على الإشراق والضياء فبدونها تكون الأرض وأهلها في ظلام قائم مقتولة النور والإشراق، وهي برغم مباشرة الصورة إلا أنها تدل على دلالات نفسية في داخل الشاعر تتحدد في أن الشاعر يعيش في حالة نفسية وينتظر إشراقه شمس هذه الحالة وابتعادها عنه مما يحمله من معاناة إنسانية أطفأت الأمل في نفسه.

ويقوم الشاعر باستخدام مظاهر الطبيعة في تجسيد صورة الفنية، وتشكيلها لما يجده يدور في أرض الواقع، ويبدو ذلك جلياً في صورة الشلال الهادر في الغاب عندما يقبل متلاطمًا نحو الصخور بلارفق، وعندما يهوى من قمم الجبال يشق القمم مقتحماً ومحتماً تترامى رجم الأفلاك منه<sup>(٦٦٠)</sup>:

دمدمَ الشلالُ في الغاب ، ولالأدواح خفقُ  
يلطمُ الصخر ، وما بالماءِ أو بالصخرِ رفقُ  
إن هوى من قممِ الأجبالِ ، شق القممِ مقتحماً  
أو ترامت رُجمُ الأفلاكِ ، فلَّ الرُّجماً — محتتما

(٦٥٩) انظر الديوان، ص131

(٦٦٠) الديوان، ص71

محاولاً الشاعر في ذلك تصوير هذا الشلال وهو ثائر معربد، في صورة أمته عندما انفجرت  
وزارت واستعرت بما حملته من أذى وظلم، عندما يقوم الثائر بشجاعته واستبساله بالدفاع عن حمى  
الوطن وعن أهله وذويه:

ساسَ بالظلم عُنَاةً ، أُمَّةً ، فزججرت وانفجرت  
حُمِلت ما لم تُطْفئه من أذىً ، فزارت  
— واستعرت  
وبدا مَشعلها ، خَطَّ عليه الأبدُ :  
إنَّه الثائر ، لا يقوى عليه أحدُ !

والقارئ يلحظ في هذه الصورة أن الشاعر اتخذ من الشلال مادته واستخدمها في تصوير صورته  
الفنية التي رسمت في إطار الحقيقة عند ثورة الثائر المدافع عن وطنه، فسار المشهد في شكل متحرك  
حتى اكتملت في رسم ما يدور ويجول في نفس الشاعر من أحاسيس ونزعات داخلية.

والحقيقة أن الطبيعة الساكنة في أجزائها جميعاً وظفها الشاعر في عدد من أبياته، فالورد يثير  
مشاعر الشاعر ويكون بمثابة الود والمحبة، والخريف يدل على خذلان الشخص وزيف معدنه، والبدر  
يدل على الضياء والنور، والقمر يهزأ ويقسو وييسم ويضحك ويأنس ويتكبر.. محاولاً في ذلك تلوين  
صوره الفنية لما وجدته فيها متنفساً لأحاسيسه وصدراً دافعاً ووثاباً لآلامه.

وأما الطبيعة الحية التي تعتبر من مصادر الطبيعة المهمة التي يلجأ إليها الشاعر لتشكيل صورته  
الفنية، ويتخذها وسيلة لبث ما يريد من فكرة تلوح في ذاته، هي عالم الحيوانات بكافة أشكالها  
البرية والمائية والجوية، شأنه بذلك شأن كثير من الشعراء الذين شكلوا من صورة الحيوان مشاهد كثيرة  
ترتسم عليها مشاعرهم، أو تعكس نظرة مجتمعاتهم<sup>(٦٦)</sup>.

---

(٦٦) انظر د. قصي الحسين، انتربولوجية الصورة والشعر العربي قبل الإسلام: قراءة تحليلية للأصول الفنية، ص 210-  
211، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 1413هـ - 1993م.

وعند التأمل في ما يحمله هذا المصدر من تشكيل صور فنية جميلة تحمل الإبداع في عاتقها، استحضرها الشاعر عند تأمله في عالم الخير والشر للإنسان، فمنها ما رمز لدلالة على الخير والسعادة كالطيور والكلاب، ومنها ما رمز له لدلالة على الشر والشقاوة كما في الذئب والأفاعي. فما كان من المصادر الطبيعية الدال على الخير وساعد في تشكيل الصورة الفنية عند الشاعر، هو الطير الذي اتخذ الشاعر كوسيلة مهمة لتشكيل صورته الإبداعية عندما شخصه إنساناً وقام بمناجاته، ليذكره ما كان ناسيه من ذكريات جميلة حملة في معطفها أجمل الأيام<sup>(٦٦٢)</sup>:

يا طائراً غنى على عُصْنٍ و"النيل" يسقي ذلك العُصْناً  
زدني وهج ما شئت من شجني إن كنت مثلي تعرفُ الشَّجنا  
أذكرتني ما لست ناسيهُ ولربَّ ذكرى جددتُ حزنا  
وأحبةً أسررتُ من كلفي وهواي فيهم لا عجا كمنا  
كم ذا أغالبه ويغلبني دمعُ إذا كفكفتُ هتنا  
لي ذكرياتُ في رُبوعهم هُنَّ الحياةُ تألقاً وسنا !

فالشاعر في أبياته السابقة اتخذ من العنصر الطبيعي مادته في إبداع صورته الشعرية، عندما أباح بمكنونه وما يدور ويحس به من حنين تجاه وطنه وأهله وذويه، إلى هذا الطائر الذي أكسبه خصوصية الوطن، بأن يخبره عن أحبته وخلانه وذكرياته معهم. والشاعر في استلهامه هذا العنصر الطبيعي أجاد في اختياره؛ لأن الطير يحمل صفة العلو والتنقل بسرعة فائقة، والحالة الشعورية التي تمر بالشاعر من تذكر حاله وحنينه إلى أهله تحمل في الذهن طابع السرعة والانتقال بسهولة، فكان اختيار الطير مطابقاً لما كان يمر به الشاعر من حالة شعورية.

وفي قصيدة (عصفورة النيربين)<sup>(٦٦٣)</sup> يقوم الشاعر باختيار نوعية الطائر من بين عدة أنواع من الطيور، وأخذة وسيلة لتشكيل الصورة للروح عما يدور بالنفس، عندما يحادثه بأن يروي الحديث عنه

---

(٦٦٢) الديوان، ص21

(٦٦٣) الديوان، ص93

بما يحمله من حنين إلى أحبته محاولاً في ذلك التخفيف عن النفس والتنفيس عما يحمله من آلام  
الغربة والبعد:

عُصفورة النيربين غنّي  
وازوي حديث الأنين عني !  
أنا المعنى ، وما المعنى  
غير حنين ، أذاب مني  
شعاف قلبي ، وحسن ظني !

والحماسة هي الأخرى التي تعتبر من المصادر المهمة في تشكيل الصورة الفنية، وتدل على  
الطمأنينة والأمان، والجمال والحرية، وذلك عندما اتخذها الشاعر المكان المناسب الذي فيه يكون  
حراً طليقاً لا يقيدته أي شيء، ولا يظلمه أحد، ولا يسلبه أحد حقه، يعيش في آمان مع أطفاله  
وأسرته، مرتاح الضمير والجنان<sup>(٦٦٤)</sup>:

ألا ليتني حول (المقام) حمامةً يرفرف بين (المروتين) جناحي  
أروح وأغدو، حيث شاء لي الهوى طليقاً غدوي في يدي ورواحي  
أبيت قرير العين أنعم بالكرى مسائي ممسى غبطة وصباحي  
أزف فراخي هاتفاً لهاتفها وأرشفها من ماء (زمزم) راحي  
وأمن لا دهري يروع بظلمه ولا أهله يغشونني بسلاح

واختيار الشاعر لعالم غير العالم البشري تدلنا على عمق الغربة التي يعيشها الشاعر في عالم  
الإنسان، فقلوه (أبيت قرير العين)، (وأمن لادهري يروع بظلمه)، (ولا أهله يغشونني بسلاح) هي  
ألفاظ انبثقت من صميم وجدان الشاعر التي رأى أن ما حوله جعلوا الأجواء غير آمنة فلا أحد  
مستقر الضمير ورائق البال. وكما أننا لو نظرنا إلى البيت الثاني لوجدنا أنه يدلنا على أن الشاعر  
يبحث عن الحرية المفقودة في عالمه التي افتقدتها في عالمه الحقيقي. وثمة نقطة مهمة وهي أن هروب

الشاعر من عالم البشر إلى عالم الطبيعة لم يكن يناقض الإنسانية؛ لأنه في هذا التوجه كان يتلمس في الطبيعة الخيرية الإنسانية السامية التي لا يوجد فيها نزعات الشر والشقاء التي عمت العالم الإنساني، رغبة في الانعتاق من هذا العالم المادي إلى عالم يكتنزه الخير والجمال.

ومن المصادر التي استحضرها الشاعر من خلال الطبيعة المتحركة التي تحمل دلالة الخير هي الكلاب، التي نظر إليها الشاعر بتفضيلها على بعض الناس الذين افتقدت فيهم بعض الصفات التي يحملها هذا العنصر الطبيعي المتحرك<sup>(٦٦٥)</sup>:

الكلب أرغد عيشةً ممن ترى وأحب حالاً  
ألف المذلة فاستراح فلا شعور ولا ملالاً  
وتراه يدفع عن ذويه أذى المخاصم والنكالا  
خُصّ الوفاء به وثوباً في الطوارئ واحتمالا  
وأرى الكثير من الورى حُرّموا بنا هذي الخصالا

ولقد تبين مما سبق أن الشاعر فضل الكلب على بعض البشرية الذين يعيشون مفتقدين بعض الصفات الجليلة، فميز وخص الكلب بالراحة والعيش بلا شعور ولا ملال، والدفاع عن أهله من المعتدي والمخاصم، والوفاء في جميع الاحتمالات، ونزع هذه الصفات عن بعض الناس في إطار الموازنة، فكانت الصورة الفنية المستمدة صورة في واقعها تثير الشعور وتبعث إلى التحفيز؛ ولكنها مباشرة وتفتقد للإبداع والحيوية.

وأما صور الطبيعة المتحركة التي تدل على رمز الشر والشقاوة في البداية نجد عنصر الأفعى، الذي استحضرها الشاعر نتيجة ما يعانیه الشاعر من معاناة حقيقية يجدها في هذا الشخص الذي إن اتصف بهذا العنصر المتحرك، فهو شخص عدواني يقف أمام الإنسانية، ويحاول بقدر المستطاع

أن يهدم ويدمر،" فالأفعى تحولت في اللاشعور الجمعي إلى حائل منيع يقف بين الإنسان والخلود، أو بينه وبين التآلف المنشود مع الحياة، ولذا فقد أصبحت رمزاً لكل ما هو سلمي وعدواني<sup>(٦٦٦)</sup>.

ومن أمثلة الصورة التي استحضرتها الشاعر من الأفعى، ما نظمه الشاعر في الحرب الكونية الأولى تجاه القادة الذين كانوا سبباً حقيقياً في انفجار الحرب<sup>(٦٦٧)</sup>:

أفاعي رمالٍ حرّك الضغن شرّها      فشبّت كما شُبَّ اللظى تنفث السُّمّا

فالشاعر قام بوصف هؤلاء القادة بأفاعي الرمال التي حرك الضغن والحقد في نفوسهم الشر مما أدى إلى اشتعال الحرب، وهو وصف يدل على ما يحمله الشاعر من دلالة على عدم الرضا والسخط العميق تجاه هذه الفئة التي جلبت الدمار والهدم والشر والشقاء. والملاحظ أن الصورة الفنية التي أبدعها الشاعر تشكلت من مجموعة صور في تسلسل (درامي)، بما يتناسب مع الموقف الذي يحمل الصراع وما يحدث عنه من أثر متسلسل، بحيث بدأ فيه الشاعر بإظهار الفاعل (أفاعي رمال)، ثم بالسبب (حرك الضغن شرها)، ثم بالحدث ( فشبت كاللظى ..).

وهذه الصورة القبيحة التي لون الشاعر بها موصوفه، نجدها كذلك في صورة ذلك الواشي والمنافق الذي يحاول أن يدب الفرقة بين الزوجين ويبعث في نفوسهم الآلام، وهو وصف قبيح ويبعث على الشر ولا يقل عن السابق باختلاف الأعمال ودورها في الوقوف أما التقدم الإنساني الجيد:<sup>(٦٦٨)</sup>

دخلَ التُّعبانُ في ثوبِ حَمَلٍ قُدسَ الغابَةِ في ناييه سُم

والمنظر الآخر منظر الحيوان المفترس الذي استلهمه الشاعر كدلالة على الشر والعبث، وهي صورته استغل الشاعر فيها صفات الطبيعة المتحركة ليكشف من خلالها عن صورة هؤلاء الناس الذين يتصفون بصفات الدناءة واللؤم، ويبرز من خلالها عن مدى ما يحتفظه هؤلاء الفئة من سخط وحسرة وأسى.

---

(٦٦٦) ثناء أنس الوجود، رمز الأفعى في التراث العربي، ص96، مكتبة الشباب، 1984م.

(٦٦٧) الديوان، ص177

(٦٦٨) الديوان، ص110

وهذا الحيوان المفترس حدده الشاعر في الذئب والفهد، وذلك حينما رأى الشاعر ما قام به الفرنسيون من قتل وفتك وظلم في أبناء الأمة العربية<sup>(٦٦٩)</sup>:

ذئبُ السنينِ تزحفُ جائعاتٍ وتُسحقُ تحت أنيابِ الفُهودِ

فالم تأمل في البيت السابق يلحظ أن الشاعر استغل صفات هذه الطبيعة المتحركة، حينما أسبغ على صورته الفنية ما يقوم به هذا الحيوان المفترس وما يحمله من سمات خلقية تمكنه من القدرة على الفتك والقتل، بالإضافة إلى الحوافز التي تزيده من الإصرار على القيام بهذا العمل (الجوع)، وذلك بما يتطابق مع حجم العمل الذي قام به هؤلاء الناس من إجرام قادتهم على السحق والطمع والجرم.

ومن المصادر التي أمدت خيال الشاعر - أيضاً - الإنسان، وما يندرج تحته من صفات وأمر تتعلق به، والذي يهمننا في البداية ما يندرج تحت ظاهرتي التشخيص والتجسيم، التي ظهرت بشكل واضح في شعر الزركلي، فالتشخيص هو إبراز الشاعر الجمادات في صورة إنسان مستعيرة صفاء ومشاعره، والتجسيم لا يختلف عن السابق كثيراً، والذي يعني إبراز المعنويات في صورة إنسان مستعيرة قدراته وسماته.

وكثرة استعانة الزركلي بالتشخيص والتجسيم في صورته الفنية، هي دلالة مهمة على صلة الشاعر بطبيعته الخارجية ولاسيما طبيعة الإنسان والتصاقه بعالمه، كالروح للجسد، وعلى عمق شعوره الإنساني، وحساسيته المرهفة، فالتشخيص والتجسيم " تستمد قدراتها من سعة الشعور حيناً، أو من دقة الشعور حيناً آخر. فالشعور الواسع هو الذي يستوعب كل ما في الأرضيين والسموات من الأجسام والمعاني، فإذا هي حية كلها؛ لأنها جزء من تلك الحياة المستوعبة الشاملة، والشعور الدقيق هو الذي يتأثر بكل مؤثر، ويهتز لكل هامسة ولامسة، فيستبعد كل الاستبعاد أن تؤثر فيه الأشياء ذلك التأثير، وتوظفه تلك اليقظة وهي هامة جامدة، صفر من العاطفة، خلو من الإرادة"<sup>(٦٧٠)</sup>.

(٦٦٩) الديوان، ص291

(٦٧٠) العقاد، ابن الرومي حياته من شعره، ص305، دار الكتاب العربي، بيروت، ط7، 1968م.



وشعر الزركلي مليء بهذه النماذج، وأول ما يبدو لنا من ذلك الزمن عندما يجعله الشاعر ييسم ويرضى ويضحك ويلعب ويأبى ويعزز ويجلو وينهض ويطمئن، فالشاعر يجسم هذا العنصر المعنوي بصفات إنسانية يجعله كالإنسان متقلداً هذه الصفات، باعثاً في صورته الفنية روحاً إنسانية تضيء على الصورة نوعاً من الجمال.

ففي قصيدة (أمانى) <sup>(٦٧١)</sup> عندما يشن الشاعر حمله شعواء ضد الزعماء العرب الذين كانوا مصدرراً رئيسياً في ضياع الأوطان، يقول:

بَسَمَ الدهرُ لهم فأنخدعوا وتعاموا عن تصاريفِ الدهورِ

فالشاعر جعل الدهر ييتسم كالإنسان وكأن الدهر له فم ييتسم، مضيفاً على صورته الفنية استعارة مكنية مجازية عندما جسم الدهر إنساناً ييسم لهؤلاء القادة ويرضى عنهم فيمنحهم الزعامة والقيادة.

وكما هو الحال عند الأغنياء والموسرين، عندما يضيفي الشاعر صفة الرضى والقبول والعطاء والمنح على الزمن، وكأنه إنسان يرضى ويقبل لهم بتواجد المال بحوزتهم، وبمنحهم سعة العيش واتساق أمورهم <sup>(٦٧٢)</sup>:

رضي الدهرُ عنكم فحباكم سعة العيشِ واتساق الأمورِ

وقد يكون هذا التجسيم الذي منحه الشاعر، هو حالة شعورية لدى الشاعر وومضة تدور في ذاته يريد إيصالها للمتلقي، من خلال تلوين صورته الفنية عندما يجسم العنصر المعنوي ببعض صفات الإنسان. فيكون الشاعر باستخدام التجسيم - كما هو الحال في التشخيص - وسيلة للكشف عن انفعالاته وآلامه الداخلية وصراعه مع الإنسان. وما يؤكد ذلك عندما نرى الشاعر يعيش في غربة

---

(٦٧١) الديوان، ص301

(٦٧٢) الديوان، ص223

ذاتية، فيخاطب الزمن وكأن الزمن إنسان يلعب به وييدي له الهزل ويخفي الجد، فتظهر صورته الفنية ممزوجة ببعض الصفات الإنسانية التي تدل على تلك الحالة الشعورية والفكرة التي تدور في ذاته<sup>(٦٧٣)</sup>:

يا زماناً لم يزل يلعب بي أربي جدك بعد اللعب

وفي غضون الحرب الكونية الثانية نرى الشاعر يستخدم التشخيص، عندما يشخص الأرض إنسان متألماً متضرراً تشكو وتنتظر وترى، فتشكو هول ما تراه من التناحر والمخاصمة والأذى التي تحدث بين المتخاصمين في الحرب، وهي من هول ذلك لم تر من مصغ يسمع صوت شكاتها وآهاتها<sup>(٦٧٤)</sup>:

شكتْ هؤل مايجني الخصام من الأذى ولم تر من مصغٍ إلى صوت شاكيها

ويضيء الزركلي صورته ويزينها بجمال العناصر المستحدثة التي استحدثها الإنسان وكانت من نتاج يديه كالحقل والنفط والذرة والكهرباء والكرة وناطحات السحاب، ومن ذلك عندما يصور الشاعر ناطحات السحاب بأنها ملت وانتفضت من مجاورة الناس<sup>(٦٧٥)</sup>:

ملت مجاورة الأقوام فانتفضت وحاولت عن أثم الأرض إبعادا

فالشاعر أكسب ناطحات السحاب - وهي من العناصر المستحدثة - صفة الإنسان عندما يمل وينتفض ويحس، فجعلها عندما أحست بأثم الناس ملت مجاورتهم وانتفضت ومدت عنقها في الفلك الواسع.

وكذلك عندما يريد الشاعر أن يلون صورته الفنية بإحدى أدوات التشبيه، فإنه يستعين بإحدى العناصر المستحدثة التي لم تظهر إلا في عشرينيات القرن الميلادي، فنجدته يشبهه اللاجئ الملهوف المشرد بالكرة التي يجسها اللاعب في قدمه ثم يقذفها إلى جانب آخر<sup>(٦٧٦)</sup>:

---

(٦٧٣) الديوان، ص269

(٦٧٤) الديوان، ص147

(٦٧٥) الديوان، ص270

مُشردُّ كأنه أكرهٌ يجبسها اللاعبُ أو يقذفُ

وكما يقوم الزركلي باسترداد الشخصيات الإنسانية وتوظيفها التي تمثل غايات أدبية عديدة، وتعتبر قدوة حسنة، ففي توظيف الشخصيات الإنسانية " استمداد من معطيات تلك الشخصية، واستيحاء لما توحى به مواقفها الخالدة في ضمير الأمة، واستدعاء لرمزها بما يجسده ذلك الرمز من آفاق وأبعاد"<sup>(٦٧٧)</sup>.

والزركلي في توظيفه تلك الشخصية الإنسانية يستخدمها ليس لغرض تسجيلي في القصيدة، وإنما يسجلها لتؤدي دوراً مهماً في النص، وذلك من خلال استنهاض الحاضر أو المستقبل بما تحتويه هذه الشخصية من معطيات ومواقف جليلة تجسد المفارقة بين حاضر وماضي أو حاضر ومستقبل. ففي قصيدة (صقر قريش)<sup>(٦٧٨)</sup> نرى الشاعر يقوم باستحضار شخصية عبدالرحمن الداخل، ليجعلها وسيلة لاستنهاض رجال الأمة ورمزاً للأجيال وتذكرة وعبرة للمعتبرين، وذلك ليكونوا مثله في الطموح والتأميل والتمكين والإخلاص والعزة والإباء والإقدام:

نمَّ شامخاً في الثرى! جبارٌ أندلسٍ واصحب بروحك ميكالاً وجبرينا  
واترك زفاتك للأجيال تذكرةً وعبرةً للمطيفين المكبيننا  
فصيت حق المعالي فانتصفت لها من واتيها وحققت الأضانينا

وتأتي الألوان لتشكّل مصدراً مهماً في رسم الصورة الفنية عند الشاعر، فاللون له رونقه الخاص الذي يضيفه على الصورة، وليس الأمر مقصوراً على حقيقة اللون بما يضيفه على الصورة من جمال وحيوية بل يزيد في الدلالة على ما يحس به الشاعر<sup>(٦٧٩)</sup>، إذ نلاحظ أن بعض الألوان عند الزركلي

(٦٧٦) الديوان، ص335

(٦٧٧) د.أحمد محمد حنطور، بحث بعنوان " الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر بين التوظيف والتحرير"، ص414، محاضرات الموسم الثقافي في كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1420هـ.

(٦٧٨) الديوان، ص86

(٦٧٩) انظر د.علي علي صبح، البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، ص 226، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1416هـ - 1996م.

كانت معبرة عن نفسيته بما أوحاه لنا هذا اللون المستقطب، ليشكل الأحران باللون الذي يناسبه،  
وليشكل الأفراح باللون الذي يتطابق معه.

وأكثر ما يرد في شعر الزركلي اللون الأسود والأبيض؛ إذ يشكل لوناً بارزاً في صور الشاعر  
الفنية، فيلون به صوره ويضفي عليها جماليات اللون ليرسم عليها طابع التأثير، ففي وصف الشاعر لما  
أتى أبناء وطنه من ضرب بالقنابل من المستعمر الفرنسي، نجده يصف حالة المتخلفين برحاب الوطن  
بأنهم لا يعلمون أي سواد الليل هم أم في بياض النهار<sup>(٦٨٠)</sup>:

لا يعلمون أي سوادٍ دُجِنَةٍ هُم سُهْدٌ أم في بياضٍ نَهَارٍ

فاستقطاب الشاعر اللون هنا دلالة عن مدى الأثر والوقع الذي لحق بهم، فالسواد والبياض  
أصبحا كلاهما سواء في القيمة من شدة هول الموقف الذي يحيطهم، وهذا الاستقطاب أضفى على  
الصورة طابع التأثير في المتلقي، وأسبغ عليها جماليات اللون الموحية.

ويأتي اللون الأسود والأبيض لدلالة على الحزن والفرح والسعادة والشقاء عند الشاعر، فعندما  
يصف الليالي سوداً وبيضاً فهي دلالة على أن الليالي عندما تحمل الفرح والسعادة يكون البياض،  
وعندما تحمل الحزن والشقاء يكون السواد<sup>(٦٨١)</sup>:

الليالي تمرُّ سُوْدًا وبييضاً تتوارى نجومها وتُطلُّ

---

(٦٨٠) الديوان، ص210

(٦٨١) الديوان، ص267

## 2- أنماط الصورة :

### 1- الصورة الجزئية :

الصورة الجزئية هي صورة بسيطة تظهر في حالة واحدة في مشهد واحد، مكونة من شعور واحد، لا تتجاوز البيت أو البيتين مستلهمة بأحد ألوان البيان المختلفة. وهي تتميز بالتكثيف، وتجاوز الزوائد، وأهمية لا تقل عن أنماط الصور الفنية المختلفة، "فهي في الشعر كالألوان والخطوط في الرسم لها ماديتها وكثافتها ووضعها الخاص في مجموع العمل الأدبي"<sup>(٦٨٢)</sup>، لما تتمتع به من قيمة جيدة ومؤثرة تساعد بشكل أساسي في رسم أنماط الصور الفنية الأخرى.

والصورة الجزئية تأخذ عند الشاعر طابع الاهتمام عندما يختار لها الصورة المناسبة التي تتناسب مع الحالة الداخلية التي يريد بها تجاه المواقف الإنسانية المختلفة، وهو بذلك يؤكد على منزع الاتجاه الإنساني بداخله، فعندما نشبت الحرب الكونية الأولى نجد الشاعر يختار الصورة المناسبة التي تتناسب مع هول الموقف<sup>(٦٨٣)</sup>:

أرى الكونَ أمسى وهو أقتمُ فاحم كأنّ عليه منه أغشيَّةٌ دهما

ففي البيت السابق يصور الشاعر الحرب وتأثيرها بالكون وهو أقتم فاحم كأن عليه الأغشية الدهماء التي تحجب الرؤية والمسير في الحياة، وهذا التصوير التشاؤمي السوداوي أتى به الشاعر بما يتناسب مع الحرب وما تحدته من حوادث مدمرة تجلب القتم والسواد.

وهذه النظرة السلبية التي ينظر إليها الشاعر من زاوية عدم الرضاء والسواد، هي نظرة تشكل كل ما يضر بالإنسان سواء أكان حرباً على مستوى كبير بين الإنسان والآخر البعيد، أو على مستوى صغير بين الإنسان وأخيه القريب، لذا نرى الشاعر يعمد في صورته الفنية إلى تلوينها بنفس اللون

---

(٦٨٢) د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص416

(٦٨٣) الديوان، ص177

السابق عندما يصور أهل الجزيرة العربية بتناحرهم وتفرقهم بأنهم يسرون في درب العمى في ظلام  
حالك<sup>(٦٨٤)</sup>:

لهفي على أهل الجزيرة في الشَّهول وفي الخُزوم  
يتخبطون من العَمَاية في دُجى حلكٍ بهيم

وأما عندما يختلف الموقف من دمار إلى بناء فإن الصورة تختلف عما سبق، فلتون الصورة بجمال  
مكانتها بما يتناسب مع مقامها وكيانها، ففي تصوير الشاعر إلى عظم مكانة المرأة في المجتمع، نجد  
يشبهها بالكوكب اللامع الذي يجلو الغسق بالسناء والنور<sup>(٦٨٥)</sup>:

أنتِ سرُّ الكوكبِ اللامعِ تجلين الغسقَ بالسناء

وتذهب الصورة الجزئية الاستعارية عند الزركلي لتكشف لنا مدى تأثيرها في أداء المعنى، فتظهر  
مدى الألم الذي يضمه الشاعر بداخله من العالم الإنساني، وذلك لما تحمله الصورة الجزئية من أهمية  
قصوى في البناء الفني للقصيدة، إذ هي تعد لبنة جوهرية يحكم بالنبوغ للشاعر إذا أجادها، وأحسن  
استغلالها<sup>(٦٨٦)</sup>، وبالأخص عندما يختص الوضع بأمر عكسي ضد الإنسان، فإن ذلك يظهر لنا مدى  
الألم والحسرة التي تدور بداخله، وبإمكاننا رؤية ذلك عندما يبدي الشاعر العزة والأنفة والكبرياء  
المحمود مصطحباً معها التعطاف الإنساني، باعثاً في صورته الحياة والحركة؛ إذ ذلك يؤكد على إبراز  
أحاسيسه وانفعالاته، ويحمل تبعاً لذلك التأثير في المتلقي في إثارة دواخله وتحريك أحاسيسه وإبداء  
تعاطفه<sup>(٦٨٧)</sup>:

لولا مخافة شامتٍ يقظ الأذى لبيكيتُ حتى تبكي الأيام

---

(٦٨٤) الديوان، ص 79

(٦٨٥) الديوان، ص 121

(٦٨٦) انظر د. مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، ص 124، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

(٦٨٧) الديوان، ص 241

والصورة التشبيهية التي تعد أداة تصويرية فاعلة يستعملها الشاعر في التعبير عن حالات عديدة من الانفعالات والرؤى والمواقف التي تشكل محوراً مهماً لديه، والوطن وما أصابه من أهم المنعطفات التي تشكل أمراً مهماً لدى الشاعر، ففي غربته عنه وحنينه إليه يصور الشاعر حال الوطن البائس الذي كان سبب دفعه إلى النزوح عنه وتركه، في عدة صور تشبيهية تكشف لنا عن دلالات نفسية عميقة توحى بمدى حجم الألم<sup>(٦٨٨)</sup>:

كالسجنِ إلا أن ذلك ضجعةٌ كالقبرِ إلا أن ذلك أوسعُ  
كالأسِّ إلا أن ذلك راحةٌ كالموتِ إلا أن ذلك أجمعُ

فتشبيه الشاعر الوطن بأنه أعظم من السجن والقبر واليأس والموت في تكرار متتالٍ يدل دلالة مؤكدة على ما كان يخترنه الشاعر في داخله من السخط تجاه الوطن وحاله الذي لايسر ولا يطمئن الحال، فالصورة التشبيهية زادت المعنى وضوحاً وأكسبته تأكيداً<sup>(٦٨٩)</sup>.

وتظهر في الصورة الجزئية عدة أنماط بلاغية أخرى كالجهاز المرسل، ونرى ذلك عندما قام الشاعر بالتطرق إلى قضية (الفقير) في إحدى قصائده، فيقول لإحدى العائلات الفقيرة بعد أن أقامة جمعية النداء الخيري مجمع للفقراء والمساكين<sup>(٦٩٠)</sup>:

وقلتُ: إليّ والدنيا بخيرٍ لقد سمعتُ دُعاءكما السماءُ

فالجهاز المرسل في البيت السابق (سمعت دُعاءكما السماء) إذ استخدم الشاعر اللفظ الدال على المحل في سياق يتطلب الحال، فلفظ (السماء) أطلق على المحل، وأريد به الحال وهو الرب سبحانه وتعالى، فكلمة السماء مجاز مرسل علاقته محلية. وباستخدام الشاعر المجاز أضفى على الصورة طابعاً تجميلاً ودوافع أخرى.

---

(٦٨٨) الديوان، ص140

(٦٨٩) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص243

(٦٩٠) الديوان، ص38

وكما نرى ذلك أيضاً عندما تحدث الشاعر عن فئة من الناس نزحت عن بلادها لأسباب متعددة، فأصبحوا في نفق من الجوع والظلم والعري، فأثار في نفس الشاعر ما أصابهم<sup>(٦٩١)</sup>:

شقَّ على التوراة ما نابهم وغضب الإنجيلُ والمصحفُ

فكأن الشاعر يريد أن يقول شق على أهل التوراة وأغضب أهل الإنجيل والمصحف ما أصاب هؤلاء اللاجئين، فاختصر وعمل الفعل في المصحف والإنجيل والتوراة كما كان عاملاً في الأهل لو كان محلها.

والصورة الجزئية قلما نجدتها تستقل بذاتها وإنما كانت طريقاً ممهداً لتشكيل الصورة الكلية عند الشاعر، الذي كان الشاعر - في الغالب - يبني صورته من خلال مجموعة من الصور الجزئية المتوالية، وعليه فكل واحدة منها تضيف لبنة من لبنات الصورة الكلية، وبهذا تتكامل الصورة الكلية ويزداد تأثيرها.

فمثلاً لو نظرنا إلى وصف الشاعر حالة أبناء الوطن في قصيدة (مابال ساري)<sup>(٦٩٢)</sup> عندما ثاروا على العداة والبغاة، فإننا سوف نراه يستعمل عدة صور جزئية رائعة ساعدة في إضفاء تشكيل جمالي وإبداعي مميز في اكتمال الصورة الكلية، ومن ذلك:

طاروا إلى قُضْبِ طالوا الرؤوس بما كالشيب لاح له في الهام توشيعُ  
ذاذوا العُداة بأسيافٍ مُحْدبةٍ غرارها بشعار الحق مطبوع

فالصورة الفنية الجزئية عند الزركلي - بشكل عام - ترسم صورة متكاملة عن الحدث من خلال الواقع بكافة تفاصيله، فتبدي مجموعة من الصور التي تتعاضد فيما بينها وترسم الخطوط الصغيرة في الصورة، وتقوم بإنشاء الصورة البلاغية التي تتوزع في القصيدة، حتى تظهر نتيجة ذلك كله في رسم إطار شامل.

---

(٦٩١) الديوان، ص336

(٦٩٢) الديوان، ص128



## 2- الصورة الكلية :

الصورة الكلية لها أثرها الجيد في بناء النص الشعري، وهي أهم نماذج الصورة الشعرية، وذلك لأن القصيدة التي لا تحتوي على هذا النموذج فإنها تكون ناقصة أو تعاني من خللٍ ما<sup>(٦٩٣)</sup>.. والمقصود بها أن تتبع الصورة من الصورة، وتترابط بينها ترابطاً وثيقاً يعين على توضيح الغرض وتعميقه، وقد تتشكل الصورة الكلية من مجموعة صور جزئية، تجتمع أجزاءؤها، وتتلاءم عناصرها لتشكيل صورة كلية<sup>(٦٩٤)</sup>.

وعند التأمل في شعر الزركلي نلاحظ ما تقوم به الصورة الكلية من جمع حافل بالصور الجزئية، ومن أثر كبير في التعبير عن الاتجاهات الإنسانية المتعددة، وما تقوم به من تأثير في المتلقي، وعن استشفاف ما تعبر به من أحاسيس داخلية، تتعاضد الأجزاء والأشكال فيها حتى ترسم لنا إطاراً شاملاً يعبر عن العالم الإنساني أجمل تعبير في كافة أشكاله وأنماطه. ولعلنا نتناول الصورة الكلية من خلال عدة مظاهر يبين عنها شعره، لتظهر لنا حجم أهميتها في شعره.

ومن أهم مظاهر الصورة الكلية التقابل، وذلك بأن تتكون الصورة من مجموعة من الصور المتقابلة وتتعاقد فيما بينها لتشكيل صورة كلية، أو يركب الشاعر صورة كلية، ثم يأتي بصورة كلية أخرى مضادة ومقابلة لها، وهذا التقابل هو صورة للحياة الإنسانية التي تمثل المفارقات الموجودة فيها، وإحساس الزركلي الحي للعالم الإنساني ونظرته الدافقة جعلاه يستوحي التقابل في صوره الفنية، فمن خلال اختلاف طرفي التقابل تتولد دلالة جديدة تعبر عن تجربة الشاعر ونظرته الخاصة تجاه الحياة والكون.

وكما تشف هذه الصورة عن مدى الأثر الكبير الذي ينطوي في نفس الشاعر؛ لأن في هذا التقابل أبعاداً نفسية عميقة تعمق أحاسيس الشاعر بحجم معاناته، وتنقل أحاسيسه تلك إلى

---

(٦٩٣) سلمان علوان العبيدي، البناء الفني في القصيدة الجديدة، ص 93، عالم الكتب الحديث، إربد - عمان، 2011م.

(٦٩٤) انظر البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، ص195

المتلقي<sup>(٦٩٥)</sup>، وذلك لأن المتقابلات التي يقابل بينها الشاعر تشكل لحظة حاسمة في إطار العالم الإنساني وواجهة حقيقية تفصل الخير عن الشر والجميل عن القبيح، فتقوم هذه المقابلة بإثارة مشاعره، وتعميق إحساسه، وزرع الأثر عند المتلقي، فالصورة الكلية بشكل عام تسهم في إثارة العواطف عند المتلقي..<sup>(٦٩٦)</sup>.

والمتقابلات في شعر الزركلي كثيرة، وأول التقابلات التي تشكل جوهر حقيقي في سعادة الإنسان وبؤسه هي الحرب والسلام، إذ يقول الشاعر عنها في قصيدة (هي الحرب)<sup>(٦٩٧)</sup>:

وما الحربُ إلا الويلُ يجنيه رُهبًا ويهدمُ أركانَ البلادِ بها عدما  
وكائنُ ترى من شاهقٍ ذي ذرىً علت جوانبهُ قد غادرته الوغى رسما  
ومعهد علمٍ حافلٍ برجاله هوى مُطمئناً بعد أن طاولَ النجما  
هي الحربُ كانت للدمار ولم تزل مثار خطوبٍ تبعثُ الضنك والعُدما  
سلامٌ على قصرِ السلامِ وآله سلامٌ على من شيدوا ذلك الفخما  
رجالٌ بنوه يتغنون به الهُدى وأعظمُ بهم ناساً وأكرمُ بهم قوماً  
ويا ليتني بالقرب منته أجهله وأجثمُ إعظاماً لأحجاره جثماً

تشكل أبيات القصيدة السابقة صورة كلية مكونة من صور جزئية تنبعث منها أحاسيس الألم، وتشع فيها تقاليد الأوجاع والأسقام، وتمثل الصورة الكلية في منظرين متقابلين أولها الحرب التي تعبر عن الشر وثانيها السلام الذي يعبر عن الخير، فالشاعر قام بوسم الحرب بالويل والدمار ومثار الخطوب التي تبعث الضنك والعدم، وذلك لما تشكله من هواجس مدمرة في ذاته وشرور وفي أرض الواقع، وبينما في الصورة الأخرى قام بوسمها بالقصر العامر الذي يتمنى لو كان بجانبه ليحمله ويحتم إعظاماً وإكراماً له؛ وذلك لما يحققه من جمال يبعث الخير والسعادة في الحياة.

(٦٩٥) انظر لغة الشعر في الشعر العربي، ص151

(٦٩٦) أرشيبالد مكليش، الشعر والتجربة، ت. سلمى خضراء الجيوسي، ص 81، دار اليقظة العربية، بيروت، 1963م.

(٦٩٧) الديوان، ص177

ومن خلال المقابلة السالفة نلاحظ تأثير الصورة وجمالها، فالمقابلة "تبرز فداحة المفارقة، ويتجاوز إبحاؤها في كل من الطرفين مدى ما كان يستطيع أن يصل إليه كل طرف منفرداً؛ لأن كلا الطرفين في المفارقة يلقي بظلاله على الآخر، فيبرز ملامحه ويزيدها وضوحاً وجلاءً، ومن خلال التفاعل بين الطرفين تغني إبحاءات القصيدة، ويعمق عطاؤها"<sup>(٦٩٨)</sup>.

وكما نرى في قصيدة (فلسطين)<sup>(٦٩٩)</sup> صورة تقابلية أخرى أتت في لحظة من اللحظات الشعرية التي سيطرت على فكر الشاعر ومشاعره، فأسهمت إسهاماً مباشراً في الإيضاح وشد الانتباه لدى المتلقي وإثارة عواطفه وأحاسيسه، وذلك حينما نرى الشاعر يقابل بين الأمة العربية وبين حليفها الغربي من لجان تحقيق وغيرها:

يا أمةً وثقت بعهد حليفها فرمى بها بين الثيوب ووثوقها  
زمت إليه ركابها فخيولها بالأمس مائة القفار ونوقها  
ومشت تشد ذراعاه بذراعها ويشوقه خوض الوغى ويشوقها  
ناطت به أمالها حتى انتشى ظفراً فصارحها العدا صديقها  
أمسى وأمست همها أن تتقي طوق الهوان وهمه تطويقها  
وسعت ويسعى دأبها توحيدها بعد الشتات ودأبه تفريقها  
ما أنت أول مُستضيءٍ باللظى عطفت عليه فراح وهو حريقها

فالصورة التقابلية السابقة نجدتها قامت على عدة صور جزئية تعاضدت فيما بينها حتى شكلت صورة كلية تامة، انبعثت منها أحاسيس الشاعر المتألمة والحزينة، حيث قامت على جانبيين متقابلين، الأول منها هو الأمة العربية التي ظلمت، والثاني الحليف الغربي الذي ظلم.

---

(٦٩٨) بناء القصيدة العربية الحديثة، ص 136

(٦٩٩) الديوان، ص 236

ومن الدلالات المتقابلة التي تتشكل في إطار متتالٍ ومباشرٍ وتتجلى بوضوح، حينما يقوم الشاعر برسم عدة متقابلات في صورته الفنية، ولذلك لتدلنا على أبعاد مختلفة في الشخصية الإنسانية التي تتمثل في الحاكم، لتبدي لنا إحساس الشاعر المرير تجاه ما يقوم به الحكام<sup>(٧٠٠)</sup>:

الغافلِ اليقظِ الحريدِ ص الباذلِ العاقبِ الرحيمِ  
المدرِّه العتبيِّ العصبيِّ الطيِّعِ الشرسِ الحليمِ  
الصَّادِقِ الظَّنِّ الصَّحِّيحِ الفاسِدِ الرَّأيِ السَّقِيمِ  
الطَّيِّبِ النَّفسِ الأنيِسِ السَّيِّئِ الخُلُقِ السَّؤْمِومِ

فالصورة السابقة التي يصور فيها الشاعر صفات الملك الحسين بن علي، لم نجدتها تكونت من صورة كلية إلى آخرها، ولا بصورة جزئية تقابل أخرى، بل تكونت من مجموعة صور جزئية تضافرت في مجموعها لتساعد في إبراز الصورة الكلية، ولتتكون في محتواها لتبدي صورة رائعة في الإبانة عن صفات ذلك النموذج.

وفي صور الزركلي التقابلية نراه أيضاً عندما يقابل بين الإنسان والطبيعة، وذلك بتفضيله لعناصر الطبيعة في أكثر من موضع، وقد مرت بنا نماذج عدة تتكون منها صورة كلية، كثنائية الإنسان والكلب، وثنائية الإنسان وناطحات السحاب<sup>(٧٠١)</sup>.

ومن مظاهر بناء الصورة الكلية التوليد؛ ويقصد به أن تتوالد وتنمو الصورة الكلية من خلال عدة صور جزئية، فيأتي كل جزء منها لبنة من لبنات الصورة الكلية" تضامت أجزاءها، وتلاءمت عناصرها في أقوى رباط، يشد ما تتطلبه الصورة من خواطر ومشاعر وعواطف، وتناهى بعيداً عن الغريب عنها"<sup>(٧٠٢)</sup>. وسميت توليدية لأن كل صورة في القصيدة تعمل على تولد صورة أخرى منها.

---

(٧٠٠) الديوان، ص 77

(٧٠١) انظر مصادر الصورة الفنية في هذا الباب، ص 225-243

(٧٠٢) انظر البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، ص 195

وهذا النوع من الصورة الفنية يكثر في شعر الزركلي، ويبدو ذلك بارزاً في عدة قصائد متفرقة،  
ومن تلك القصائد التي تتكامل بالتوليد ما نراه في أبيات قصيدة (اللاجئ) <sup>(٧٠٣)</sup> إذ يقول الشاعر  
فيها:

دُموعٌ مَنْ ، تلك التي تُذرفُ؟ وقلبٌ من ، هذا الذي يُوجفُ ؟  
إن كان إنساناً فهلاً صغى إليه مَنْ يرحمُ أو يرأفُ  
أم ليس في الناس لمستنصف من ناصرٍ يعطفُ أو ينصفُ  
جرّده من بأسه غـادراً وسامه الدّلة مُستضعفُ  
ألقت به الأيام في هـوّةٍ أيسرُ ما يُلقى بها المتلفُ  
يصارعُ الحدّثانَ جياشَةً كأنها في فيلقٍ تزحفُ  
إن رد منها مُوجفاً خطبهُ عاجله من خطبها مُوجفُ

تكشف الأبيات السابقة عن صورة توليدية تكاتفت أجزاءها حتى أبدت لنا صورة كلية مكتملة  
الأجزاء، إذ نرى الشاعر بدأ أبياته بالاستفهام عن هذا الإنسان اللاجئ التي تذرف دموعه ويتوجف  
قلبه، وبعدها يستمر في الحديث عن هذا الإنسان البائس بإظهار استحقاقه للرحمة والتعاطف  
وأسباب ألمه وبؤسه في عدة صور جزئية توالدت عن بعضها البعض حتى ظهرت لنا التجربة الشعرية  
في صورة كلية عبرت عن ما يريد الشاعر أجمل تعبير.

وكثيراً ما تأتي الصورة النامية عندما يثير الشاعر موقفاً أو حادثة إنسانية يحدث فيها القتل والظلم  
والتنكيل والتعذيب، فالشاعر عندما يريد أن يعبر عن تلك الحادثة وذلك الموقف تسيطر عليه حالة  
نفسية واحدة وشعور إنساني محدد، فتأتي صورته متوالدة عن بعضها البعض، وفي اعتقادي أن ذلك  
يعبر عن صدق الشعور الذي يحمل الشاعر بداخله تجاه ما يعبر عنه، فتتوالد الصور عن بعضها  
لتشكل لنا صورة كلية، كما يأتي الشعور الصادق فرادى حتى يتكون إلى مجموع عند انتاج الصورة  
الفنية.

والنماذج التي تندرج تحت ذلك كثيرة، تبعاً لكثرة المواقف الإنسانية التي تطرق لها الشاعر، ولنأخذ مثلاً ما قاله الشاعر في دولة فلسطين الجريحة وما أصابها من ويلات اغتصاب وانتهاك<sup>(٧٠٤)</sup>:

المسجد الأقصى المبارك حوله نظرات همّ مُوجع تحديقها  
لم تستكن النفوس وإنما سُدت عليها في الحياة طريقها  
ضاقت سجون الأبرياء بأهلها والظلمُ يأبى أن يُفرج ضيقها  
وتمدّد الجرحى ، بساطهم الثرى وعلى ثغورهم المنى وبروقها  
ومضى بأرواحٍ إلى خَلّاقها حادٍ من الخُلُق الأبي يسوقها

فالمتبع لأجزاء الصورة الكلية في هذه الأبيات يلحظ أن الشاعر قام في بداية الصورة بالحديث عن المسجد الأقصى الذي هو مناط القضية والحديث، وبعدها انطلقت الصورة الجزئية لتقوم كل جزئية فيها بتكميل الجزء السابق لها بحسب ما اقتضاه الموقف الذي يعبر عنه الشاعر، وذلك الاستقطاب لعدد من الصور ساعد بشكل أساسي في نمو الفكرة وإيضاحها. كما يلحظ أن الصورة النامية أسهمت في الكشف عن ما يحس به الشاعر من أحاسيس ومشاعر إنسانية تجاه الأناش المظلومين والمضطهدين وذلك بتصوير حالهم وواقعهم السيء.

وتأتي الصورة النامية لتشكّل لنا رؤية الشاعر الداخلية تجاه ما يؤمله في الحياة، فنجدّه يسبح بنا في خياله الخصب في عالم السلام والأمان والجمال، لتظهر لنا صورة رائعة حول تلك الحياة الهائلة المطمئنة<sup>(٧٠٥)</sup>:

ما أجمل الدنيا وقد عمرت بالحسن وازدهرت معالمها  
الطير يصدح في خمائلها والطيبُ تنثره نسائمها  
والبُرُّ تُنبته مــــرابعها والتبرُّ تكنزه مناجمها  
حتى إذا الإنسان عاث بها غلبت مظالمه مظالمها

---

(٧٠٤) الديوان، ص235

(٧٠٥) الديوان، ص144

فإذا مسالكها مهالكها وإذا مغانمها مغارمها  
وإذا مجامعها مفاجعها وإذا مناعمها مآتمها

فالصورة النامية في المقطع السابق عكست ما بداخل الشاعر من آمال وآلام تحمل صدق حبه للحياة المترعة بالنعيم المقيم والأمان والسلام التام، فو يحلم بأن يرى الحياة قد عمرها الحسن وازدهر في معالمها، والطير يصدح في خمائلها، والطيب تنثره نسائمها .. حتى إن الإنسان لو أراد الظلم رد منقلباً على أعقابها فإذا مآتمه مناعم ومغارمه مغانم ومهالكه مسالك ومفاجعه مجامع، وذلك الإحساس الإنساني الجميل عند الشاعر جسدهته الصورة النامية فأضفت عليه رونق وبهاء ومزيداً من التألق والبيان.

ومن مظاهر الصورة الكلية التي أسهمت في البناء الفني للصورة الفنية الدراما أو القصة، التي لها أثر مهم في بناء الصورة الكلية، والتي تحتاج في سكبها إلى جانب من الفكر والتنظيم، وقدرة على التخيل وطول نفس، وفيض من المشاعر التي تستتقي تجاربها من الذات والمجتمع، والشاعر حين يستخدم الأسلوب القصصي تتأني في الصورة المشاعر والأحاسيس، وتكشف عن جوانب نفسية تحملها نفسيته الداخلية، وعن جانب أو قضية مهمة من جوانب الحياة الإنسانية.

وقد ظهرت هذه الصورة عند الزركلي في عدد من قصائده يناقش فيها عدة موضوعات مختلفة تلامس الحياة الإنسانية عن قرب في أدق التفاصيل؛ رسم فيها الشاعر مشهداً متحركاً في شكل قصصي أو حوار درامي أبانت عن أحاسيس ومشاعر إنسانية بداخل الشاعر.

ومن هذه النماذج قصيدة (قصة) <sup>(٧٠٦)</sup> إذ يتطرق الشاعر فيها إلى قضية الوشاية والنفاق التي تحدث وتدب بين الأزواج، مستوحياً فيها جمع أجزاء العمل الشعري؛ من صورة جزئية، وحوار، وصراع؛ مما جعل القصيدة تؤثر تأثيراً عميقاً على المتلقي، وتحمل فيها نفس الشاعر الصادقة، إذ يقول فيها:

بدماء الروح أفدي منزلاً كان كالغابة قدساً وحمى  
دوحة مؤرقة ما ظللاً فيؤها إلا موحياً أو فما  
دخل الثعبان في ثوب حمل قُدس الغابة في نايه سُم  
صارخ الفتنة بالبيت نزل وعن الصارخ أهل البيت صُم  
صوّر الزوج عريقاً في المجون كلما فاز بخدّ قبلا  
وأرى الزوجة أن سوف يكون نكد الدر لها مستقبلا  
دبت النفرة في بيت النعيم فشكوك وظنون فازورار  
أقسمت "أم نوال" لن تقيم ويدها في رماد فوق نار  
وثب الذاهل يغلي ويفور أي صبرٍ بعد هذا استطاع  
حطم الهاتف والخُر غيور وأراها الباب والعقل مصاغ  
هدأت عاصفة العاني فراح وله في كل قلبين رقيب  
وإذا بالسر يبدو كالصباح وأنجلي ما ستر اليوم العصيب

فالمقطع السابق الذي يعد جزءاً من كل، استطاع الشاعر من خلاله أن يصور الموقف الدرامي

على شكل قصة جسد من خلالها الموقف الإنساني وهو البيت الأسري الذي من خلاله يبني المجتمع، والروح الانفعالية من الواشي وكيفية إقناعه للزوجة بأن زوجها غارق في المجون، وأنه سوف يكون نكد الحياة لها في المستقبل، ورمز لهذا الواشي بالثعبان للدلالة على ما يدسه مما لا يرى من الشر والخبث، كما اعتمد في صوره على الناحية الحوارية ليكشف عن أبعاد المشكلة وعن المواقف المفصلية التي تحصل بين الزوجين حين تدب المشكلة، والتي كشفت لنا عن الصراع النفسي الداخلي الذي يدور في ذات الزوجين، وتلك هي مواءمة بين فن الشعر وفن القصة "فالمواءمة بين آليات الشعر وآليات القصة يعطي العمل مزيداً من الثراء الخصب ربما يجعله أكثر قيمة من الشعر



والقص "٧٠٧". كما يلحظ اكتناز الصورة القصصية بعدة صور جزئية أضفت على مجمل القصيدة جمالية تعزز الجانب التأثيري لدى المتلقي، وتظهر الموقف النفسي لدى الشاعر، وساعدت في اكتمال أجزاء العمل الشعري حتى كونت صورة كلية.

وفي قصيدة (البائسة) (٧٠٨) فإننا نرى المشهد الدرامي يتصاعد ليصور به الشاعر موقفاً إنسانياً رائعاً، بدأه الشاعر بعاطفة جياشة وروح خفاقة لمن عضه الأسى من البشر، عندما يتحدث الشاعر عن تلك المرأة البائسة التي أطبق عليها الألم أنيابه فكانت ضحية من ضمن ضحايا الحرب الكونية عندما فقدت زوجها وخلفها مع صغيرين في مراتع الألم والجوع والفقر:

بكت فاستلهمت بالمدامع مقلتي وهمت بنطقٍ وهي بالدمع تشرقُ  
ترفتُ بالتسأل عما أصابها وقد هاج شجوي دمعها المترقُ  
فقصت أحاديث الآسى ولسانها بشكوى لياليها الأليمة أذلق  
قضى زوجها نجباً وخلف حولها وليدين في مغناهما الخيرُ مغدقُ  
تصدى لها من سامها السوء باذلاً لها مستجاد النقش يزهو ويبرق  
دعاها لتعداد الدراهم عله يُضيف إليها ضعفها وهو مشفق  
وشاغلها حتى توارى وأقبلت تصيح به: أين انطلقت؟ وترمقُ  
ولكنه ولى ، وخلى سبيلها ، والويل كالليل مطبق

وهكذا يتوالد المشهد الدرامي ويزداد المشهد توهجاً عندما صور الشاعر الحدث المبني على الصراع الداخلي والخارجي، الداخلي يتمثل في مشاعرها المتضاربة والمتألمة التائهة مع الحياة، والخارجي حوار المرأة مع الشاعر وحوار المرأة مع الجاني، وكلاهما مشاهد درامية مثيرة، وساوس وألم من الداخل، ورعب وختل من الخارج. ويستمر الشاعر ليختتم لنا هذا المشهد الدرامي بعاطفة إنسانية

---

(٧٠٧) د. أحمد يوسف خليفة، البنية الدرامية في شعر إيليا أبي ماضي، ص 39، دار الوفاء، الإسكندرية، ط 1، 2004م.

(٧٠٨) الديوان، ص149

ملیئة بمفردات الحسرة والألم وعدم الرضا دلالة على انخيازه نحو هذه البائسة، لیسدل الستار على تلك الصورة الدرامية التي اكتسبت طابع التأثير والجمال:

فيا ربّ ما أقسى القلوب التي أرى وكم من قرير العين بالنّوح أخلقُ  
أحفنّ على الذاتِ والصفوِ ينطوي وحفنّ بأطرافِ السماءِ مُعلّقُ  
أما راحمٌ للناسِ يرثي لمُعَدمٍ تحيّر في أيامه كيف يُرزقُ  
مخوفٍ جُمودِ العينِ طاوٍ على الضنّى دقيقٍ شوى الجُثمانِ يوشكُ يُرهقُ

فالمظهر الدرامي أو القصصي السابق كان وسيلة قوية في اكتمال الصورة الفنية الكلية، ووسيلة لإبراز المعنى وتكثيف للحدث الدرامي والكشف عن المشاعر والأحاسيس، وإضافة متعة وتشويق ووحدة شعورية في الصورة الفنية للقصيدة.

ومعظم القضايا الإنسانية تكتمل على شكل درامي عند الزركلي فينظمها على شكل قصة هي قضايا المجتمع، فيصور ما يشاهده أو يسمع به في المجتمع الإنساني، إذ هو يملك مقدرة إبداعية في رسم صور ذات طابع قصصي تساق بروح المصور، وروح الإنسان الذي لا يعيش لمفرده وإنما يعيش وسط مجتمعه، وبين أناس يحمل همومهم ويكشف عن مشاكلهم في تفاعل إنساني مشترك، إذ نرى مثلاً قصيدة (مشقياها ومسعداها) <sup>(٧٠٩)</sup> والتي يتطرق لها الشاعر مستوحياً فيها جميع أجزاء العمل الأدبي، متحدثاً عن قسوة وظلم الأب والزوج على المرأة، وبعض القضايا الاجتماعية الأخرى كقضية الأيتام في قصيدة (مجمع الأيتام) <sup>(٧١٠)</sup>، وقضية عدم التكافؤ بين المحبين في قصيدة (مجدولين والشاعر) <sup>(٧١١)</sup>، وقضية زواج الفتاة الصغيرة من الشيخ الكبير في قصيدة (هدية الشمس) <sup>(٧١٢)</sup>.

---

(٧٠٩) الديوان، ص185

(٧١٠) الديوان، ص181

(٧١١) الديوان، ص359

(٧١٢) الديوان، ص119

## المبحث الثالث: المعجم الشعري

اللغة لها أهمية كبرى في دراسة العمل الشعري لما تسهم به من نصيب وافر في الكشف عن أمور عدة في نمط البناء العام للقصيدة، فهي القادرة على إظهار الجمال والروعة والتأثير في القصيدة " فإن معظم ما في القصيدة من جمال ومعنى وفاعلية لا يقيم إلا هناك في لغتها الشعرية، ففي هذه اللغة وعبر بنائها الجليل الأسر يمكن العثور على جمر الروح وأحجار الدلالة الساطعة"<sup>(٧١٣)</sup>.

وهي الوسيلة التي يعبر بها الشاعر عن مشاعره، ويقرر فيها أفكاره، ويحدد موقفه الذاتية من الحياة، ويرسل انفعالاته إلى المتلقي، فهي " تعبير عن الأهداف السامية التي يدور في فلكها العقل البشري متأملاً حقائق الكون أو متطلعاً إلى اكتناه أسراره أو معبراً عن علاقات جمالية ونفسية دقيقة"<sup>(٧١٤)</sup>.

وهي المادة التي تحتل مكانة كبرى في قراءة النص الشعري، لأنها "الأداة الأساسية للشاعر- وللأديب عموماً - أو لنقل إنها المادة الأولى التي يشكل منها وبها بناء الشعري بكل وسائل التشكيل الشعري المعروفة؛ أي أنها الأداة الأم التي تخرج كل الأدوات الشعرية الأخرى من تحت عباؤها، وتمارس دورها في إطارها"<sup>(٧١٥)</sup>.

واللغة الشعرية مجموعة ألفاظ اختيارية ينتقيها الشاعر ليؤدي بها غرضه المراد، وكلمة (اختيارية) تعني أن هناك ألفاظاً تناسب الشعر وألفاظاً لا تناسب الشعر، "فاللغة الشعرية تتمتع بذات خاصة وكيان مستقل كالأشياء الحية الأخرى في الطبيعة"<sup>(٧١٦)</sup>.

وبذلك لا بد للشاعر أن يسلك في الألفاظ مسلكاً خاصاً ليستطيع أن يؤدي معاني بطريقة جديدة. فالشاعر المبدع هو الذي يتمكن دائماً من أن يصون جمال اللغة، وأن يبعث هذا الجمال

---

(٧١٣) د.علي جعفر العلق، في حداثة النص الشعري، ص23، دار الشروق للنشر، عمان، ط1، 2003م.

(٧١٤) د.عبدالصبور شاهين، في علم اللغة العام، ص27، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1984م.

(٧١٥) د.علي عشري زايد، بناء القصيدة العربية الحديثة، ص41

(٧١٦) جون بول ساتر، ما الأدب، ص10، ترجمة محمد غنيمي هلال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1971م.

من جديد، ويضاعف من قدرته التعبيرية، وهو يستطيع بل ينبغي عليه أن يساعد اللغة على التطور بحيث تخدم ظروف الحياة العصرية المعقدة ومطالبها المتغيرة<sup>(٧١٧)</sup>.

وتتميز اللغة بأنها متجددة ومتطورة تكتنز بطاقات كثيرة تعبر عن روح العصر أصدق تعبير، فكل عصر له لغته الخاصة به بما يتماشى مع اتجاهه الفكري وذوق أهله واهتمامات كل شاعر على حدة، وما يحمله من تصور تكون فيه حرارة التجربة الشعرية مفعمة بالصدق بحيث يتم إيصالها للجانب الآخر على قدر من المسؤولية.

ونظراً للأهمية التي تتميز بها اللغة من طاقات وإمكانات وإيجاءات تشع فيها جوانب إبداعية متباينة في البناء الفني للقصيدة، فإن المعجم الشعري أحد لحامات هذا اللغة، والشاعر المجيد بمثابة المهندس البارع بقدر ما يبرع في تعامله مع الكلمات يكون حظه من الفن والشاعرية، ويحكم له أو عليه على هذا الأساس<sup>(٧١٨)</sup>، ومن هنا اهتمت الدراسات النقدية بدراسة المعجم وجعلته مركز الدراسات، وفي ضوء ذلك فإننا سوف نلقي الضوء على المعجم الشعري في شعر خير الدين الزركلي من حيث الدلالة والسمة والأسلوب، لبيان مالها من صلة تحذو بنا إلى إظهار القيمة الفنية في إبداعه الشعري، وصلتها بالجانب الإنساني.

---

(٧١٧) ت. س. إليوت، مقالات في النقد الأدبي، ص55، ترجمة لطيفة الزيات.

(٧١٨) بتصرف من المعجم الشعري عند حافظ إبراهيم، د. أحمد طاهر حسنين، مجلة فصول، ص 29، مج3، ع2،

## 1- دلالة الألفاظ :

للألفاظ في الشعر مكانة مرموقة، إذ لا بد أن تكون الألفاظ منتقاه جيدة يستدعيها الشاعر إلى ذاته ويسبغ عليها شيئاً من روحه ويضفي إليها الاهتمام اللازم، حتى تصبح "منتقاة غيرة مبتدلة تدل بجرسها ومعناها على ما تصور من أصوات وألوان أو نزعات نفسية"<sup>(٧١٩)</sup>، فتقوم بمكانها اللازم الذي وضعت من أجله، فتأتي مدلة على ما يجول بالخاطر، ومفصحة عن المقدرة التعبيرية، ومشيرة إلى مدى التمكن من زمام الفن.

ولكل شاعر في ألفاظه الشعرية تعامله الخاص الذي يريد، لأنها تعد المعيار الأمثل للدلالة على جمال ما يمتلكه، ومقياس القبول لدى المتلقين، ولذا فالشاعر يتعامل مع ألفاظه على قدر من الأهمية فيختار الأفضل منها حتى تأتي مجيدة دالة على ما يريد.

ونحن إذا أردنا الحديث عن الألفاظ فإنه لا يمكننا أن نعزلها عن سياقها في التركيب، لما تكسبه الألفاظ من دلالات جديدة تكسب المعنى أكثر جمالاً وإبداعاً، "فالألفاظ في صورتها المفردة ليست موضعاً للاختراع والابتداع .."<sup>(٧٢٠)</sup>.

والتأمل في دلالات الألفاظ في المعجم الشعري لدى الزركلي، يلحظ بأنها صارت جزءاً من إحساسه، حيث عبرت عنه أصدق تعبير وعبرت عما يريد، فكانت اللفظة الواحدة تحمل دلالات نابعة من الشعور الداخلي لديه، لتصبح الألفاظ رموزاً لعواطفه وأفكاره التي شكلت عالمه الإبداعي. لذا أتى المعجم الشعري عند الشاعر منتظماً في حقول دلالية مختلفة يفوح منها أنفاس المشاعر والأحاسيس الإنسانية، وأول تلك الحقول الألفاظ الدالة على الحزن والألم، مما عكس لنا نفسية الشاعر الحزينة المسيطرة عليها الآلام والأوجاع.

---

(٧١٩) أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ص 67، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، 1990م.

(٧٢٠) د. محمود طه، مفهوم الإبداع في الفكر النقدي عند العرب، ص89، عالم الكتب، القاهرة، ط1.

ومن النماذج على تلك الألفاظ التي تكتنفها الأحزان والآلام، ما يقوله الشاعر في عدة قصائد مختلفة، ومنها قصيدة (رشيد)<sup>(٧٢١)</sup> الذي يؤكد فيها الشاعر على صدق الأحاسيس التي يصرح بها أفكاره:

الحسُّ يَألمُ والجُسومُ مُصَابَةٌ ما نُحْنُ أنعامٌ ولا أصنامٌ  
نبكي ونحزنُ أو نشور ونصطلي والمجرحانِ العسْفُ والإرغامُ  
لو لا مخافة شامتٍ يقظ الأذى لبكيتُ حتى تبكي الأيامُ  
يلتأمُ في الأجسام جُرحٌ ناغلٌ وأرى جِراحَ القلبِ لا تلتأمُ

فالمتأمل في المقطع السابق يلحظ أن الألفاظ أوحى بدلالة شعور الشاعر وأحاسيه الحزينة عندما سيطرة الأبيات على ألفاظ الحزن، وذلك عندما قام الشاعر بالإلحاح على معنى الحزن بأشكال مختلفة، عندما لم يعمد الشاعر في تكرار الألفاظ فيها سوى القليل، إذ هو بذلك يحاول أن يجمع أكبر عدد من الألفاظ الدالة على نفسيته وذوات الإنسانية المضطهدة، لتدل على مدى عمق الجرح والحزن والألم، وعلى كثرة الشكوى الكليمة، ومن تلك الألفاظ (يألم، مصابة، مانحن أنعام ولا أصنام، نبكي، نحزن، نصطلي، العسف، الإرغام، بكيت، تبكي الأيام، جرح، جراح).

وقد ينوع الشاعر في استخدامه للألفاظ الدالة على نفسيته المتألمة والحزينة من الحياة الإنسانية، وذلك بأن يستخدم الألفاظ الدالة على الزوال والفناء، بجانب الألفاظ السابقة<sup>(٧٢٢)</sup>:

يا عين أسهرك الجناة وناموا لا أنتِ هاجعةٌ ولا الآلامُ  
تتلمسين وللظلام تكـاثفٌ نور الحياة وفي الحياة ظلام  
تبدو لك الأشباح في حلكِ الدجى وإذا هناك جماجمٌ وعظامُ

فالألفاظ (ظلام، الأشباح، جماجم، عظام ..) كلها ألفاظ أتت دالة على معنى الحزن والألم ولكنها عبرت عن معنى الزوال والفناء، إذ يؤكد فيها الشاعر على عظم ما يصطلي بداخله من حجم

(٧٢١) الديوان، ص241

(٧٢٢) الديوان، ص239

المعاناة، وكما يبرهن هذا التنوع على عظم ما يحمله من حزن وألم من العالم الإنساني، عندما يعبر عن الحزن بأشكال مختلفة.

وتكشف الألفاظ أيضاً عن عمق الأخوة الإنسانية لدى الزركلي، إذ يؤكد ذلك على استخدام الشاعر بكثرة للألفاظ الدالة على الترابط الوثيق الذي يجمعه بالإنسان الآخر، عندما يستخدم ألفاظ ( إنسان، الناس، أناسي، أبناء، أخوكا، أبوكا، ذووكا، آلي، قوم ..). والمتأمل في ذلك يلحظ أن الشاعر حينما يستخدم هذه الألفاظ، يستخدمها باستخداماتها المعجمية، فيصرح الشاعر ما بداخله مباشرة من دون إيجاء لذلك، فهو عندما يقول<sup>(٧٢٣)</sup>:

إذا كنتَ تلقي الناس أبناءً واحدٍ تسوسهم الرُحْمى وترعاهم النُّعمى

نجد أن ألفاظ الشاعر انطلقت في نطاق المباشرة والوضوح، عندما يقول بأنك حين تقابل الناس بأنهم على طرف واحد فسوف تعاملهم بالرحمة والنعمى، وهي دلالة على حب الرحمة والتعاطف مع الإنسان الآخر، واستخدام لفظة (أبناء واحد) عمقت الشعور الأخوي عند الشاعر، مما جعله معياراً ينظر به إلى الإنسان الآخر.

والتأمل في ديوان الشاعر يلحظ استخدام الشاعر كلمة (إنسان) وما يشتق منها بكثرة، وهي دلالة وتأكيد على ارتباط الشاعر بالإنسان وكيانه، والشاعر حينما يستخدم هذه الكلمة يستخدمها بطريقة معجمية أي بما يدل على الإنسان الحقيقي، واستخدامات الشاعر لها تأتي تارة بالسلب، وذلك حينما يصفه بالجاهل والعاق والظالم، ومن ذلك<sup>(٧٢٤)</sup>:

الأناسيُّ ظالمون أنانيون ظلوا سبيلهم وأظلموا

وتارة يستخدمها للرحمة بهم وتعاطفه الشديد إليهم، ومن ذلك<sup>(٧٢٥)</sup>:

أفي كل يومٍ مشهدٌ يُرْمضُ الحشا وخطبٌ جديدٌ بالأناسيِّ يُحدقُ

---

(٧٢٣) الديوان، ص178

(٧٢٤) الديوان، ص267

(٧٢٥) الديوان، ص149

ويقول في موضع آخر مكرراً نفس اللفظة مرتين، مظهراً تعاطفه تجاه الإنسان ومتعجباً مستنكراً من لجنة الاستفتاء الأمريكية التي قدمت الشام سنة 1919م<sup>(٧٢٦)</sup>:

وحنوا على الإنسان حتى استوثقوا مُتَحَكِّمِينَ فأنكروا الإنسان!

إن استخدام الشاعر للفظه (يرمض) التي تطلق في شدة الحر من الشمس دلالة وإيجاء على أن ما يلتحق بالناس من الخطب والأسى كوقع الشمس على ذاته.

وكما يكثر الشاعر من استخدام ألفاظ (الشيخ والطفل) وكلها مدعاة لما يحمله الشاعر من تعاطف ورحمة، وهي ألفاظ يستعملها الشاعر لدلالة على الضعف وجلب الاستعطاف والرأفة والرحمة، فحين يصف الشاعر حال سوريا عندما منيت بالقنابل من قبل الجيش الفرنسي فإن الشاعر يستخدم هذه الألفاظ لشدة ما حلق بهم ليكتسب المعنى من خلال ذلك إيجاءات تعبر عن الحال<sup>(٧٢٧)</sup>:

الطفلُ في يدِ أمه غرضُ الأذى يُرمى وليس بخائضٍ لغمارِ  
والشيخ مُتَكَنِّئاً على عُكَّازِهِ يُرمى وما للشيخ من أوزارِ

وتتعدد الدلالة للفظه الشيخ، فيستخدمها الشاعر للزعيم والقائد الذي بيديه الأمر والنهي ويمتلك من الخصال الكثيرة<sup>(٧٢٨)</sup>:

ما كان والله الحسين الشيخُ بالشيخِ النومِ

وبما أن الشاعر تحدث عن لفظتي الشيخ والطفل فإنه لم يغفل عن اللفظة الدالة على (المرأة)؛ لما تحويه من دلالة لا تفترق عن السابق كثيراً، فالشاعر استخدم عدة ألفاظ مختلفة وكلها تنصب نحو

---

(٧٢٦) الديوان، ص24

(٧٢٧) الديوان، ص210

(٧٢٨) الديوان، ص79



نطاق المرأة وكيانها، فهاهو يستعمل لفظة (المطفلات، ذات إزار) لترمز للمرأة؛ وذلك للدلالة على الضعف والهوان<sup>(٧٢٩)</sup>:

وعدوا على الأطفال في حجراتهم والمطفلات وهن في الأحدار  
عمّوا بمضطرب القدائف كل ذي ضعفٍ ، وخصوا كل ذات إزار

كما يستخدم الشاعر ألفاظاً عدة، ليخرج عن الدلالة الماضية التي يدل بها على الضعف، ليدل بها على الصفاء والنقاء، والوضوح والنزاهة والطهارة، عندما يقول (بنت النور، مرآة الضياء) وذلك لتلقي عدة إحياءات وظلال على اللفظة<sup>(٧٣٠)</sup>:

أينَ من يُنقذُ بنت النور ، مرآة الضياءِ  
من مهراوي البؤس والآلام من أيدي الشقاءِ

والألفاظ التي يستخدمها الشاعر في نطاق العطف والرحمة كثيرة جداً، كألفاظ ( يرحم، يحنو، يعطف، ضعفاء، بؤساء، يصغي، يضمّد، ينقذ، يوجف، ينصف، لهفي ...).

وكثيراً ما نرى الزركلي يستخدم لفظة (الحياة) وذلك بما يضاهي لفظة (إنسان)، إذ المتأمل يلحظ أن هذين اللفظين استخدمهما الشاعر بكثرة في سفر ديوانه، وهذا الأمر يأخذنا لمعادلة مهمة تقتضي أن الإنسان في الكون يبحث عن الحياة ويريد أن يعيش فيها، فطرفا القضية عند الشاعر هو الإنسان من جهة، ومن جهة أخرى الحياة، وهذان الطرفان هما البؤرة الأساسية التي وجهت وجهة الشاعر نحو الاتجاه الإنساني.

ومما عزز هذه المعادلة وغرس بذورها في ذات الشاعر، عندما هددت حياته وكادت أن تلفظ أنفاسها الأخيرة عندما حكم عليه بالإعدام، فلنجدّه يصرح بلفظ الحياة بطريقة مباشرة بما يقابل ذات الشاعر (الإنسان)<sup>(٧٣١)</sup>:

---

(٧٢٩) الديوان، ص212

(٧٣٠) الديوان، ص355

نذروا دمي حنقاً عليّ وفاتهم  
أنّ الشقيّ بمالقيث سعيدُ  
الله شاء لي الحياة وحاولوا ما لم .. يشأ ولحكمه التأيد

وكما نجد الشاعر يستخدمها في مواضع عدة، وذلك لما تشكل في ذاته أمراً ذا قيمة ومكانة، كما في ذات الشأن لكافة البشرية، إذ نراه يتمثل كما في البيت السابق فيستخدم لفظة الشعب الدالة على الناس، بما يقابل لفظة الحياة<sup>(٧٣٢)</sup>:

الشعب إن عرف الحياة فماله عن درك أسباب الحياة محيد

والحياة التي يقصدها الشاعر هي حياة الإنسان الذي يعيش في أمان وسلام، وأما عندما يتم الحياد عن هذا المسار، فإن الشاعر يضيف إلى لفظة الحياة لفظة مركبة (حياة الشاء)<sup>(٧٣٣)</sup>، (حياة العمل)<sup>(٧٣٤)</sup>، (أخو حياة)<sup>(٧٣٥)</sup> .. وذلك ليكسب اللفظة دلالات متعددة وفضاءات جمالية أكثر.

وتأتي الألفاظ لتدل على مدى عصامية الشاعر وقوته، فهو عندما يعبر عن الموقف الذي يستحق القوة والصلابة يستخدم الألفاظ التي تليق بذلك، وذلك لتتلاحم ما مع يريد في التعبير عنه<sup>(٧٣٦)</sup>:

انظر إلى القوم لاحولٌ ولاعضدٌ ثاروا على البغي ما هابوا ولا ريعوا  
أباة ضيمٍ مقاديمٌ إذا استعرت لظى نضالٍ ، مناجيدٌ ، مساريحُ  
سيمو الأداة فلم يحنوا رقابهم ذلاً ولا استسلموا والأنف مجدوعُ

فالشاعر في أبياته السابقة استخدم الألفاظ المجلجلة القوية بما يتناسب مع حجم الموقف، فالثورة والتصدي والحرب تستحق بموجبها ألفاظاً قوية وصامدة، فالألفاظ ( ثورة، عدم الهيبة ولا الخوف،

(٧٣١) الديوان، ص118

(٧٣٢) الديوان، ص118

(٧٣٣) أنفوا حياة الشاء ، كل عشيةٍ وضُحى تعيثُ بها يدُ الجزارِ .. الديوان، ص 213

(٧٣٤) واشحندي عزمك وام ضي في حياة العمل بأناة .. الديوان، ص 122

(٧٣٥) إذا عمر البناء أخو حياةٍ فيا سرعاناً إقواء البناء .. الديوان، ص 23

(٧٣٦) الديوان، ص128

الإباء، مقاديم، لظى نضال، مناجيد، مساريع، لم يحنوا الرقاب ذلاً، لم يستسلموا ..) استخدمها الشاعر لقيوتها وصلابتها حتى تناسب موقف الحرب والثورة ضد البغي.

ويستخدم الشاعر الألفاظ الدالة على الصوت بشكل ملفت، ليبيدي لنا مدى أهمية الصوت في معجمه الشعري ودوره الفعال في الدلالة على الألفاظ، فالشاعر اختار في معجمه بعض الألفاظ التي ساعدته على القدرة على التعبير عن انفعالاته، فظهرت تلك الألفاظ متوافقة مع عمق الشعور، وذلك ليس بوعي كامل منه في اعتماده لبعض الحروف المكونة هذه الألفاظ، "وإنما يأتي ذلك من صدقه الفني والشعوري، وتعبيره الصادق عما يحس ويشعر به" (٧٣٧).

واستخدام الشاعر للألفاظ الدالة على الصوت هي وسيلة من وسائل كسر الحاجز الداخلي، وإيصال صوت الإنسان إلى آفاق أبعد، ومحاولة لاستدعاء الآخر ولفت نظره، والألفاظ التي استخدمها الشاعر في هذا النطاق تتنوع بحسب المواقف التي تستلزم التفاعل بقدر أهميتها، ومن تلك الألفاظ (الصوت، الغناء، الضحك، الصراخ، العويل، الندب، الأنين، البكاء، الشكوى، النحيب، الصياح ..). ومن النماذج الدالة على ذلك، ما نجد في قول الشاعر (٧٣٨):

ماذا هناك؟ فإنّ صوتاً راعني والصوتُ فيه جفوةُ الإذعارِ

فالشاعر استخدم لفظة (الصوت)، وذلك لما في هذه اللفظة من قيمة ودلالة، تصور حالة البؤس الذي لحق بالسوريين جراء ضربهم بالقنابل من الفرنسيين، فالصوت هنا يوحي بصوت القنابل وصوت المتضررين من هذه القنابل وكلاهما يحملان انفعال وجداني وأثر نفسي أدى إلى إحداث الروع والذعر.

فالوضع الخطير الذي يلحق الإنسان من جراء القتل والتشريد، يصوره الشاعر مستعيناً بالألفاظ الدالة على الصوت، فهو في ذات القصيدة التي تحوي البيت السابق، يصور الشاعر تعدي الفرنجية

---

(٧٣٧) محمود أحمد نحلة، لغة القرآن الكريم في جزء عمّ، ص346، دار النهضة العلمية للطباعة والنشر، 1981م.

(٧٣٨) الديوان، ص210

بأنه كالصبيحة، فالصبيحة وما تحويه من ضجيج وأصداء مزعجة، تتناسب مع الفعل السيء الذي قاموا به الفرنجة من تعدٍ كان له صدها السيء<sup>(٧٣٩)</sup>:

طارت بألباب الفرنجة صبيحةً في الشام، فاندفعوا إلى الأسوار

وفي موضع آخر يضمن الشاعر لفظة (النحيب)، وذلك لتصوير شدة غربته ومدى حجم الألم الداخلي الذي يعاني منه<sup>(٧٤٠)</sup>:

أشهدت في غسق الظلام غربياً ملاً الفضاء تفجّعاً ونحيباً

كما يستخدم الشاعر كثيراً ألفاظ (الأنين، والعويل)، وهي لدلالة على عظم الجراح التي تمس حالة الإنسان من جراء الكوارث والرزايا التي تمس كيانه وتتجاوز حدوده<sup>(٧٤١)</sup>:

في كل رابية جسومٌ مزقت وبكل وادٍ أنهٌ وعويل

فلملاحظ أن ألفاظ الصوت يستخدمها الشاعر عندما يكون الوقع كبيراً، والشيء المراد الحديث عنه يمس أمراً ذا حساسية بالغة، إذ تبدي لنا ألفاظ الصوت عن معجم متألم وحزين يمتلكه الشاعر. وأخيراً من خلال ما سبق يلحظ المتأمل أن الألفاظ في معجم الشاعر جاءت دالة على حالته الشعورية، لذا تلاحت اللغة في كيان واحد مع الشعور، فنقلت للمتلقي جملة المشاعر ووهج الانفعال وصدق التجربة التي ظهرت بين جنباتها.

وقامت الألفاظ التي شكلت أمراً بارزاً في معجم الشاعر بالدلالة على المعنى التي تحمله، وكما لم تقتصر على الدلالة اللغوية المعروفة، بل ذهبت لتأخذ مجالاً أوسع لتشمل أموراً أخرى، ساهمت في تعميق الإبداع وثرء المعجم الشعري.

---

(٧٣٩) الديوان، ص212

(٧٤٠) الديوان، ص198

(٧٤١) الديوان، ص231

## 2- سمات الألفاظ :

يتميز المعجم الشعري للألفاظ عند الزركلي بعدة سمات مختلفة، يلحظها المتتبع والقارئ لشعره لأول وهلة، وأولى تلك السمات الميل إلى اللغة السهلة المفهومة التي يهضمها العقل وتستوعبها العاطفة، والتي هي أسهل إلى لغة الحياة المعاصرة والمعبرة عن نوازع النفس الإنسانية، والموجهة للمواطن والشعب والإنسانية قاطبة، والقادرة على تخطي الحواجز والعقبات، وعلى الترسخ والثبوت، والديمومة والخلود.

وهذا الميل إلى البسيط والمألوف من الألفاظ والتعبيرات يأتي منسجماً مع مضمون القصيدة والمظهر الإنساني التي تتحدث عنه، ومن النماذج على هذا الاستخدام مقاله الشاعر عند وفاة الشهيد فؤاد سليم، عندما تحسر وتألم على أخته التي تنتظر رجوعه وعودته، فإننا نرى الشاعر يصوغ ألفاظه بلغة سهلة بسيطة تقترب من لغة الحياة<sup>(٧٤٢)</sup>:

واحسرتاهُ لأختٍ في الحي ترُقُبُ عودك  
تُسائلُ القومَ أنّي قصدتَ تجهلُ قصدك  
أخافُ أن تفقدَ النفس حين تعلمُ فقدك

ففي هذه الأبيات نجد أن ألفاظها صيغت بسهولة وبساطة شديدة، استخدم فيها المباشرة والوضوح، وهي سهولة تقترب من لغة الحياة المعاصرة الذي تأخذنا معها إلى مسألة استعمال الشاعر إلى بعض الألفاظ العامية.

واستخدام الزركلي بعض الألفاظ العامية تعد من المآخذ على اختياره لألفاظه، وربما استخدامها يرجع إلى أمور مختلفة يحاول الشاعر فيها " أن ينزل - في بعض الأحيان - إلى مستوى المتلقي المعني بالخطاب، وأحياناً يحاول أن يشير فينا الحس الوطني، بذكر كلمات معينة ترتبط بموطنه دون

المواطن الأخرى، ولكن هذا لا يبرر ورود مثل هذه الكلمات في نص أدبي يرقى فوق المستوى العادي للغة، إذ إن ورودها ما يحط من مستوى النص الفني، ويحد من جمالياته ودلالاته<sup>(٧٤٣)</sup>.

والزركلي في شعره يستخدم الألفاظ بهذا الطابع لينزل لمستوى المخاطب، فيأتي بالألفاظ الفصيحة ويمزجها بالألفاظ العامية، والحقيقة أن الزركلي لا يستخدم هذه الألفاظ العامية إلا في حدود ضيقة في تجربته الشعرية، فإذا قام باستخدام اللفظة لا يكررها في مكان آخر إلا غالباً. ومن النماذج على استخدام هذه الألفاظ وتضمينها العامية قول الشاعر<sup>(٧٤٤)</sup>:

ومادام الغنيّ يضنّ فينا وربُّ الفقر تُهملهُ فيشقى  
فَرَأْسُكَ سالمٌ فالشرق ميت تعيش لأهله دوماً وتبقى !

فالملاحظ من خلال السياق أن الألفاظ (رأسك سالم - وتعيش لأهله)، ألفاظ التصقت بالعامية، وتشبعت بمدلولات من أوساط الحياة العامة، حيث تحيلنا إلى سياقات اجتماعية ارتبطت بالمجتمع الدمشقي، فمثلاً (رأسك سالم) هي لفظة عامة تقال للشخص في حالة التعزية استخدمها الشاعر ومزجها بباقي الألفاظ العربية الأخرى لينزل بخطابها إلى مستوى المتلقي المعني.

ومن السمات البارزة للألفاظ عند الزركلي، استعماله بعض الألفاظ الحديثة، وذلك ليتماشى مع مقومات العصر ومواده، ويساير الركب الحضاري المتقدم؛ فاللغة كما يدفن بعض ألفاظها مع مرور الأيام فلا يكون لها وجود، فإنه يطفو على السطح بعض الألفاظ الحديثة المتجددة.

ومن الألفاظ الحديثة التي استهوت الزركلي، وبث فيها روح الحياة ( الرصاص، البترول، حقل، الدساكر، الطائرات، الزاحافات، الاستعمار، التشريح، مجلس الأمن، ناطحات السحاب، لجنة

---

(٧٤٣) د. محمد صلاح زكي أبو حميدة، الخطاب الشعري عند محمود درويش - دراسة أسلوبية، ص 155، مطبعة المقداد، غزة، ط1، 1421هـ - 2000م.

(٧٤٤) الديوان، ص163

التحقيق، اللاجئ ..). ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر في قصيدة اللاجئ، مستعملاً فيها بعض الألفاظ الحديثة كألفاظ (حقل - شرحوا)<sup>(٧٤٥)</sup>:

كأنهم حقلٌ تجاريهم وليس من يانعة تُقطفُ  
أطبئةٌ حولِ ضنِّ شَرِّحوا جُثمانه وعينه تطرفُ!

ولم تخل ألفاظ الشاعر من الألفاظ الدخيلة، والتي نعني بها كل كلمة أدخلت في كلام العرب وليست منه<sup>(٧٤٦)</sup>، أي بما التصق باللغة العربية من ألفاظ نابغة من لغات أخرى، وربما يرجع ذلك إلى تنوع ثقافة الشاعر التي استقاها من مصادر متعددة أحد أبرزها تأثره بالشعراء العرب الذين سبقوه وبالفكر الغربي.

ومن الألفاظ الدخيلة التي استعملها الزركلي وهي مستقاه من عدة لغات مختلفة، (الكهرباء، الكرسي، عسجد، المهرجان، دراهم، الفرنجة، الفرنسييس، الإنجليز ..). ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر فيمن يدعي حب وطنه بالكذب، عندما استخدم لفظة (عسجده) التي أخذت من اللغة الفارسية<sup>(٧٤٧)</sup>:

لم يهوَ إلا سلب نعمته وكنوز فضته ، وعسجده

ومن السمات التي تكحلت بها ألفاظ الزركلي هي استخدام أسماء الأعلام، والتي استوحاها الشاعر من عالم الإنسان والمكان، وتعتبر من أهم النقاط الدالة عن وجهة نظره وانحيازه ورؤيته للعالم الإنساني؛ لأن الشاعر باختياره لأي علم من الأعلام المنتقاة يكون قد وضع أمامنا مؤشراً مهماً للإطلالة على إحدى توجهاته بالسلب أو الإيجاب؛ وذلك لأنها تحمل في طياتها رصيذاً معرفياً ثرياً يستطيع الشاعر أن يجني من خلاله دلالات وإيحاءات متعددة، "فنحن إذن في العَلَم لا نتعامل مع

(٧٤٥) الديوان، ص334

(٧٤٦) المعجم الوسيط، ص275

(٧٤٧) الديوان، ص33

مجرد كلمة، وإنما نتعامل مع مجموعة من المواقف النفسية، تستثار في الذهن كلما ذكر ذلك العَلَمُ<sup>(٧٤٨)</sup>، والتعرف على توجه الشاعر من خلال انتقائه للألفاظ التي يتم اختيارها.

ومن أسماء الأشخاص الذي استوحاهم الشاعر في تجاربه الشعرية، والذي نقصد بهم ما كانوا له سابقين أو معاصرين مكتسبين خصائص تبرزهم عن غيرهم (صلاح الدين الأيوبي، هارون الرشيد، امرؤ القيس، إتلي، بيفن، ولسن، بلفور، شلمان، رودزيق، ركارديس..). ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر في بداية الحرب الكونية الأولى للأقوام الذين أصروا على الحروب وتركوا خلف ظهورهم السلم<sup>(٧٤٩)</sup>:

سيلحقُ هذا الجيلُ عاداً وجرحماً ويتلو جديساً في الكوارثِ أو طمّسا

فالمثأمل في البيت السابق يلحظ بأن الشاعر استخدم أكثر من علم، وهي (عاد وجرحم وجديس وطمس) ومن خلال هذا الاستخدام يتبين أن هذه الألفاظ أوضحت لنا وجهة نظر الشاعر تجاه الحرب؛ وذلك لما تحمله هذه الألفاظ من دلالات نفسية استثارت أذهاننا بالعواقب التي سوف تلحق الأقوام إذا استمروا في معمعة الحروب.

وأما من ناحية أسماء الأماكن، فإنه يتطرق إلى عدة أماكن عديدة، ومنها (حطين، دمشق، خير، ذي قار، فلسطين، الجزائر، القيروان، مكة..)، ومن الأمثلة على ذلك في شعر الزركلي مايقوله في قصيدة (صقر قريش)<sup>(٧٥٠)</sup>، عندما يستخدم الشاعر لفظة (قرطبة) وما أتت به من دلالات وإيحاءات:

يا دمعاً لي في أطلالِ قرطبةٍ أثرتِ لاعجٍ وجدٍ كانَ محزوناً

أعدتها ذكريات الأمس رائحةً لله أئمةً ذكرى ما تعيدنا

---

(٧٤٨) د.أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ص117، مكتبة الزهراء، القاهرة.

(٧٤٩) الديوان، ص179

(٧٥٠) الديوان، ص85



وأخيراً من السمات التي يمكن أن نجدها عند الزركلي في ألفاظه، هي عدم الدقة في اختيار بعض الألفاظ، "فأفة اللغة العربية وكتابها بوجه خاص هي عدم الدقة، وعلى الكاتب أن يكون على اتزان في غير ضعف وقوة في غير إسراف لفظي"<sup>(٧٥١)</sup>.

والمتتبع لبعض أشعار الزركلي يلحظ أن هناك إسرافاً لفظياً في استخدام بعض الكلمات، وخطأ ملحوظ في إقامتها في مكانها الغير الصحيح، فلو نظرنا على سبيل المثال ما يقوله الشاعر في حبه لوطنه<sup>(٧٥٢)</sup>:

لو مثلوا لي موطني وثناً لهممتُ أعبدُ ذلك الوثنا

لوجدنا أن الشاعر استخدم لفظة (أعبد الوثن)، كنوع من إظهار مدى الحب الجارف الذي يسيطر عليه تجاه وطنه، وفي اعتقادي أن هذا الاستخدام فيه نوعاً من المبالغة غير المقبولة؛ لما فيها من إسفاف وركاكة تدل على مخالفة الذوق الإسلامي الحنيف.

### 3- الأسلوب:

لكل شاعر أسلوبه الخاص في معجمه الشعري، ينوع بين الأساليب، ويختار القلب الذي يريد، لتضيء تجربته الشعرية، وتبدي تماسك النص وترابط أجزائه.

والتأمل في شعر الزركلي يلحظ أن الشاعر يعمد في معجمه الشعري إلى اختيار أدوات لغوية تضيء على النص دلالات متعددة، وأولى تلك الأدوات هي استخدام الشاعر أسلوب الاستفهام على كثير من قصائده، الذي يعد من الأساليب الجمالية التي ترتبط بالموقف الشعوري، وتكشف عن كوامن وأحاسيس داخلية أباح بها الشاعر في ألفاظه.

وفي قصيدة (فيم الونى)<sup>(٧٥٣)</sup>، والتي يطرح الشاعر فيها عدة تساؤلات مختلفة، نجد أن أسلوب الاستفهام جاء مضمياً ومسيطرأ على جمال الأبيات، وكاشفاً عن خفايا عديدة في نفس الشاعر:

---

(٧٥١) د. محمد مندور، في الأدب والنقد، ص22 - 23، نخضة مصر، 1988م.

(٧٥٢) الديوان، ص21

فيم الوني وديار الشام تقتسم أين العهود التي لم ترع والذمم؟  
هل صحّ ما قيل من عهدٍ ومن عِدَةٍ وقد رأيتَ حقوقَ العُربِ مُتضمِّمُ  
أللعصورِ على أبناءِ ( آسييةِ ) ثأُرُ فتخشع للإعصار تحتكمُ  
سلّ عهد (غسان) هل من عثرةٍ لهم ليست تقال؟ ما من عثرةٍ لهم!  
أسلفتك قريشٌ يا ليالينا سوءاً وإلا ففيم اليوم نُتهمُ؟  
وعود "ولسن" كم أضللت فتةً لأنت أشأم ما سيست به الأممُ  
خدعتينا فأنخدعنا فاستخف بنا شمس عن الحق في آذاهم صمُ  
أيدعون حقوقاً في مواطننا والمين أقبح ما يطوى عليه فمُ!

الشاعر في الأبيات السابقة نوع بين استخدام أدوات الاستفهام المختلفة، مما يظهر لنا تملكه لأدوات لغته، وهذه التعددية رسمت المعالم الجمالية التي تحتوي عليها القصيدة، إذ كان الاستفهام المرتكز الأول التي وضعت النقاط الجمالية قواعدها عليه، فظهرت التجربة في غاية الإبداع، معبرة عن ألقاظ الشاعر وموقفه الشعوري، إذ أبرز بشدة أسلوب الاستفهام في إلحاح شعوري عن مشاعر الآسى والحزن والغيرة الوطنية والعربية التي تكتنف الشاعر من الظلم الذي لحق بلاد الشام، عندما قسمت البلاد إلى عدة دول. وهذا الإحساس المفعم بالمشاعر والأحاسيس الإنسانية الحزينة استطاع أن يوصله الشاعر بأسلوب الاستفهام بكل دقة ونجاح واختصار وحرفية إلى المتلقي، إذ ساعده الاستفهام عن تجنب الشرح والتفصيل في بعض الأمور.

ويصبح الاستفهام أكثر توهجاً وأعلى قيمة شعورية، ووسيلة مهمة في البوح عن مكنون المشاعر والأحاسيس عند الشاعر، وموطن للجمال، عندما يتم تكرار أسلوب الاستفهام؛ ليدل على سيطرة الأمر المكرر الذي يستفهم منه على تفكير الشاعر وإحساسه، وفي قصيدة (العدراء) يقول الشاعر:

أين من يُنقذُ بنت النور ، مرآة الضياءِ  
من مهاوي البؤس والآلام من أيدي الشقاءِ

أَيْنَ من يُصْغِي لَأَنَاتِ العَذَارَى والعَوِيلِ  
أَيْنَ من يَضْمُدُ جُرْحَ القَلْبِ فِي الجَسَمِ العَلِيلِ  
أَيْنَ من يَرْحَمُ ضَعْفَ الطِفْلِ فِي القَيْدِ الثَقِيلِ  
أَيْنَ من يَحْنُو عَلَى الأَوَاهِ فِي الأَسْرِ الطَوِيلِ  
أَيْنَ من يَجْزِي جُنَاةَ الشَّرِّ بِالشَّرِّ الوَبِيلِ  
لَيْسَ فِي النَاسِ سَمِيعٌ أَوْ مُجِيبٌ لِلنِّدَاءِ  
فُقِدَ العَظْفُ .. فَوَاهَاً لِلضَّعَافِ البُّؤْسَاءِ

إن الشاعر في تكراره السابق يتساءل عن فقدان الإنسانية المتعاطفة المتراحة، التي لو وجدت لأنقذت النساء من مهاوي البؤس والآلام، وأصغت لأنات العذارى والعويل، وضمدت جرح القلب العليل، ورحمت الضعيف أينما كان، وحزت من يبغي الشر بالشر الوبيل، ويؤكد على ضياعها وفقدانها بعدم إجابة النداء، وذلك كله يأتي بالإلحاح في السؤال بأداة الاستفهام (أين) لإحساس الشاعر بفقد المتسائل عنه وضياعه وعدم وجوده، وكأنه لو علم بوجوده لبحث عنه وبذل الغالي والنفيس من أجله. وهذا الاستفهام كشف عن مدى إنسانية الشاعر السامية وعن مشاعر الحزن والحيرة الشديدة التي تسيطر عليه. كما أحدث تفاعلاً بين الشاعر والمتلقي بالبحث عن المجهول المتسائل عنه.

إذاً فدور الاستفهام الذي استخدمه الشاعر في معجمه الشعري، أمر لا يستهان به إذ كشف لنا عن مواطن الجمال، وعن نفسية الشاعر التي تحمل في دواخلها حب الإنسان والرحمة والتعاطف معه، والطامحة إلى حب الخير والعطاء والإصلاح، والتي تحمل من جراء الإنسان الألم والحسرة والحيرة والضياع، كما وضع المتلقي في وضع الانتباه والانفعال فأحدث تواصلًا بين الشاعر والمتلقي، إذ أوقد ذهن المتلقي وحفره على المتابعة والوقوف على ما وراء القصيدة.

ومن الأساليب المهمة في معجم الزركلي أسلوب التضاد، الذي نقصد به الجمع بين اللفظة وضدها، والذي يبرز بشكل لافت في ألفاظ الزركلي، وسوف أبالغ لو لم أقل أن هذا الأسلوب لا تخلو منه معظم القصائد دون الوقوف على مثل ذلك، فقصائد الزركلي تعج بمثل هذه المتضادات، لما

لها من تأثير مهم يكشف عن المعنى، ويعمق الدلالة في ذات المتلقي؛ "فالتضاد حين ينتقل بالنفس من الضد إلى الضد، ومن النقيض إلى النقيض ينتج المعاني، وتتمكن تلك المعاني في النفس"<sup>(٧٥٤)</sup>.

وتكثر المتضادات بشكل بارز في ألفاظ (الحياة، الموت) عند الزركلي، إذ تحمل هاتان اللفظتان إشعاعات ودلالات مهمة تؤكد على اهتمام الشاعر وإثارته لأمر عدة، وفي إحدى المقاطع نجده يقول<sup>(٧٥٥)</sup>:

إن بغيته الحياة فاحرص على الموت فكل امرئ يصادف حتفه

فالتضاد الذي استخدمه الشاعر أكسب المعنى إشعاعاً جديداً ومعنى مهماً للغاية وتأثيراً ملموساً في نفس القارئ، وذلك حينما حمل التضاد عدم الخوف من الموت والحرص عليه، لأنه الطريق الآمن الذي يقودك للحياة ويحملك إلى بر الأمان. وهي معادلة تفسرها إسلامية الشاعر المؤمنة بقضاء الله وقدره.

وفي موضع آخر تحمل المتضادتان الموت والحياة معنى آخر، عندما أراد الشاعر أن يبدي بما ظلمت به دمشق وأذاقها العداة لباس الجوع والخوف<sup>(٧٥٦)</sup>:

أندروا بالموت ما أعذب الموت إذا كان للحياة طريقاً

إذ يكشف المعنى عن ذلك القدر من العزيمة والثبات والإصرار والقوة الذي يتلبس كيان الشاعر، واليقين بحجم الألم الذي لحق أبناء الشام من الخداع والضيم والأسى. كما حمل معه موطناً للجمال عندما حمل معه إشراقاً فنياً رائعاً جعل الموت له طعم عذب في سبيل تحقيق الحياة.

وقد يأتي الشاعر بأدوات مرادفة لألفاظ الحياة والموت، فمثلاً في قصيدة (إما وإما)<sup>(٧٥٧)</sup> يقول:

---

(٧٥٤) انظر البني الأسلوبية في النص الشعري: دراسة تطبيقية، ص 175

(٧٥٥) الديوان، ص 256

(٧٥٦) الديوان، ص 173

(٧٥٧) الديوان، ص 184

ألا وثبة إنا أمة تقص مع الفجر أنيابها  
فإما الحياة على عزة وإما المنايا وضراؤها

فمفردة المنايا أتت بدل الموت، والحياة بقيت كما هي، ومن خلال المعنى السابق أبدى التضاد قيمة الأنفة والعزة التي تأتي إلا الحياة مقرونة بالعزة، أو المنية والموت؛ وذلك خير من البقاء فيها في ذل وعناء.

وتبرز المتضادات عند الشاعر بأن تفهم من السياق، فالشاعر عندما حكم عليه بالإعدام من المستعمر الفرنسي نجده يقول<sup>(٧٥٨)</sup>:

الله شاء للحياة وحاولوا      ما لم .. يشأ ولحكمه التأيد

فالمتضاد السابقة الموت لم تأتٍ مصرحاً بها كما أتى فيما سبقها بل فهمت من سياق الكلام، وذلك في مقابلة المفردة الأخرى الحياة، ولكن عدم التصريح بذلك لم يؤثر في الكشف عن المعنى، والتأثير الملموس في نفس المتلقي.

وكما تضم المتضادات عند الشاعر، متضادة (الشر والخير) التي تأخذ منحى مهماً في الحياة الإنسانية، وتنم عن خبايا كثيرة تنعكس بشكل إيجابي على المتلقي، وتظهر هذه المتضادة في مواضع عدة، ومنها قول الشاعر<sup>(٧٥٩)</sup>:

زمر الخير غفاة وفتى      الشر أرق

فالمتضادة أبرزت معنى مهماً في الحياة، ارتكز على المفارقات التي جعلت أهل الخير في غفلة ونوم عميق، وأهل الشر في يقضه وصحو، فالمتضادة عكست ما انطوى في نفسية الشاعر التي رأت ذلك في الحقيقة، في أن الخير موجود ولكنه مفقود، والشر موجود وغير مفقود.

---

(٧٥٨) الديوان، ص118

(٧٥٩) الديوان، ص167

وتظهر هذه المتضادة نظرة مهمة في نفس الشاعر، إذ يرى بأن مكن الخير له اليد السفلى بينما الشر له اليد الطولى، مما جعل الخير خير مأمل ومأمول والشر هو السائد والموجود<sup>(٧٦٠)</sup>:

لا تأمل الخير من حي الناس هيهات ما الخير من حي بمأمول  
والناس من يلهم بالشر سادهم والشر أسوأ مصنوع ومعمول

فالشاعر في موازنته للمتضادات التي تحمل الخير والشر، يبرز جانب الشر على الخير، وذلك يعكس لنا النظرة السلبية الذي يحملها الشاعر تجاه الإنسان، بالإضافة إلى أن الإنسان في عصره يحمل الشر أكثر من حملة للخير.

وكما أن الشاعر وضع عدة متضادات مختلفة في عدة مواضع، فإنه يضعها في صورة قائمة على مبدأ الأضداد في أبيات متتالية، لتكون كقيلة برسم حجم ما يتأجج بداخل نفسه من تداعيات مختلفة، ففي قصيدة (الشيخ طاهر الجزائري)<sup>(٧٦١)</sup> التي ألقيت في حفلة تأبينه بدمشق:

يشيع بعضنا بعضاً فيمضي وما في الخالفين بذي بقاء  
وشوط العمر مرحلة وكل مجاوزها بصبح أو مساء  
فإن تحزن لميت أو لحي فخطبهما أراه على سواء  
يُزاحم مستعز مستكيناً وشأو كليهما دار الثواء

البناء السابق التي تقابلت فيه الألفاظ المتضادة ( الخالفين / الباقيين، الصباح / المساء، ميت / حي، مستعز / مستكين) أتت مبرزة للألم والحزن الذي يقبع في ذات الشاعر، وأبرزت حجم إيمانية الشاعر ورضاه بالإيمان بالله وقدره، وإنسانية المشاعر التي تعتريه فجعلته يحزن للحي كما يحزن للميت.

ومن الأساليب التي استخدمها الزركلي في معجمه الشعري أسلوب التكرار، الذي يقصد به "إعادة ذكر كلمة، أو عبارة بلفظها ومعناها في موضع آخر أو مواضع متعددة من نص أدبي

(٧٦٠) الديوان، ص 192

(٧٦١) الديوان، ص 23

واحد" (٧٦٢). والتكرار في النص يحمل معه دلالات حيوية مهمة تضيف على النص الشعري قيماً فنية جيدة، إذ يحمل معه أحاسيس الشاعر وعاطفته، "فالتكرار ليس مجرد ترديد لكلمة معينة، أو لعبارة ما، إنما هو وسيلة لغوية تنبض بإحساس الشاعر وعاطفته .. والتكرار الذي لا يتولد من إحساس الشاعر وانفعاله، يبدو متكلفاً، ويفقد كثيراً من أهميته الأسلوبية" (٧٦٣).

كما يلقي التكرار بتأثيره على المتلقي، ويؤكد على الاهتمام بالعنصر المكرر، ويقوم بتحقيق النغم الموسيقي، "فالتكرار له خفة وجمال لا يخفيان ولا يغفل أثرهما في النفس حيث إن الفقرات الإيقاعية المتناسقة، تشع في القصيدة لمسات عاطفية وجدانية، يفرغها إيقاع المفردات المكررة بشكل تصبحه الدهشة والمفاجأة، مما يجعل حاسة التأمل لديهم (أي المتلقي) ذات فاعلية عالية. كما أن قابلية النفس للإثارة العاطفية والاستجابة والمشاركة الوجدانية في اللغة المنغومة الموقعة أسرع وأبلغ من الاستجابة للغة غير الموقعة" (٧٦٤).

والزركلي في قصائده نجده ميالاً في بعض الأحيان إلى أسلوب التكرار، مستخدماً إياه بجميع صورته المختلفة من تكرار للكلمة والجملة والبيت الشعري، ففي حين تكراره للكلمة نجد أن الأمثلة مبعثرة في معجمه الشعري، وذلك حينما تتكرر الكلمة في ذات البيت الواحد، كقوله في قصيدة (بين الدم والنار) (٧٦٥):

أرأيت كيف طغى الفرنجُ وأوغروا صدر الأسنّة أيّما إيفار  
أرأيت كيف استهتروا بمطامعٍ فيها المصارعُ أيّما استهتار

فالشاعر قام بتكرار لفظة (استهتر، وأوغر) في كل بيت على حدة، والتكرار جاء ليتمثل في التعدي والقتل والاستهانة والتهميش الذي حملها الجيش الفرنسي ضد آمال الإنسان السوري،

---

(٧٦٢) د. شفيق السيد، أسلوب التكرار بين تنظير البلاغيين وإبداع الشعر، مجلة إبداع، العدد 6، ص 7، 1984م.

(٧٦٣) الخطاب الشعري عند محمود درويش - دراسة أسلوبية، ص 301

(٧٦٤) نفس الكتاب السابق، ص 301، نقلاً عن لغة الشعر العراقي المعاصر، د. عمران خضير الكبيسي، رسالة

ماجستير، دار العلوم، القاهرة، 1979م، ص 166

(٧٦٥) الديوان، ص 212

فالشاعر عندما أراد أن يصف الموقف الذي أوغر واستهتر فيه المستعمر الفرنسي بالإنسان السوري أتى باللفظة الأولى منها كدلالة ووصف، ولكن هذا الموصوف لعظمه ووقعه في نفس الشاعر أكده باللفظة الثانية، وذلك لتمييزه عن أي وصف طبيعي قد توصف به هاتان اللفظتان، فالتوكيد (إيغار، استهتار) أتت مؤكدة لواقع عظيم الوقع ارتكبه الفرنج ضد الإنسان السوري.

وقد يأتي التكرار لأكثر من كلمة في ذات البيت، فيقوم بتكرار عدة ألفاظ من الشطر الأول إلى الشطر الثاني، ففي قصيدة (نجوى) نجد أن الشاعر قام بتكرار ألفاظ (كان، لي، سواك، غنى)، منبعثة منها مشاعره الجياشة وأحاسيسه المنعكفة على حب الوطن<sup>(٧٦٦)</sup>:

قد كان لي بك عن سواك غنى لا كان لي بسواك عنك غنى

ومن الممكن أن يتم تكرار الكلمة الواحدة أكثر من مرة في البيت الشعري الواحد، فتصبح هي المسيطرة على ثلثي البيت الشعري، وهي تبدي مدى حجم النقطة المثيرة لذلك، وفي قصيدة (وطني) نجد الشاعر يكرر كلمة (غد) ثلاث مرات، مظهراً أبعاد حبه لوطنه<sup>(٧٦٧)</sup>:

يؤمي له ، وغدي له ، هبة وَعَسَايَ أَحْمَدُ في غدي غده

وأما عندما تتكرر الكلمة في أكثر من بيت، فإنها لا تأتي بتلك الكثرة السابقة، ولكنها تؤدي دلالة ومعنى وإضافة كبيرة في النص الشعري، ففي قصيدة (يا زمان)<sup>(٧٦٨)</sup> نجد الشاعر يقول:

أبكي زُبوعاً لا تُطيق الهوان

رهنَ امتهان

أبكي دياراً خُلقت للجمال

أبهي مثال !

أبكي تُراث العز ، والعزُّ غال

---

(٧٦٦) الديوان، ص21

(٧٦٧) الديوان، ص32

(٧٦٨) الديوان، ص34



صعبُ المنال !  
أبكي نفوساً قعدت بالرجال  
عن النضال !  
أبكي جلال الملك كيف استحال  
إلى خيال !

فالقارئ للأبيات السابقة يلحظ أن الشاعر قام بتكرار (أبكي) خمس مرات في بداية كل سطر شعري، ومجيء هذا التكرار أضاف نغماً موسيقياً على الأبيات، كما جاء نابضاً بإحساس الشاعر وعواطف الإنسانية، التي يريد بها أن يؤكد على حزنه وأساه، مما أصاب الربوع والديار والتراث والرجال والملك من أزمات الأمور ومضائها، فارتفع صوته بما يبرهن على ألمه وحزنه، فكرر لفظه (أبكي) عدة مرات في أسطر متوالية، مضيفاً في الفعل (أبكي) الذي يحمل الديمومة والتجدد ملامح الحزن والألم والأسى. فأنت اللفظة المكررة معبرة عما يجول في نفس الشاعر.

وكما قام الزركلي بتكرار الكلمات، فإننا نجده يكرر الجملة، وفي قصيدة (لله للأيام) <sup>(٧٦٩)</sup>، نجد الشاعر يقول:

لولا الحنين لما بكيْتُ أحبةً كانت تضمهم دمشقُ وتجمعُ  
لولا الحنين لما بكيْتُ ليالياً كانت دمشقُ بها تجودُ وتمنعُ  
لولا الحنينُ إلى دمشق وأهلها جفَّت بمقلتي الشُّؤون الهُمعُ  
لولا الحنينُ لما بكيْتُ بجلقٍ قمراً يغيبُ وألف بدرٍ يطلعُ  
لولا الحنين لما غضبتُ لأمةٍ في الشام ذارفةٍ عليها الأدمعُ

فالتكرار جاء بتكرار جملة (لولا الحنين لما بكيْتُ) باختلاف طفيف في بعض الكلمات، وهو بهذه الصورة أقحم في بناء هيكل النص، فأصبح الوسيلة الفعالة التي تنبض بالحركة داخل القصيدة، وأضفى موسيقى مؤثرة تبعث الانتباه لدى المتلقين بمدى حجم تأثير الحنين الذي جعل الشاعر يبكي

ويغضب ويأسى ويتألم. وتكرار كلمة (الحنين) عملت على بعث دلالات وإيحاءات وتموجات غنية، لما لمكانتها من وقع وصدى في نفس الشاعر.

ومن ثم يأتي تكرار المقطع أو البيت الشعري عند الزركلي، وهو تكرار يعنى بإيقاف المعنى لبدء معنى جديد، وهذا التكرار لم يضر بالقصيدة، إلا أنه لم يفدها كثيراً، وربما كان أجمل لو حذفه الشاعر، فالقصيدة من دونه لا تخسر شيئاً<sup>(٧٧٠)</sup>، إلا أن ذلك أتى عند الزركلي لتأكيد المعنى، وفي قصيدة (نشيد حطين)<sup>(٧٧١)</sup> يقول الشاعر:

في ذمة الأحقاب والفلك الدَّواز  
شهابٌ مجدٍ غاب في حلك الأعصار

فالشاعر في مقطوعته السابقة قام بتكرارها في ذات القصيدة تسع مرات، إذ بدأ القصيدة بها وانتهى بها، وهو تكرار لم تكن له الفائدة الكبيرة، وإنما أتى به الشاعر ليؤكد على ضياع المجد الوطني في دوامة الأحداث.

وثمة ظاهرة مهمة استخدمها الزركلي من ضمن أساليبه في معجمه الشعري، وهو استخدام بعض الأدوات اللغوية المهمة، كما في اسم الفعل (آه)، إذ يستخدمها الشاعر لتحمل معها دلالات هذا اللفظ، الذي يأتي مشبعاً بالتحسر واللهفة، وتكون بمثابة ما يجيش في نفسه من شعور وإحساس ملتهب، فالشاعر يستنفذ كل شعوره وأحاسيسه الملهبة بما تسعفه هذه الآهات من طول نفس في الذهاب إلى تفجير طاقاته النفسية داخل ألفاظه، فتأتي ألفاظه مشبعة بالحسرات والآلام.

ومن النماذج التي تحمل هذا الاستخدام، ما نجده في قصيدة (حسبكم اليسر)<sup>(٧٧٢)</sup>، والذي يقول فيها الشاعر:

آه والوعدة الفقير وبؤس المعدم المستكين للمقدور!

---

(٧٧٠) نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص 269 – 270، دار العلم للملايين، بيروت، ط 13، 2004م.

(٧٧١) الديوان، ص 50

(٧٧٢) الديوان، ص 223

فالمتمأمل يلحظ أن الألفاظ أتت مشبعة بالحسرة والتلهف على الفقير، من خلال ما أفرغه الشاعر في لفظة (آه)، وذلك بما لاح في نفسه من شعور وإحساس تجاه الفقير، فأنت اللفظة تصوير لما يعتزك من شعور داخلي.

وعندما يحس الشاعر بالفقد والغربة والبعد والنوى، فإننا نراه يستخدمها وذلك لما يلقاه من حيرة وشوق وبعد عن الأهل والأصحاب، وربما أن استخدامها يشعر الشاعر بنوع من الارتياح النفسي، ففي قصيدة (حنين)<sup>(٧٧٣)</sup> يقول الشاعر:

واقرا الآل سلامي، وادعهم فإذا أصغوا لأنبائي، فاتل:

آه ! وحيرةٌ مُضني حلّ في "بعلبك" حيثما سار يَضِلُّ!

وفي موضع آخر نرى الشاعر يعتبر الآه في الموجود أما ما كان في الوجود فهو لا يدخل في نطاق التأوه، وربما يأتي ذلك من عظم فقدان الشيء المتأوه من أجله، ففي قصيدة (بمسي ويصبح)<sup>(٧٧٤)</sup> نجد الشاعر يتأوه على ما يراه من واقع العرب الذي لا يسر ولا يفرح الذوات، ثم يلحقها بالآه الأخرى، ليقول بأن التأوه على واقع العرب لا ينفع ولا يجدي:

آهٍ ، ولو نفعت آه للذتْ بها هيهات ينفعُ فيما ناب تأويهي !

من لي بثائرة في العُربِ توقضهم والعُربُ في سنةٍ مما نعانِيه ..

فالآه هنا أتت مدلة على حسرات وتوجعات الشاعر تجاه العرب الذين تقاعسوا عن ممارسة المجد والوصول إلى قممه. واستخدام الشاعر هذه الأداة في مواضع من أشعاره يدل على أن الشاعر في شعره الإنساني يستلهم في شعره ما استطاع من جميع إمكانات اللغة التي تعبر عما يريد وتربط حالته النفسية بالإبداع الشعري، فيكون هناك تواصل دائم مع كافة أشكال اللغة.

---

(٧٧٣) الديوان، ص261

(٧٧٤) الديوان، ص170

## المبحث الرابع: الموسيقى

تعد الموسيقى الشعرية من أهم المعطيات والعناصر التي بالإمكان أن نميز بها الشعر عن باقي الفنون المختلفة، وفي بلورة التشكيل الجمالي للنص الشعري، لما تتميز به من إيقاع خاص وروعة تشكيلة تثير فينا النغم والطرب؛ فالكلام الخالي من الموسيقى لا يثير فينا الانتباه والتميز بل يجلب للقراء الملل والسأم كاعتباره أي كلام ونطاق تواصلية مختلف. ولذا يقول إبراهيم أنيس "الكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباهاً عجبياً؛ وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة، ننسجم مع ما نسمع من مقاطع؛ لتتكون منها جميعاً تلك السلسلة المتصلة الحلقات، التي لاتنبو إحدى حلقاتها عن مقاييس الأخرى، والتي تنتهي بعدد معين من المقاطع بأصوات بعينها نسميها القافية" (٧٧٥). لذا فالعنصر الموسيقي من النقاط المهمة في العمل الفني في الشعر، "فإذا خلا الشعر من الموسيقى أو ضعفت فيه إيقاعاتها، خَفَّ تأثيره، واقترب من مرتبة النثر.." (٧٧٦).

ولأهمية الموسيقى في الشعر فقد اهتم بها الشعراء والنقاد المتقدمون والمتأخرون وأكدوا على قيمتها الفاعلة في القصيدة وأنها العمود الفقري في القصيدة؛ إذ رأى ابن رشيق أن الوزن هو أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية (٧٧٧)، والقافية هي البيت كله (٧٧٨)، وذهبوا إلى جمع بحور الشعر وتنميطها وتقسيمها إلى بحور صافية ومركبة ومجزوءة ومشطرة، وقافية مطلقة ومقيدة، وتمثلت في عدة فنون كالمخمسات والمسمطات والموشحات، وكل ذلك وأكثر ينبع من مدى قيمة الموسيقى في معمار القصيدة العربية ومدى الاهتمام بها وأثرها في قيمة الشعر.

---

(٧٧٥) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 13

(٧٧٦) د. محمد علي سلطاني، العروض وموسيقى الشعر العربي، ص 7، جامعة دمشق، ط 1، 1982م.

(٧٧٧) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، ج 1، ص 113

(٧٧٨) الكتاب السابق، ج 1، ص 130-131

ويقصد بالموسيقى الشعرية: الجوانب النغمية في القصيدة، متمثلة في الأوزان والقوافي، وفي الروافد النغمية المتمثلة في تساوي أجزاء الكلام، وحسن التقسيم، والتوازي في الصياغة والتكرار، والجناس بأنواعه، وفي تكرار الحروف وتقاربها وتجاورها، بالإضافة إلى التقفية الداخلية<sup>(٧٧٩)</sup>.

والموسيقى الشعرية في ضوء النقد الحديث قسمها النقاد إلى موسيقى خارجية وأخرى داخلية، والخارجية تقصد بها نمطين اثنين: الأول منها هي الأوزان الشعرية والذي نعني به علم العروض، والثاني هي القوافي والذي يقصد بها علم القافية. وأما الموسيقى الداخلية فنقصد بها الجوانب النغمية التي تضيف نوعاً من الموسيقى على الألفاظ كالتكرار والتصريع وحسن التقسيم والمقابلة وغيرها من العناصر المختلفة.

ونحن سوف نتناول الموسيقى الشعرية في شعر الاتجاه الإنساني عند خير الدين الزركلي في هذا الإطار السابق من خلال موسيقى خارجية ومن ثم موسيقى داخلية تليها.

## 1- الموسيقى الخارجية :

### 1- الأوزان :

الوزن الشعري هو أحد الأنماط الأساسية التي يتركز عليها الشعر، وهو يعد من الضروريات في ممارسة الشعر ولا يمكن الاستغناء عنه لأنه " الوسيلة التي تمكن الكلمات من أن يؤثر بعضها في البعض الآخر.." <sup>(٧٨٠)</sup>، وهو ما عرف عند علماء العربية بعلم العروض، والذي قام بتنميته وتوزيعه إلى خمسة عشر مجراً الخليل بن أحمد الفراهيدي ومن ثم ألحق إليها البحر السادس عشر تلميذه الأخفش الأوسط.

---

(٧٧٩) بتصريف من د.بريكان الشلوي د. فوزي خضر، في العروض والقافية، ص 22-23، خوارزم العلمية للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1428هـ - 2007م.

(٧٨٠) رشاردز، مبادئ النقد الأدبي، ترجمة د.مصطفى بدوي د. لويس عوض، ص 194، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة مصر، 1963م.

وبالإمكان معرفة مفهومها بأنها ذلك القالب الموسيقي الذي يسكب فيه الشاعر إبداعه وفق مجموعة من التفعيلات المتكررة في البيت الشعري. والأوزان الشعرية نمطان اثنان: نوع يسمى بالبحر الصافية أو البسيطة وهي التي يتكون البيت فيها من خلال تكرار تفعيلة واحدة، وهي تشمل سبعة بحور هي المتقارب والمتدارك والرجز والكامل والرمل والهزج والوافر، والآخر ما يسمى بالبحور الممتزجة أو المركبة وهو التي يتكون منها البحر من خلال تكرار أكثر من تفعيلة، وهي تشمل تسعة بحور هي الطويل والبسيط والخفيف والمديد والسريع والمنسرح والمضارع والمقتضب والمجتث.

وبنظرة مجملية في شعر الزركلي يلفت الانتباه إلى أن الشاعر ركز على الأوزان الشعرية الموروثة، حيث رأينا مدى إعجابه بالتراث الشعري عند الشعراء المتقدمين وسيره على منوال ما ورث منهم من أشعار، حيث كان شعر الاتجاه الإنساني في ديوانه بما يقارب مئة قصيدة أكثرها كانت تنضوي تحت محيط القالب الكلاسيكي المعروف الذي يعتمد على الوزن والقافية الموحدة، ومنها بالعدد الجيد ما يعتمد على الفنون المستحدثة كالمقطعات المفردة والمزدوجة والمربعة والخمسة، والمشطرات وغيرها من الفنون المختلفة.

ومحافظة الشاعر على القالب الكلاسيكي التقليدي الذي يعتمد في نظامه التقليدي القديم المكون من نظام البيت ذي الشطرين والبحر الواحد والقافية التي تتردد في كل أبيات القصيدة تشكل ظاهرة بارزة في الديوان، ومن تلك القصائد على سبيل المثال قصيدة (البائسة)<sup>(٧٨١)</sup>، وهي كغيرها من القصائد الجملة التي حافظ الشاعر على قالبها الكلاسيكي المعروف الذي يعتمد في كامل القصيدة معتمداً على بحر واحد وقافية موحدة في جميع أطراف القصيدة. وفي مطلع القصيدة نجد الشاعر يقول:

تَحْرَقُ أَسَىٰ إِنْ كَانَ يُجْدِي التَّحَرِّقُ      وَلَا تَحْتَبَسُ مَا جِئْتُ عَيْنَكَ مُطْلِقُ

والمأمل الكريم في البيت السابق يرى أن موقف الشاعر من التراث القديم المعتمد على القالب الكلاسيكي المعروف كان موقفاً إيجابياً، حيث حافظ على النظام التقليدي للقصيدة الذي يعتمد

على شطرين لكل بيت من أبيات القصيدة معتمداً الشاعر فيها على البحر الواحد وهو البحر المركب (الطويل) (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن) والقافية الموحدة.

واختيار الشاعر بحر الطويل يدل على أن اختياره كان اختياراً موفقاً، فقد انتقى بجرأً فخماً رصيناً يعتبر أصلح الأوزان لسرد الحوادث وتدوين الأخبار ووصف الأحوال<sup>(٧٨٢)</sup>، فقد وصف الشاعر الأحوال التي لحقت العالم الإنساني جزاء الحرب الكونية الأولى وذهب ضحيتها الملايين من الناس من خلال وصفه لتلك المرأة البائسة التي لحقها الشقاء والعناء والفقر والبلاء بسبب مقتل من يعولهم ويؤمن قوتهم، وذلك في أسلوب حوارى إنساني رائع استطاع الشاعر في اتخاذ البحر الطويل إطاراً موسيقياً أن يلقي الضوء عن كثب لهذا المشهد الحوارى والوصفى لطبيعة حجم الألم، فقد أعطى له الحرية وأتاح له الفرصة في استبيان مايجول بخاطره من رائع الألفاظ النقية المعبرة عن الحزن ومن هامس الكلم الذي يخاطب به العالم الإنساني كله إذ تكفي لأن تكون جديرة بأن يستعطف بها قلوب الكون بأكمله في كافة أطيافه.

ويستخدم الشاعر البحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن) من خلال القالب الموسيقى الكلاسيكي كذلك، وهو يعتبر من أصلح البحور لإظهاراً العاطفة<sup>(٧٨٣)</sup>، وهو بحر استخدمه الشاعر في عدة مواقف إنسانية فمثلاً نجده يستخدمه في الوقفات مع محن الوطن وفي الدفاع عنه وفي الإحاء والمساواة وفي موقفه من الحرب، ومن ذلك ما نراه على إثر وقعة ميسلون في قصيدة (الفاجعة)<sup>(٧٨٤)</sup> والذي يقول في مطلعها:

---

(٧٨٢) محمود عسران، موسيقى الشعر، ص 180، مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2007م.

(٧٨٣) د. محمد النوبهي، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، ج1، ص61، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

(٧٨٤) الديوان، ص116

اللَّهُ لِلْحَدَثَانِ كَيْفَ تَكْيِيدُ بَرْدَى يَغِيضُ وَقَاسِيُونَ يَمِيدُ  
هَلْفِي عَلَى وَطَنِ يَجُوسُ خِلَالَهُ شُدَادُ آفَاقٍ شَرَادِمُ سُودُ !

فالشاعر من خلال القصيدة أظهر من خلال استخدام الكامل الغضب العام على المستعمر وأبدى تعاطفه الشديد مع أبناء الوطن الذين كانوا ضحية العدوان الآثم، فكان البحر الكامل جديراً بأن يظهر عاطفة الشاعر السلبية تجاه المعتدي والإيجابية تجاه المعتدى عليه، كما يلحظ أن الشاعر في استخدام التفعيلة (متفاعلمن) أدخل إليها الإضمار - في بعض أجزاء القصيدة - وهو إسكان الحرف الثاني المتحرك، وهي تعتبر من الزحافات المستحسنة في بحر الكامل<sup>(٧٨٥)</sup>، وربما يرجع ذلك إلى أن الإسكان يناسب عاطفة الشاعر وحالته النفسية المتألمة التي تبحث عن سكون العالم ودعوتهم إلى السلام، فبعض النقاد يرى أن الزحافات والعلل جاءت من أجل أن " يوفق الشاعر بين حركة نفسه والإطار الخارجي"<sup>(٧٨٦)</sup>.

ويأتي بحر الرجز (مستفعلن مستفعلن مستفعلن) بمكانة لا يستهان بها إذ يعتبر أكثر البحور استخداماً لدى الشاعر، وربما يرجع ذلك لسهولة النظم عليه ولكثرة علله وجوازاته، فبالإمكان أن نحذف حرفاً أو حرفين في التفعيلة الواحدة وتبقى صحيحة ويبقى البيت موزوناً، وقد ورد هذا البحر في قصائد (نجوى، هيابنا، حمل النعاة الهول، العلم البريطاني، عبدالعزيز، المهرجان....)، وفي قصيدة (عبدالعزیز)<sup>(٧٨٧)</sup> والذي يقول فيها الشاعر :

جُودٌ كَمَنْهَلِ السَّحَابِ وَمَا الْغِنَى بِمَحَبِّ لَوْلَا النَّدى وَالْجُودُ

فالمتأمل في البيت السابق يلحظ مدى البساطة وسهولة النظم لدى الشاعر عند استعمال اللغة مع وزن الرجز، إذ اتسع المجال ليعبر الشاعر عما يريد بكل طلاقة ويسر دون قيود وزنية.

---

(٧٨٥) انظر د.محمد رضوان، العروض، العروض وموسيقى الشعر، ص 55، مطبعة طربين، 1407 هـ - 1987م.

(٧٨٦) التفسير النفسي للأدب، ص72

(٧٨٧) الديوان، ص303



ويستخدم الشاعر بحر الرمل كذلك (فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن) تماماً كما في قصيدة (حنين)<sup>(٧٨٨)</sup>، ومجزوءاً كما في قصيدة (مد وجزر)<sup>(٧٨٩)</sup>، وبحر الوافر (مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن) لم يغفله الشاعر بل كان من ضمن الأوزان الشعرية التي تم استهلاكها، ومن ذلك ما نجده في قصائد (سعد وسعدى، الجزائر..). وفي قصيدة (الجزائر)<sup>(٧٩٠)</sup> والذي يقول في مطلعها:

أَمَّا لِدَوِيَّ جَلْجَلَةَ الرُّعُودِ سَمِيعٌ فِي التَّهَائِمِ وَالنُّجُودِ

واستخدام الزركلي للأوزان الشعرية يلفت الانتباه بأن عاطفة الشاعر هي من تقوده إلى اختيار الوزن، وذلك بما يتناسب مع شعوره وإيقاعات ذاته التي تكون هائجة أو ساكنة أو متأججة بالألم أو متحوّلة حول السعادة والفرح، فمثلاً لو نظرنا إلى البحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن) والذي يعد من البحور التي تمد نفس الشاعر وتعطيه حرية التعبير والقدرة على الحوار<sup>(٧٩١)</sup>، فضلاً عن قبوله لمسايرة مواقف الصلابة والرقّة؛ وذلك لما فيه من انبساط وانقباض تعطي الشاعر القدرة على التلوين الإيقاعي، لوجدنا أن الشاعر أثناء استخدامه يستخدمه ليعبر به عن مواقف مختلفة يدل على ما يجول في نفسه من مواقف الرقة والغضب، ففي قصيدة (مابال ساراي)<sup>(٧٩٢)</sup> يقول الشاعر:

إِجْهَرُ بِرَأْيِكَ لَا يَأْخُذُكَ تَرْوِيْعٌ لَا يَنْفَعُ الصَّوْتُ إِلَّا وَهْوَ مَسْمُوعٌ

ويقول الشاعر في قصيدة (فيم الوني)<sup>(٧٩٣)</sup>:

فِيمَ الْوَنِيِّ وَدِيَارِ الشَّامِ تُقْتَسَمُ أَيْنَ الْعَهْدُ الَّتِي لَمْ تُرْعَ وَالذَّمُّ؟

---

(٧٨٨) الديوان، ص 261

(٧٨٩) الديوان، ص 116

(٧٩٠) الديوان، ص 290

(٧٩١) د. أحمد مطلوب، الشعر في زمن الحرب، ص 24، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1، 1987م.

(٧٩٢) الديوان، ص 127

(٧٩٣) الديوان، ص 126

فالمتمأمل في البيتين السابقين يلحظ أنها أبانت عن مشاعر مختلفة تآزرت الوسائل التعبيرية فيما بينها حتى أبانت عن تجربة الشاعر وعن إبراز مكنونات النفس الداخلية، ففي البيت الأول كانت عاطفة الشاعر فيه صاحبة تنبئ عن مشاعر هائجة وثورية، بينما البيت الثاني فإننا نرى عاطفة موسيقية هادئة حزينة متعجبة متألمة، لذا كان البحر البسيط قادراً على التعبير عن معاني القوة والهجوم وعن معاني الرقة والألم، وهو دليل على أن الوزن الواحد عند الشاعر يكشف عن موقفين مختلفين ومن ثم أصبحت القصيدة عنده لها نغمها الخاص التي تتفق وحالة الشاعر النفسية<sup>(٧٩٤)</sup>.

ومن خلال ذلك يتبين أن الشاعر لا يختار وزن القصيدة قصداً وإنما عاطفته التي تجره إلى اختيار الوزن والقالب الموسيقي المطلوب؛ وبذلك يصبح هناك تناسب بينه وبين ألفاظه ومقصده المطلوب، ويصدق قول مصطفى السحرتي " إن غاية ما يقصد إليه هو اختيار القالب الموسيقي الذي يتفق مع الفكرة والموقف، فكل فكرة أو موقف يستلزم قالباً خاصاً، ومضمون الموقف يتطلب إيقاعات خاصة متماثلة مع ما ينطوي عليه الموقف من حالات نفسية مختلفة وانفعالات منوعة"<sup>(٧٩٥)</sup>.

ومن الأشكال الموسيقية التي تطرق لها الشاعر في تجربته الشعرية المقطعات، " وقد اشتهر شعراؤنا بهذا النمط .. وهي تكشف عن المساحة التي احتلتها، وهي لا تنفصل بأي حال عن شعرنا الكلاسيكي القديم، ولكنها شكل من أشكال التجديد، قريبة الشبه من الموشح، تمتاز بكسر النمطية والنظام الذي يسري في الموشح"<sup>(٧٩٦)</sup>، وهي عبارة عن تشكيل موسيقي يأتي به الشاعر بما يتناسب مع تجربته من تنوع في القوافي متى ما شاء، ومن اختيار في الأوزان الخفيفة، وهي تأتي على عدة أشكال أولها المقطعة المفردة، التي هي " مجموعة الأبيات التي صاغها الشاعر في حدود المقطوعة،

---

(٧٩٤) انظر التفسير النفسي للأدب، ص71

(٧٩٥) مصطفى عبد اللطيف السحرتي، الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث، ص140، القاهرة.

(٧٩٦) النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص167

وعبر عنها من خلالها عن حالة شعورية معينة لم يستطع الامتداد بها إلى مسافة أطول لتشكيل القصيدة<sup>(٧٩٧)</sup>.

ومن النماذج التي تسري على هذا الشكل من المقطوعات قصيدة (خيركم)<sup>(٧٩٨)</sup> والتي جاءت على ستة أشطر في غضون ثلاثة أبيات، من خلال قافية موحدة، وعلى بحر المديد (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن)، وهو من البحور التي ظهرت بقلة عند الشاعر، فهو من الأوزان التي فيها " صلابة ووحشية وعنف، وهو على بساطة نغمه يعسر على الناظم؛ لأن تفعيلاته تتطلب كلمات متقطعة، وأحسب هذا العسر هو الذي جعل الشعراء يتحامونه، ثم إن مثل هذا التقطيع في ذاته شيء لا يقبله الذوق إلا في الحالات النادرة كموقف الغضب الشديد"<sup>(٧٩٩)</sup>، ولذا نجد الشاعر بغضب عن الناس الذي يكتزون المال والخير، ولا يؤثرون به فيطعمون به الجياع والمعتفين والمستغيثين:

أيها الناسُ ما لبعضكمُ ضنٌّ ببعض المكنوز والموروثِ  
أفضلُ المالِ ما كفاكم ووقاكم خضوعاً لفاجرٍ أو خبيثِ  
خيركمُ مُطعمُ الجياعِ ومعطي مُعتفيهِ ومُسعفُ المستغيثِ

وأما الشكل الآخر من المقطعات هي المقطوعة المزدوجة التي تختلف في أبياتها القوافي عن بعضها وتتلاقى الأشطر وتتشابه، وهي كما يقول إبراهيم أنيس "المزدوج تتميز فيه القافية مع كل بيت .. وتكون الأبيات مصرعة، فقافية الشطر الأول هي نفس قافية الشطر الثاني"<sup>(٨٠٠)</sup>.

---

(٧٩٧) نفس الكتاب السابق، نقلاً عن رشيد أيوب - حياته وشعره، عيسى مكنأ، ص152

(٧٩٨) الديوان، ص107

(٧٩٩) عبدالله الطيب المجذوب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج 1، ص77-78، الدار السودانية، بيروت، ط1، 1970م.

(٨٠٠) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص300

ومن النماذج التي تنطوي تحت هذا الشكل قصيدة (في سورية) <sup>(٨٠١)</sup> عندما أظهر فيها الشاعر

ظلم العدو على أمته وإبداء ثورة الشاعر على هذا الظلم، والتي جاء بها الشاعر مقسمة إلى ثلاثة أقسام كل قسم مكون من بيتين ومجزأ إلى أربعة أشطر، الأشطر الأولى فيها تكون قافيتها متشابهة مع الأشطر الثانية مع تنوع واختلاف كل بيت عن البيت الذي يليه في القافية، والوزن الشعري أتى على بحر الرمل، إلا أن المتأمل يلحظ الكسر الذي لحق البيتين المتصدرين عندما انتقل الشاعر من الرمل إلى الرجز؛ وذلك في كلمات (فزمجرت/متفعلن، وانفجرت/مستعلن، فزأرت/متعلن، واستعرت/مستعلن):

ساسَ بِالظُّلْمِ عُتَاةٌ أُمَّةٌ فزَمَجَرْتُ – وانفَجَرْتُ

حُمِّلْتُ مَا لَمْ تُطْقَهُ مِنْ أذَى، فزَأَرْتُ – واستَعَرْتُ

وبدا مَشَعْلُهَا ، خَطَّ عَلَيْهِ الأَبْدُ :

إنَّه الثائر ، لا يقوى عليه أحدُ !

وكذلك المقطعات المربعة هي الأخرى ظهرت عند الزركلي، وهي تعني " ذلك الشعر الذي يقسم فيه الشاعر قصيدته إلى أقسام يتضمن كل قسم منها أربعة أشطر، ويراعي الشاعر في هذه الأشطر الأربعة نظاماً ما للقافية <sup>(٨٠٢)</sup>.

وقد ظهرت المقطعات المربعة عند الشاعر على إطارين مختلفين في القافية، الإطار الأول منها: ما يتفق الشطر الأول والثالث في القافية الواحدة، والثاني والرابع في القافية الواحدة مختلفة عن سابقتها. ونموذجه ما نراه في قصيدة (الدهر) <sup>(٨٠٣)</sup> المكونة من بيتين توافقت فيه قافية الشطر الأول مع الثالث والشطر الثاني مع الرابع، منظومة على البحر الطويل مبيناً الشاعر فيها موقفه من الدهر بنظرة إسلامية قويمية:

---

(٨٠١) الديوان، ص71

(٨٠٢) موسيقى الشعر، ص303

(٨٠٣) الديوان، ص330

هل الدهرُ إلا ساعةٌ تلوَ ساعةٍ تَمُرانِ لا حُلُوٌّ يدومُ ولا مُرٌّ  
وكيفَ يلومُ الدهرَ شاكي مُلممةٍ وليس بأيدي الدهرِ نفعٌ ولا ضرٌّ

والإطار الثاني: ما تتفق وتتشابه فيها الأشطر الثلاثة الأولى في القافية مع اختلاف الشطر الرابع عن سابقه، ومثاله نجده في قصيدة (هيّا بنا) <sup>(٨٠٤)</sup> والذي قسم فيه الشاعر قصيدته إلى ثلاثة أقسام كل قسم منها يتكون من بيتين، وكل بيتين فيها تتكون من أربعة أشطر، الأشطر الثلاثة الأولى منها متفقة القافية بينما الشطر الرابع يختلف عن سابقه، وهو موزون على مجزوء الرجز (مستفعلن مستفعلن) متكررة أربع مرات في كل بيت، وهي من الأناشيد الوطنية التي اشتهر بها الشاعر:

نحنُ بني العُرب الكرامُ من شأننا حفظ الدِّمامِ  
وضيفنا ما إن يُضامِ ومن يضيفنا ضيفنا  
سلِ النُّهى فهَيّ الشهودُ تعزوا لنا صدق الوعود  
سل الوفاء بالعهود هل ينتمي إلّا لنا؟

وفي بعض الأحيان قد يخرج الزركلي عن هذا النمط فيهمل التشابه بين قافية الشطر الأول والثالث مع الاحتفاظ بالتشابه بين قافيتي الثاني والرابع، ومثال ذلك قصيدة (الناسُ كالماء) <sup>(٨٠٥)</sup>، مبدياً الشاعر فيها نظرة حكيمة في معايشة الأصدقاء، منسوج على بحر الرجز:

تُخذ ما صفا لك من وُدٍّ ومن خُلُقٍ فيمن تُعاشِرُ تنعم بالأخلاءِ  
والناسُ كالماءِ إن أرضاك سلسلُهُ فلا تُنقَبِ عن المكنونِ في الماءِ!

ولعل ولع الزركلي بهذه المقطعات التي تعتمد على التنوع في أطوار القوافي والتحلل من قيودها القديمة قاده إلى المشطر، الذي "هو نوع من الشعر ينظر فيه إلى الأشطر لا الأبيات، ويتخذ فيه من كل شطر وحدة مستقلة" <sup>(٨٠٦)</sup>.

(٨٠٤) الديوان، ص 25

(٨٠٥) الديوان، ص 39

وقد ظهر ذلك عند الزركلي في قصيدته (كلمات) <sup>(٨٠٧)</sup>، حينما وضع قصيدته على نظام الأشر لا الأبيات، واتخذ من كل شطر وحدة مستقلة، متفقة جميعها بنظام القافية الموحدة، ومنظومة على مجزوء الرمل:

خَلَّ عَنْكَ الْيَأْسُ إِنَّ الْيَأْسَ دَاءٌ مَخْتَرِقٌ  
وَتَاهِبٌ لِعَوَادِي الدَّهْرِ فَالدَّهْرُ حَنِيقٌ!  
وَأَسَى مَا اسْتَطَعَتْ بِالنَّاسِ الظُّنُونُ لَا تَشِقُ  
كُلُّ خَلٍّ مُتَخَلِّ كُلُّ جَمْعٍ مُفْتَرِقُ  
وَإِذَا مَكَنْتَ مِنْ خَصْمِكَ فَاسْبِقْ وَانْطَلِقْ!  
رُبَّ رَامٍ وَدَّ بَعْدَ الرَّمِيِّ لَوْ كَانَ رَفِيقُ ..  
وَعَفُوٌّ عَضَّ بَعْدَ الْعَفْوِ كَفًّا وَشَهْتَقُ ..  
زُمُرُ الْخَيْرِ غُفَاةٌ! وَفِي الشَّرِّ أَرْقُ!  
إِنَّمَا يَطْلُبُ بَاغِي الْعُرْفِ شَخْصًا مَا خُلِقَ!

ونظرة الشاعر إلى الأشر لا الأبيات، أظهر عنده في قصائده ما يسمى بالمخمسات كتقيد وتقييد أكثر لتلك المشطرات؛ وفي ذلك " يقسم الشاعر مقطوعته إلى أقسام يتضمن كل قسم منها خمسة أشطر، لها نظام خاص في قوافيها، وقد يكون كل قسم من هذه الأقسام مستقلاً في قوافيه وأوزانه" <sup>(٨٠٨)</sup>.

ومن نماذج تلك المخمسات التي ظهرت عند الزركلي ما قسم الشاعر قصيدته إلى عدة أقسام كل قسم منها تشترك فيه وتتشابه فيه جميع القوافي، كما في قصيدة (عصفورة النيريين) <sup>(٨٠٩)</sup>، عندما

---

(٨٠٦) موسيقى الشعر، ص 302

(٨٠٧) الديوان، ص 167

(٨٠٨) موسيقى الشعر، ص 305 - 406

(٨٠٩) الديوان، ص 93

قسمها الشاعر إلى أربعة أقسام كل قسم منها يتكون من خمسة أشطر تشترك جميعها في قافية واحدة، وعلى بحر واحد هو مخلع البسيط (مستفعلن فاعلن فعولن):

عُصفورة النيرين غنّي .  
وازوي حديثَ الأنينِ عني !  
أنا المعنى ، وما المعنى  
غيرُ حنينٍ ، أذابَ مني  
شعافِ قلبي ، وحسنَ ظني !

وقد يظهر نوع آخر من تلك الخمسات عند الزركلي وهو أن يخالف قافية الشطر الخامس عن الأشطر الأربعة السابقة، كقوله في قصيدة (نشيد المعركة)<sup>(٨١٠)</sup> على مشطور الرجز:

لسنا نُبالي عَدَدِ العُدَاةِ  
ولا لِقَاءَ القَادَةِ الكُمَاةِ  
نُغَيِّرُ بالسُّرْعِ والطُّبَاةِ  
ونؤثر الموتَ على الحياةِ  
دمُ الطُّلى إلى العُلى سبيلُ

والتأمل في القوالب الموسيقية السابقة أن الشاعر أطر هيكل قصيدته بما يتناسب مع تجربته فنراه في البداية التزم بالقالب الكلاسيكي الاتباعي، ومن ثم بعد ذلك شكل في الهيكل البنائي لقصائده بما يحلو له من تنويع وتبديل في القوافي، واستخدم معظم البحور الشعرية سواء البحور الصافية أو البحور الممتزجة.

وأما القالب الموسيقي الأخير الذي استخدمه الشاعر تبعاً لما سبق هو الموشح، الذي اتخذ منه الشاعر إطاراً لشعره الإنساني، وقالباً موسيقياً يتغنى فيه بقصائده. فالموشح أولع به الشعراء لما يحمله

من قيمة موسيقية أكثر من أي شكل في الأدب العربي، ومن تلبية جامحة للربفة الساكنة في الأنفس، وبما يتميز به الموشح من اللغة البسيطة التي يحملها، والشعراء في ذات الشأن ينادون بضرورة اقتراب الشعر من الإنسان العادي<sup>(٨١١)</sup>.

والموشح هو " منظومة غنائية لا تسير في موسيقاها على المنهج التقليدي الملتزم لوحدة الوزن ورتابة القافية؛ ولكن إنما تعتمد على منهج تجديدي متحرر نوعاً ما، بحيث يتغير الوزن وتتعدد القافية، ولكن مع التزام التقابل في الأجزاء المتماثلة"<sup>(٨١٢)</sup>.

ويتألف الموشح في الغالب من مطلع وخمسة أبيات، ويعتبر تاماً إذا بدأ بالمطلع وأقرب إن خلا من ذلك، ويتكون البيت من قسمين متكاملين هما الدور والأجزاء فيه تسمى "أغصان"، والقفل والأجزاء فيه تسمى "أسماط"، وأكثر أنماط البيت دوراناً "المربع" و"المخمس" و"المسدس" وأقلها أشكالاً ما كان غير ذلك.

والمتمامل في موشحات الزركلي يجد هيكلها البنائي يبنى على ثلاثة طرق: الطريقة الأولى مانراه في قصيدة (لم تف ياقمر)<sup>(٨١٣)</sup> وهو أبسط صور الموشح وأقدمها، الذي التزم فيه الشاعر بقواعد التوشيح من مطالع وأدوار وأقفال، بحيث بدأ الشاعر فيه بالقفل المكون من شطرين على بحر الرجز، ومن ثم بالبيت التوشيجي المؤلف من دور مشطر من ستة أغصان على بحر الكامل، ومن قفل مكون من سمطين على بحر الرجز، ومن ذلك:

لَمْ تُبْقِ أَيْدِي الْحَادِثَاتِ وَلَمْ تَدْرِ فَعَلَامَ تَضْحَكُ فِي سَمَائِكَ يَا قَمْرُ

أَرَأَيْتَ تَائِهَةً عَلَى أَتْرَابِهَا

فَتَّانَةً بِسُفُورِهَا وَحِجَابِهَا

---

(٨١١) انظر النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص 164

(٨١٢) د. أحمد هيكل، الأدب العربي من الفتح حتى سقوط الخلافة، ص 139، دار المعارف، مصر، ط 12.

(٨١٣) انظر الديوان، ص 197



.....  
.....  
.....  
.....

ناجحتك شاكيةً تصاريفَ القَدَرِ وظللتَ تَضْحَكُ في سَمَائِكَ يا قَمَرُ !

والطريقة الثانية والذي استحسنت ونظم على منوالها الكثير من الشعراء، ما نراه في قصيدة (نشيد حطين) <sup>(٨١٤)</sup>، وهو كذلك التزم فيه الشاعر بالمطلع والدور والقفل، والذي بدأ فيه الشاعر يجعل المطلع مكون من أربعة أشطر مبنية على بيتين من الرجز (مستفعلن فاعلن)، بينما الأدوار تكونت من خمسة أبيات أجزاءها عشرة أغصان مأخوذة من الرجز كذلك (مستفعلن فعْلن)، والقفل مكون من أربعة أسماط مبنية على بيتين بنفس أبيات المطلع والبحر، ومن ذلك:

فِي ذَمِّهِ الْأَحْقَابِ وَالْفَلَكَ الْـدَوَاوِرُ

شِهَابٌ مَجْدٍ غَابَ فِي حَلِكِ الْأَعْصَارِ

الطَّلُّ الْبَالِي وَالشُّعُّ وَالغَيْهَـبُ

وَالشَّامُخُ الْعَالِي فِي السَّبَسِ الْأَرْحَبِ

وَالعَصْرُ الْخَالِي فِي الزَّمَنِ الْأَطْيَبِ

.....

.....

.....

.....

فِي ذِمَّةِ الْأَحْقَابِ وَالْفَلَكَ السَّوَارِ  
شَهَابٌ مَجْدٍ غَابَ فِي حَلِكِ الْأَعْصَارِ

والطريقة الثالثة ما نراه في موشح (العدراء) <sup>(٨١٥)</sup> وهو مختلف عن السابق، والذي نظمه الشاعر بدون أن يجعل له مطلع؛ وهو بذلك يسمى الموشح الأقرع، وبقيّة أجزاء الموشح تكونت من مشطرات الدور فيها كانت أجزاءه خمسة أغصان، بينما القفل تكون من سمطين.

وقد يلحق بهذا الموشح كذلك موشح (هدية الشمس) <sup>(٨١٦)</sup> ولكن مع اختلاف بسيط بحيث جعل الشاعر الدور مكونة أجزاءه من أربعة أغصان على بحر الرمل، والقفل مكون من ثلاثة أسماط على الرمل كذلك. ومنها يقول الشاعر:

نَشَرَ الْبَدْرُ جَنَاحاً فِي الدَّجَى وَالْمَلَأَ فِي سُبَاتٍ  
فَانْجَلَى عَنِ كَبَدِ الْيَمِّ الْعُبُوسِ الصَّدَأُ بِالْحَيَاةِ  
.....  
.....  
تَاجِهَا الطُّهْرُ حَلَاهَا الصَّوْنُ ، زِينَتُهَا بِالْجَمَالِ  
نَشَأَتْ رَاتِعَةً بَيْنَ نَعِيمٍ وَدَلَالٍ  
لَا تَعَانِي مَضُضَ الْأَيَّامِ أَوْ جُورَ اللَّيَالِ

---

(٨١٥) انظر الديوان، ص 349

(٨١٦) انظر الديوان، ص 119

## 2- القافية :

تعد القوافي هي الركن الثاني من الموسيقى الخارجية للقصيدة والشريك المهم المكمل للأوزان الشعرية، فقيل (الشعر موزون مقفى..)؛ وذلك للأهمية التي تحملها في ذاتها داخل الإطار الشعري وما تقوم به من متعة موسيقية وإيقاع نغمي يضفي على القصيدة عنصر الإثارة والإمتاع، "فالقافية ترنيمة إيقاعية خارجية، تضيف إلى الرصيد الوزني طاقة جديدة وتعطيه نبراً، وقوة جرس .. كما تضيف تنوعاً إلى الطاقة الإيقاعية الشعرية، وتعيّن الشاعر على التتابع، وصبّ انفعالاته، وتحديد نشاطه"<sup>(٨١٧)</sup>.

ونظراً لمكانة القافية فقد بين النقاد أثرها وجمالية تواجدها في القصيدة؛ ولذا يقول أحمد أمين محاولاً إظهار أثر القافية على القصيدة في قوله: "قد تكون القصيدتان في موضوع واحد ومن بحر واحد، ولكنهما تختلفان في القافية، فتختلفان في درجة التأثير"<sup>(٨١٨)</sup>.

وفي تحديد مفهومها فقد اختلف النقاد في تحديد ماهيتها جاعلينها تارة حرف الروي الذي تبني عليه القصيدة<sup>(٨١٩)</sup>، وتارة آخرة كلمة في البيت ... إلى أن حسم الجدل الخليل بن أحمد فقال: "ليست القافية حرف الروي، ولا الكلمة الأخيرة من البيت، ولا البيت نفسه، بل القافية هي الجزء الأخير من البيت المحصور بين آخر ساكنين ومتحرك قبلها"<sup>(٨٢٠)</sup>.

والحديث عن القافية في شعر الزركلي يجدر بنا القول بأن الشاعر التزم بالقافية الموحدة التي يتلزم بها من بداية القصيدة إلى نهايتها بحرف روي واحد، ومن ثم نجد أن الشاعر قام بتقليبها كيفما يشاء

---

(٨١٧) عبدالرحمن ألوجي، الإيقاع في الشعر العربي، ص 71-72، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ط 1، 1989م.

(٨١٨) أحمد أمين، النقد الأدبي، ص72، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، 1957م.

(٨١٩) حرف الروي: هو آخر حرف صحيح في البيت، تبني عليه القصيدة وإليه تنسب.

(٨٢٠) د.أحمد عبد المجيد خليفة، في الموسيقى الشعرية، ص146-147، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث، ط 1، 2002م.

فظهرت عنده المقطعات المربعة والمفردة والخمسة..، ومن بعدها ظهر عنده بما يسمى بالموشحات، وكل ذلك قد سبق الحديث عنه في إطار الأوزان الشعرية<sup>(٨٢١)</sup>.

والنهج الذي اتبعه الشاعر في هذا التنوع بين القوافي يأخذنا إلى نتيجة الاتباع والتحديد الذي سلكه الشاعر في اقتفاء من سبقه من الشعراء في الالتزام الشكلي الكلاسيكي والحدثة التي لحقت الشعر العربي من تنويع وتبديل.

وإذ استعرضنا الشعر العربي لوجدنا أن معظم حروفاً الهجاء أتت حروف للروي المقترن بالقافية؛ ولكنها تختلف بنسبة شيوعها، فمنها ما يأتي بكثرة كالراء، اللام، الميم، النون، الباء، الدال، السين، العين. ومتوسطة الشيوع كالقاف، والكاف، والهمزة، والحاء، والفاء، والياء، والجيم. وقليلة الشيوع كالضاء، والطاء، والثاء، والهاء، والتاء، والصاء. وحروف نادرة الظهور كالذال، والغين، والحاء، والشين، والزاي، والواو، والظاء<sup>(٨٢٢)</sup>.

وبدأ ذلك واضح العيان في قصائد الزركلي، إذ نرى أن الشاعر بعد الإحصائية لقوافيه كانت أحرف الروي لديه المقترنة بالقافية تنطوي تحت السابق بنسبة عالية، لذا رأينا بأن الباء، والدال، والراء، واللام، والميم، والنون في المقدمة، ومن ثم يليها التاء، والسين، والهمزة، والعين، والقاف، والفاء، والياء، ومن ثم بقية الحروف والتي بعضها لم يذكر بتاتاً.

وهذه الإحصائية توضح لنا مدى الالتحام مع الشعراء المتقدمين في اقتفاء القافية، لهذا نرى الشاعر حرص على اختيار قوافيه من خلال تجنبه للقوافي التي يمجها السمع وينفر منها الذوق كحروف الشين والذال والثاء..، وهو بذلك لم يخرج عن الذوق العام الذي ساد عليه الشعر العربي القديم من اختيار للقوافي.

---

(٨٢١) انظر بداية المبحث الرابع (الموسيقى الشعرية - الأوزان).

(٨٢٢) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 248

بالإضافة إلى أنه اتبع بعض الشعراء في اختيار بعض القوافي، فأبو العلاء المعري اشتهر بلزوم ما لم يلزم في القافية؛ وهو التزام حرف آخر أو حرفين قبل الحرف الأخير المسمى بالروي، ففي عدة قصائد نجد الشاعر يقتفي أثر أبي العلاء في ذلك، ومن ذلك في قصيدة (هذا ينادي) <sup>(٨٢٣)</sup> نرى الشاعر التزم بحرفي الألف والجيم في كافة أبيات القصيدة:

أَيُّهُ نَفْسٍ مِنْ أَسَى نَاجِيَهُ وَالنَّاسُ فِي حَالِكِهِ دَاجِيَهُ  
هذا ينادي: منصبي منصبي! وذاك: تاجي  
- ويحكم تاجيه!  
وإنما الفورُ لشعبٍ صحا والحُسْرُ حَظُّ الأُمَّةِ السَاجِيَهُ

ومن منطلق آخر قسم النقاد القوافي إلى قافية مقيدة، وقافية مطلقة. فأما المقيدة: فهي التي يكون فيها حرف الروي ساكناً. وأما المطلقة: فهي التي يكون فيها حرف الروي متحركاً إما بالكسر أو الفتح أو الضم.

ومن خلال استقصاء أنواع القوافي تحت هذا النطاق تبين لنا تواجد القافية المطلقة مضمومة كما في قصائد ( وطني، سماسرة، إلى العلم البريطاني، فلسطين، مابال ساراي، صرخة محزون، اللاجئ... ) والملاحظ أن أغلب هذه القصائد تعبر عن قوة شخصية الشاعر، وهي تعد الأكثر تواجداً من بين القوافي المطلقة الأخرى. وأما المكسورة كما في قصائد ( آمال وآلام، في مجمع الأيتام، شكوى، غريق بيروت، غريب، هنا وهناك .. ) فهي تعبر عن اللين والرقّة والعاطفة الحزينة؛ فالكسر يعبر عن لين العواطف وانكسارها <sup>(٨٢٤)</sup>، وهي الأقل عدداً من الضم والأكثر من الفتح. وأما الفتح كما في قصائد (نجوى، الغد، ناطحات السحاب، الحمل، القناص ..) فإنها تميل في الغالب إلى التأمل والقلق، وهي الأقل عدداً من بين صوبجاتها.

---

(٨٢٣) الديوان، ص156

(٨٢٤) انظر د. عبدالفتاح صالح نافع، عضوية الموسيقى في النص الشعري، ص 77، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط1، 1405هـ - 1985م.

وأما القوافي المقيدة فقد كان لها حضور أيضاً ولكنه لا يتعدى الحضور السابق، إذ المتأمل يلحظ التواجد الأكثر للقافية المطلقة؛ وربما يفسر ذلك اقتفائه أثر من سبقوه للقافية المطلقة، فهي من القوافي قليل الشبوع في الشعر العربي<sup>(٨٢٥)</sup>، ومن القصائد التي حوت على قوافي مقيدة (كلمات، أوجع مالقينا، تائه، في العيد، قلب ...).

ومما هو ظاهر أيضاً في شعر الزركلي أن للقافية ارتباطاً مع حالته النفسية المكبلة بالحزن والألم من الواقع الإنساني الذي جر بأذياله كل الألم وطبع على ذاته عنوان الحزن، فكان اختيار القافية دلالة على نفسيته، لهذا نرى النقاد قد أفاضوا في الحديث عن الجانب النفسي الذي تتضمنه القافية في الشعر العربي<sup>(٨٢٦)</sup>.

ويبدو الارتباط بين القافية ونفسية الشاعر في اختيار بعض الحروف عندما يلح فيها بالتكرار، فإنه يعكس لنا الصفات التي يتميز بها هذا الحرف من إحساس وشعور داخلي لدى الشاعر؛ وبالتأكيد أن هذا الأمر لا يعني كونه على الإطلاق؛ لأن الصفات المشكلة لهذا الحرف تتشكل من خلال بنائية القصيدة العامة وما يحس به المتلقي بين الجوانب الفنية الأخرى.

ولعلي أستشهد ببعض النماذج حتى يتبين لنا مدى بروز ذلك جلياً ومدى اتصاله بالجانب النفسي، ومن ذلك قول الشاعر في قصيدة (لله للأيام)<sup>(٨٢٧)</sup>:

لولا الحنين لما غضبتُ لأمةٍ في الشام ذارفةً عليها الأدمعُ  
لله للأيام ، ما صنعتُ بها أيدي العداة وما ستوشك تصنعُ  
لله للأيام ، ما أبكي لها أنا ذلك المتفجع المتوجعُ

---

(٨٢٥) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 260

(٨٢٦) انظر التفاصيل من خلال، د. صابر عبدالدايم، موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، ص 161، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1413هـ - 1993م.

(٨٢٧) الديوان، ص 139

فالأبيات السابقة التي يتحدث فيها الشاعر عن حزنه العميق عن فراقه لوطنه وابتعاده عنه وما فعلت فيه أيدي العداة فعاش من خلالها مرارة الفقد والغربة والتجربة المريرة، كشفت عنها الأبيات وأبانت عن صادق إحساسه، فساقه إحساسه الصادق المحمل بالألم إلى اختيار حرف العين؛ وذلك لما "في جرس العين من مرارة وتعبير عن الوجع والجزع والفرع والهلع"<sup>(٨٢٨)</sup>، ومناسبة لجو الحزن والألم. وكذلك المتأمل في حرف العين يشده الانتباه إلى تناسبه مع صوت البكاء، فالدمع هو نتيجة التوجع والمعاناة والألم وخروجه يأتي من خلال العين الذي يتفق مع حرف العين شكلاً، وهو مما أفاد الشاعر لكي يعبر عن أمر ملموس إلى أمر مجرد غير محسوس صوتاً ودلالة يتناسب مع حجم الموقف.

وقد تبين ذلك في قول الشاعر أيضاً في قصيدة (البائسة)<sup>(٨٢٩)</sup> التي نظمها في غضون فحائع الحرب الكونية الأولى:

أما من رؤوف أوسع الله عيشه يرقُّ لمن أضناه عيشٌ مضيئُ  
أما من غيورٍ يُنقذ النفس بالجداء يُردُّ به سهمُ الشقاءِ المفوِّقُ

فالبيتان السابقان أبرزتا مدى إسهام القافية في إيصال الشيء المراد والتعبير عن إحساس الشاعر؛ وذلك أن الشاعر اختار حرف القاف وهو حرف جهور فيه نوع من الشدة والبروز، فهو "يحجز الهواء خلفه حتى ينقطع نفس الشاعر من شدة الحزن"<sup>(٨٣٠)</sup>، وهي صفة قادت الشاعر إلى اختيار مثل هذا الحرف الذي يتناسب مع حالته النفسية التي يحس بها، بحيث عبر عما يدور في خاطره من ألم وإحساس إنساني صادق تجاه كل ضعيف ومحتاج يحتاج إلى من يضمه إليه ويحنو عليه من سهم

---

(٨٢٨) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، ص 161

(٨٢٩) الديوان، ص 149

(٨٣٠) البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، ص 256

الشقاء ودرك البلاء. ولم يأت هذا الإسهام عن طريق القافية وحدها بل القصيدة تتشكل ضمن وحدة متكاملة تسهم فيها جميع الأطر الفنية.

كما نجد الشاعر في عدة قصائد مختلفة يختار لقوافيه حرف السين، وربما يفسر ذلك الأمر من خلال وجود حرف السين مشتق من كلمة (إنسان)، فشكل هذا الهاجس عنصر اهتمام وقيمة ثمينة ومداراً نفسياً كبيراً بداخله، فأخذ يستخدمه في نهاية كل بيت شعري لما في صفة هذا الحرف من قيمة جيدة تشير إلى الجانب الإنساني؛ فمثلاً في قصيدة (زيتٌ وآسٌ)<sup>(٨٣١)</sup> يقول الشاعر:

خففي عنك يا ظلوم عناءً إنما أنت تجهلين القياسا

كيف تدعين في التراب زميماً لاشعوراً ولا إحساساً؟

نجد أن الشاعر اختار حرف السين لما فيه من صوت مؤثر يلتمس الجانب الإنساني عن قرب في انتشاله من الحرافات وعبادة القبور وماشابه، وهي مباشرة من الشاعر بحيث استخدم ما يريد مباشرة، فلو نظرناه مثلاً بقية أبيات القصيدة لوجدناه يذكر آخر كل بيت ( أناسا، راسا، باسا، إحساسا .. ) وهي كلمات كلها تختص بالكيان الإنساني وعامله الخاص؛ فكان اختيار الشاعر موفق إلى درجة ليست بالضعيفة، كما أن إلحاق الشاعر بحرف الروي حرف الوصل الألف ساعد الشاعر ليطلق من خلالها مشاعر الألم والحسرة تجاه هذا الإنسان الذي يعبد الأضرحة والقبور من دون الخالق عزوجل. وبذلك يتبين بأن القافية ليست تنتمه للبيت أو نغمة صوتية فحسب، بل هي إحساس وشعور ينقله المبدع من خلال اختيار بعض القوافي.



## 2- الموسيقى الداخلية :

دراسة الأوزان والقوافي في الموسيقى الشعرية لا يعطي انطباعاً كاملاً عن العناصر التشكيلية المكونة للموسيقى عند الشاعر، إذ لا بد أن يكون هناك موسيقى داخلية تضيف مع الموسيقى الخارجية عنصر التكامل والتتابع حتى يكتمل العنصر الإيقاعي فتتحقق توازناً موسيقياً على أكمل وجه.

والموسيقى الداخلية هي ذلك النغم الموسيقي الذي تشعر به من خلال قراءة النص الإبداعي، فتلاحظ جمالية جرس الألفاظ وما يلحق به من تردد صوتي وتكرار ومحسنات بديعية إلى غير ذلك مما يوحي بجمالية النغم الموسيقي الذي يضيف بتواجده في إبراز الحركة الموسيقية.

وقد أبرز النقاد دور جرس الألفاظ وما يحدثه من نغم يجمع بين الألفاظ والصورة، وبين الكلام والحالة النفسية للشاعر<sup>(٨٣٢)</sup>، ويضيف إلى جانب الموسيقى الخارجية عنصر التكامل، ورسموا له حدوداً تؤشر بصوته الصاحب المجلجل والهامس الرقيق.

وبالتأمل في الموسيقى الداخلية عند الزركلي يتبين أن بعض الأحرف في ثنايا الأبيات الشعرية يكتنفها حروف تتميز بالجهر والهمس والرخاوة والشدّة إلى آخر هذه الصفات، وهي في الحقيقة أضافت إلى العنصر الموسيقي طابع التأثير والبروز. فمثلاً لو نظرنا إلى قول الشاعر<sup>(٨٣٣)</sup>:

سَتَرُوا بِضَرْبِ الْأَمْنَيْنِ فِرَارَهُمْ فَاَعْجَبَ لِعَارٍ سَتَرُوهُ بِعَارٍ !

نرى أن البيت الشعري تكرر فيه حرف الراء بكثرة فجاء مسيطراً على أجزاء البيت، وحرف الراء شدة وزنين "ومن المعروف أن الراء صوت مجهور لثوي متكرر، وهو من أوضح الأصوات الساكنة في

---

(٨٣٢) د. عبدالحميد جيدة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، ص 354، مؤسسة نوفل، بيروت، ط1، 1980م.

(٨٣٣) الديوان، ص212

السمع" (٨٣٤)، ومجياًه في ثنايا البيت جسد الألم والإحساس غير المرضي الذي بداخل الشاعر من خلال الرنين الذي أحدثه بتلاحقه في البيت.

وتشتمل الموسيقى الداخلية على بعض الجوانب الأخرى كالتقسيم، والذي يقوم فيه الشاعر بعمل تقسيات بين الكلمات أو الجمل داخل البيت الشعري تضيف على النص إيقاعات موسيقية يكون له صدها الجميل عند المتلقي، ومن ذلك ما نراه عند الشاعر في قوله (٨٣٥):

انظر إلى القوم لاحولاً ولاعضدً ثاروا على البغي ما هابوا ولا ريعوا  
أبأة ضيمٍ مقاديمٍ إذا استعرت لظى نضالٍ، مناجيدٌ، مساريغٌ

فالشاعر في البيتين السابقين قام فيها بعمل تقسيمات (انظر إلى القوم / لاحولاً / ولاعضدً، ثاروا على البغي / ما هابوا / ولا ريعوا)، (أبأة ضيمٍ / مقاديمٍ / إذا استعرت، لظى نضالٍ / مناجيدٌ / مساريغٌ) وكلها تقسيمات وتجزئيات أضفت على النص إيقاعاً موسيقياً مثيراً للانتباه، وإبداعاً فنياً وذوقاً أدبياً عضد فيما بينه إلى تكوين إنشاد موسيقي سمح بالتفاعل معه.

كما يقوم الزركلي باستخدام ظاهرة موسيقية لها أثرها الصوتي الفاعل في النفس وصداها الواضح في النص، ألا وهي ظاهرة التصريح (٨٣٦) التي حرص على وجودها داخل أدفة بعض الأبيات، لما لها من دلالة جمالية وموسيقية، والشواهد على ذلك كثيرة ومن ذلك قول الشاعر في قصيدة (نجوى) (٨٣٧):

العين بعد فراقها الوطناً لا ساكناً ألفت ولا سكوناً

وقوله في قصيدة (اللاجئ) (٨٣٨):

(٨٣٤) عبده بدوي، دراسات في النص الشعري، ص 117، منشورات دار الرفاعي للنشر والتوزيع، ط 2، 1405هـ - 1984م.

(٨٣٥) الديوان، ص128

(٨٣٦) انظر مطلع القصيدة في المبحث الأول من الفصل الثالث.

(٨٣٧) الديوان، ص21

دموغٌ من تلك التي تذرْفُ؟ وقلبٌ من هذا الذي يوجفُ؟

فالتصريح في السابق أضفى على البيتين نوع التأثير والنغم الموسيقي الجيد؛ وذلك عندما قال الشاعر (الوطنا/ سكنا)، و(تذرْفُ/ يوجفُ).

كما لجأ الشاعر إلى أسلوب المقابلة أو التضاد<sup>(٨٣٩)</sup> وهو أن يأتي الشاعر باللفظة وضدها، وقد ورد في شعر الشاعر بكثرة، ومن ذلك قول الشاعر في قصيدة (أشبال قحطان)<sup>(٨٤٠)</sup>:

بيض الوجوه لهم في كلِّ مكرمةٍ يدٌ قد انبسطت سراً وإعلاناً  
أولئك القومُ آلي أبتغي بهم سعيّاً إلى المجدِ أرواحاً وأبدانا  
أنعم بأشبال قحطان الألى نهضوا إلى العلاءِ زرفاتٍ ووحدانا

فالشاعر في الأبيات السابقة التي أظهر فيها معيار العروبة عندما مدح أشبال العرب استخدم متضادات عدة فقال: (سراً / وإعلاناً، أرواحاً/ وأبدانا، زرفاتٍ/ ووحدانا) وكلها متضادات تهب وتؤكد أنهم حازوا المجد وبلغوا كل مكرمة في السر والعلن، وأنهم سعوا إلى المجد بالروح والجسد معاً، ونهضوا إلى حق المعالي أفراداً وجماعات، والشاعر بتقابلاته كشف عن المعنى بجلاء، وعمق الدلالة في ذات المتلقي.

ويستخدم الشاعر أسلوب التكرار<sup>(٨٤١)</sup> بما له من تأثيره المهم والملموس في النفس، وذلك عن طريق الإيقاع المتحقق من اتفاق الأحرف المتشابهة ينشأ جرس موسيقي متوازن يكون وقعه مؤثراً في

---

(٨٣٨) الديوان، ص333

(٨٣٩) انظر الأسلوب من المبحث الثالث.

(٨٤٠) الديوان، ص26

(٨٤١) انظر الأسلوب من المبحث الثالث.

السمع، ومن ذلك ما نراه في قصيدة (الشهداء) <sup>(٨٤٢)</sup> إذ نجد أن الشاعر قام بتكرار (ألا) التي أضفت على النص طابعاً موسيقياً مناسباً أحدث نغماً رائعاً وتأثيراً له وقعته الجيد في المتلقي:

فمن للمدامع ألا تفيض وألا توالي هتاتها  
ومن للأضالع ألا تذوب وقد ناءت الروح جثمانها  
وهل لدم ألا يثور ويدفع للحرب فرسانها

ومها تنوعت الأساليب التي استخدمها الزركلي في الموسيقى الداخلية إلا أنها في نهاية الأمر كانت ذات أمر حاسم ومهم في تضافرها حققت نغماً موسيقياً جميلاً لا يقل أثراً عما يكون في الموسيقى الخارجية.

## الخاتمة

الحمد لله الذي أعان ويسر، والشكر له أن وفق وسدد. في ختام هذا البحث تمحورت هذه الدراسة حول الاتجاه الإنساني في شعر خير الدين الزركلي، حيث اتجه في هذا الجانب حول مضمار التعبير عن حياة الإنسان وقضاياه وآلامه وهمومه وآماله، منطلقاً فيها الشاعر من ذاته إلى الإنسان القريب فالبعيد، وقد تناولت الدراسة مفهوم الاتجاه الإنساني بمفهومه عند العرب وعند الغرب، ومفهومه كمذهب أدبي اقتحم المسار الأدبي، ويليها بشكل مبسط التعريف بسيرة حياة الشاعر، ومن ثم تناولت الدراسة روافد الاتجاه الإنساني ومظاهره كل ذلك على حدة ومقسمة إلى عدة مباحث، وأخيراً حطت الدراسة رحالها في الحديث عن البناء الفني في شعر الزركلي. وقد خلصت الدراسة إلى عدة محاور من خلال الإبحار في تجربة الشاعر الإبداعية، ومن أبرز تلك المحاور المهمة في مضمار البحث:

1- أن حياة الزركلي بدأت عصيبة وتعترتها أمور قاسية، نذرت دمه وأهدرت حياته وهي مما رققت مشاعره وألهبت أحاسيسه الدفينة وجعلته يناضل عن حياة الضعفاء المساكين الذين لا حول لهم ولا قوة سوى أنهم عاشوا بين ساسة وزعماء جعلوا مطامعهم وأغراضهم الشريفة تتحقق من خلال هؤلاء الضعفاء والمساكين.

2- أن الزركلي عاش في تخوم محيط شرس أعمى لا يرى سوى الظلم والحقد والتعدي وهو مما زاد حدت الوجد والحب تجاه الإنسان.

3- أن الدين الإسلامي والشعر العربي والعمل السياسي والصحافة والسفر وتجارب الحياة والتكوين الثقافي كانت ذا طابع تأثيري مهم في التأثير على شخصية الشاعر الإنسانية.

4- اتضح الجانب الإنساني في إحساس الشاعر بوطنيته تجاه وطنه وأبنائه الأبرياء، وندائه للحرية، وإحساسه بالغرابة والتغني بالحنين، والتعاطف مع قضايا المجتمع، ودعوته إلى الإخاء والمساواة، وموقفه الإنساني تجاه الحرب والسلام، وأخيراً بروز النموذج الإنساني بوصفه مثلاً يحتذى.

- 5- حب الشاعر العظيم لوطنه والفداء الخالص لترابه العظيم الغالي؛ وذلك بإظهار منازع حبه وعشقه وهيامه أو بالنيل ممن ينال منه أو يحاول المساس بأمنه واستقراره، سواء من غاصب محتل أو عابث هاوٍ. كما لم يقتصر حبه لوطنه الأم بل تعداه إلى أن يشمل المنظومة العربية بأكملها.
- 6- بروز الحرية الفكرية في مشاركة الرأي بكل جرأة، وتحرره من الخرافات البالية التي لا تنفع، كما يليها طلبه الحثيث في حرية أبناء الوطن من نير الاستعمار وغيره بحثاً عن الحياة السعيدة التي يرفل فيها الفرد بكل أريحية حقوقية.
- 7- ظهر أن الشاعر يعاني من غربة نفسية وروحية من ناحية وغربة مكانية من ناحية أخرى، إذ كان لها وقع كبير على ذاته وهي مما زاد حساسيته تجاه الإنسان.
- 8- مشاركة الشاعر المجتمع في حل بعض قضايا الحساسة، رغبة في خلق مجتمع إنساني أمثل يسوده العدل والرحمة، والتماسك والقوة، ويكون مدعاة إلى نبذ العنصرية والتفرقة للبحث عن المساواة والعدالة الإنسانية التي من شأنها تتحقق أواصر المحبة والإخاء الإنساني.
- 9- أن موقف الشاعر من الحرب الكونية كان موقف الرفض المعادي الساخط على من يروجها ويقوم بأعمالها، والداعي إلى سد منافذها بندائه ودعوته الصادقة إلى حياض الأمن والسلام الذي بوجوده تحفظ فيها دماء الكثير من أطياف المجتمع الإنساني.
- 10- يتسارع الألم ويتأجج قرعه عند الشاعر تجاه الإنسان المتقاعس عن حقه وعن مجده المسلوب، وعن حيازته الكثير من العيوب العالقة في جبين أخلاقه.
- 11- أن شعر الزركلي وثيقة تاريخية لكل إنسان عاش الاضطهاد والقهر والألم والهلم في ذلك العصر، حيث نفذ الشاعر في تصوير الواقع الإنساني من الذات إلى الذات الآخر، وكأنه يصور حالة الإنسان المتكبل بالمعاناة في كل زمان ومكان.
- 12- في الدراسة الفنية لاحظت عدم عناية الشاعر أو اهتمامه بعنونة قصائده، إذ استعرض البحث أن عنوان القصيدة هو اللبنة الأولى من اللبنة البنائية المهمة في بناء القصيدة، وأن العناوين انبثقت

عند الزركلي مباشرة ودون أي عمق إبداعي إذ لم يلجأ إلى سبك عناوين قصائده بلغة إبداعية من شأنها أن تأتي رامزة وموهمة ومسكوبة بعناية واهتمام.

13- أن الشاعر اهتم كثيراً بمطالع قصائده، إذ اتضح أن الشاعر يكتف الفكرة في مطلع القصيدة، ويوليها العناية اللازمة التي من شأنها يصبح مطلع القصيدة ذا نمط رفيع المستوى، كما تكون العناية والاهتمام كذلك بخواتيم القصائد التي أولى لها الشاعر الاهتمام اللازم الذي يضمن لها الجودة الفنية.

14- أن قصائد الزركلي تتراوح ما بين الطول والقصر، وتفتقر للوحدة العضوية، كما أنه جدد في مضامينها وأخذ شكلاً غير ما عرف عليه في الأغراض القديمة المعروفة كالممدح والوصف والزهد والغزل والتي قلما تتعرض لقضايا الإنسان وشؤونه واحتياجاته.

15- الكشف عن أهم مصادر الصورة الفنية في شعره الإنساني وهي الموروث الثقافي، والطبيعة الساكنة والمتحركة، والألوان. وعن أنماط الصورة الفنية بداية من الصورة الجزئية البسيطة إلى الصورة الكلية بكافة أنماطها المختلفة.

16- معجم الشاعر جاء دالاً على حالته الشعورية، حيث أتى حول ما يجول في نفسه منتظماً في حقول دلالية يفوح منها الحزن والألم والسخط والهمل والفداء والشجاعة والتعاطف والتراحم والمودة والأخوة والصدقة، لذا تلاحمت ألفاظ المعجم في كيان واحد مع الشعور، فنقلت للمتلقى جملة المشاعر ووهج الانفعال وصدق التجربة.

17- كما اتسم المعجم بالسهولة والبساطة والوضوح التام، وهي سهولة تقترب من لغة الحياة المعاصرة، استخدم الشاعر من خلالها بعض الألفاظ العامية، وأيضاً بعض الألفاظ الحديثة بما يتماشى مع مقومات العصر ومواده، وبعض الألفاظ الدخيلة، وأسماء الأعلام من شخوص وأماكن، ويعقبها في النهاية عدم دقة الشاعر في انتقاء بعض الألفاظ.

18- استخدم الشاعر في معجمه بعض الأساليب اللغوية كالاستفهام والتضاد والتكرار وغيرها، ولكل منها مكانته البارزة في الاستخدام، وهي في مجملها تدل على تملك الشاعر من أدوات لغته.

19- تنوعت الهياكل البنائية عند الزركلي وفق منهج يعتمد على القديم والجديد؛ وذلك من خلال الهيكل البنائي التقليدي الملتزم بالوزن والقافية الموحدة، ومن خلال بعض الفنون المستحدثة كالمقطعات المفردة والمربعة والخمسة والمشطرات والموشحات التي تعتمد على المطالع والأسماع والأقفال في بنائها العام.

20- تبين استخدام الشاعر الأوزان الشعرية الموروثة سواء الصافية أو الممزوجة، واختيار الشاعر للأوزان لم يكن ينتقيه الشاعر قصداً وإنما عاطفته التي تجره إلى ذلك، وهو مما حدا بها إلى الكشف عن تجربة الشاعر وإبراز مكنونات النفس الداخلية.

21- تبين من خلال الإحصائية للقوافي عند الشاعر اقتفاؤه للشعراء المتقدمين في اختيار أحرف الروي، وانحيازه للقافية المطلقة أكثر من القافية المقيدة، كما أن اختياره لبعض الأحرف في القافية يعكس لنا الإحساس بمدى ارتباط القافية مع حالته النفسية.

22- ظهر بشكل واضح مدى أهمية الموسيقى الداخلية بجانب الموسيقى الخارجية من خلال أثرها الواضح في تحقيق نغم موسيقي جميل أضفى على التجربة عنصر الإمتاع والتأثير.

هذه أهم وقفة موجزة عند أهم ما قدمه البحث من محاور ونقاط رئيسية. وفي الختام لا أزعم لنفسي الإلمام الكامل والقدرة على الإجابة، سوى أنه ما كان بوسعي وما امتلكته من طاقة أعملته بجدية في هذه الدراسة.. والله الكمال والتمام وبالله أسأل أن يختم أعمالنا بالصالحات الصائبات. والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.



## فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولاً- المصادر :

1- ديوان الأعشى، شرح د.محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، 1403هـ -1983م.

2- ديوان الأوشال، جميل الزهاوي، مطبعة بغداد، العراق، 1934م.

3- ديوان الإمام علي بن أبي طالب، شرح د.يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، الطبعة الثامنة، 1423هـ -2002م.

4- ديوان حسان بن ثابت، صححه عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1401هـ -1981م.

5- ديوان خير الدين الزركلي ( الأعمال الشعرية الكاملة )، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ -2001م.

6- ديوان السليك بن السلكة، تقديم: د.سعدى الضناوي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ -1994م.

7- ديوان سقط الزند، أبو العلاء المعري، دار صادر، بيروت، 1376هـ -1957م.

8- ديوان عروة بن الورد، شرح ودراسة وتحقيق أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ -1998م.

9- ديوان اللزوميات، أبو العلاء المعري، تحقيق أمين عبدالعزيز الخانجي، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، ومكتبة الخانجي، القاهرة.

- 10- ديوان المفضليات، المفضل الضبي، شرح القاسم بن محمد الأنباري، عني بطبعه ونسخه كارلوس يعقوب، مطبعة الآباء، بيروت، 1920م.
- 11- شرح ديوان المتنبي، شرح عبدالرحمن البرقوني، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة 1398هـ.
- 12- شرح المعلقات السبع، الزوزني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1423هـ - 2002م.
- 13- الغيث السجم في شرح لامية العجم، صلاح الدين خليل الصفدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1395هـ.

#### ثانياً - المراجع :

- 14- ابن الرومي حياته من شعره، العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة السابعة، 1968م.
- 15- الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة، 1982م.
- 16- الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، د.عبد الحميد جوده، مؤسسة نوفل، بيروت، الطبعة الأولى، 1980م.
- 17- الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث، جميل صليبا، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1958م.
- 18- اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة، محمود تيمور، مكتبة الآداب، الجماميز.
- 19- الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، د. مفيد قميحة، منشورات دار الآفاق الحديثة، بيروت، الطبعة الأولى، 1401هـ - 1981م.
- 20- الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، د.عمر الدقاق، دار الشرق العربي، بيروت، 1985م.

- 21- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د.عبد القادر القط، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، 1981م.
- 22- الأدب العربي في المهجر، حسن جاد حسن، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع، 1405هـ- 1985م.
- 23- الأدب العربي المعاصر في سورية، سامي الكيالي، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.
- 24- الأدب العربي من الفتح حتى سقوط الخلافة، د.أحمد هيكل، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية عشر.
- 25- الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، د.جودة الركابي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية 1996م.
- 26- أدب المهجر، د.عيسى الناعوري، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، 1977م.
- 27- أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب، د.نظمي عبد البديع، دار الفكر، القاهرة، 1976م.
- 28- الأدب المقارن، د.محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية.
- 29- أصول علم النفس في الأدب العربي القديم، د.زهدي جار الله، بيروت، 1978م.
- 30- أسس النقد الأدبي عند العرب، د.أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م.
- 31- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د.مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ- 1984م.

- 32- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، 1990م.
- 33- أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، سعيد الخوري الشرتوني، مكتبة لبنان.
- 34- أعلام الأدب والفن، أدهم آل جندي، مطبعة مجلة صوت سورية، دمشق، 1954م.
- 35- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، 1989م.
- 36- الإعلام بتصحيح كتاب الأعلام، محمد بن عبدالله الرشيد، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ، 2001م.
- 37- أعلام الصحافة العربية، د. إبراهيم عبده، مكتبة الآداب، الجماميز، الطبعة الثانية.
- 38- الاغتراب، رجب محمود، منشأة المعارف المصرية، الإسكندرية، 1978م.
- 39- الاغتراب في الشعر الأموي، د. فاطمة حميد السويدي، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، 1979م.
- 40- الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، د. سميرة سلامي، دار الينايع، دمشق، الطبعة الأولى، 2000م.
- 41- الاغتراب والإبداع الفني، د. محمد عباس يوسف، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2004م.
- 42- انترولوجية الصورة والشعر العربي قبل الإسلام: قراءة تحليلية للأصول الفنية، د. قصي الحسين، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م.
- 43- إلياس فرحات - شاعر العرب في المهجر، سمير بدوان قطامي، دار المعارف، مصر.

- 44- الإنسان في الشعر الجاهلي، د. عبد الغني أحمد زيتوني، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2001م.
- 45- الإنسان في القرآن، محمود عباس العقاد، نَهضة مصر، القاهرة.
- 46- إنسانية الإنسان، رالف بيري، ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي، مؤسسة المعارف، بيروت ، 1989م.
- 47- الإيقاع في الشعر العربي، عبدالرحمن آلوجي، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 1989م.
- 48- البناء الفني في القصيدة الجديدة، سلمان علوان العبيدي، عالم الكتب الحديث، إربد - عمان، 2011م.
- 49- البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، د. علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1416هـ - 1996م.
- 50- بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد، مكتبة دار العلوم، الطبعة الثانية، 1979م.
- 51- البنى الأسلوبية في النصوص الشعرية: دراسات تطبيقية، د. راشد بن حمد الحسيني، دار الحكمة، لندن، الطبعة الأولى، 2004م.
- 52- البنية الدرامية في شعر إيليا أبي ماضي، د. أحمد يوسف خليفة، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2004م.
- 53- بين معلقتي امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى، د. عبدالله باقازي، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1990م.
- 54- تاج العروس، الزبيدي، دار صادر، بيروت.
- 55- تاريخ الصحافة العربية، الفيكونت فيليب دي طرازي، دار صادر، بيروت.

- 56- التعريفات: معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لغوي نحوي ، علي الجرجاني ، دار الرشاد، القاهرة، 1991م.
- 57- تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، د.محمد مصطفى هدارة، دار الثقافة ،بيروت.
- 58- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1423هـ - 2002م.
- 59- الجانب الإنساني في شعر العقاد، د.شعبان زكي عبد الحفيظ، بحث مرجعي مقدم إلى اللجنة العلمية الدائمة بجامعة الأزهر، 1430هـ - 2009م.
- 60- جماليات القصيدة المعاصرة، د.طه وادي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1989م.
- 61- الحرب العالمية الأولى، عمر الديراوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة التاسعة عشر، 2004م.
- 62- الحرب العالمية الثانية، رمضان لاوند، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العشرون، 2004م.
- 63- حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، د.إبراهيم حاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1404هـ - 1984م.
- 64- الحرية عند العرب، إبراهيم حداد، دار الثقافة.
- 65- حقوق الإنسان في الإسلام، د.علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1398هـ - 1979م.
- 66- حياتي في الشعر، صلاح عبد الصبور، دار اقرأ، بيروت، 1981م.
- 67- الخطيئة والتكفير - مدخل من البنيوية إلى التشريحية، د.عبدالله الغدامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1405هـ - 1985م.

- 68- الخطاب الشعري عند محمود درويش - دراسة أسلوبية، د. محمد صلاح زكي أبو حميدة، مطبعة المقداد، غزة، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2000 م.
- 69- خير الدين الزركلي: المؤرخ الأديب الشاعر، أحمد العلاونة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1423 هـ - 2002 م.
- 70- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجددي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1917 م.
- 71- دراسات في الشعر العربي المعاصر، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة العاشرة.
- 72- دراسات في النص الشعري، د. عبده بدوي، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثانية، 1405 هـ.
- 73- دراسات في ضوء المنهج الواقعي، حسين مروة، كلية المعارف، 1965 م.
- 74- دراسات نقدية لظواهر في الشعر العربي، د. حسين علي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، 2011 م.
- 75- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، د. أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة.
- 76- دمعة وابتسامة، جبران خليل جبران، المطبعة التجارية الحديثة، مصر، 1914 م.
- 77- رمز الأفعى في التراث العربي، ثناء أنس الوجود، مكتبة الشباب، 1984 م.
- 78- شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، 1997 م.
- 79- الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر بين التوظيف والتحريف"، د. أحمد محمد حنطور، محاضرات الموسم الثقافي في كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1420 هـ.

- 80- الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، د. محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
- 81- الشعر في زمن الحرب، د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، 1987م.
- 82- الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، 1972م.
- 83- الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، دار العودة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1981م.
- 84- الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث، مصطفى عبد اللطيف السحرتي، القاهرة.
- 85- الشعر والتجربة، أرشيبالد مكليش، ترجمة سلمى خضراء الجيوسي، دار اليقظة العربية، بيروت، 1963م.
- 86- الشعراء الأعلام في سورية، سامي الدهان، دار الأنوار، بيروت، الطبعة الأولى، 1968م.
- 87- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د. يوسف خليف، مكتبة غريب، القاهرة.
- 88- الشعراء وإنشاد الشعر، د. علي الجندي، دار المعارف، القاهرة، 1969م.
- 89- الصحة النفسية والعلاج النفسي، د. حامد زهران، عالم الكتب للنشر، القاهرة، الطبعة السادسة، 1424هـ - 2003م.
- 90- صفحات من أدب ميسلون، غسان كلاس، تقديم د. إحسان الهندي، دار حازم للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 2001م.
- 91- صناعة الأدب - بعض مبادئ النقد في ضوء نظريات النقد القديمة والحديثة، سكوت جيمس، ترجمة هاشم الهنداوي، مراجعة د. عزيز الطلي، دار الشؤون الثقافية العامة بوزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1986م.



- 92- الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1401هـ.
- 93- الصورة الأدبية، د. مصطفى ناصف، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- 94- الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى موسى صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م
- 95- الصورة في شعر بشار بن برد، د. عبد الفتاح صالح نافع، عمان، 1983م.
- 96- الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، علي البطل، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأولى، 1980م.
- 97- الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي، د. علي إبراهيم أبو زيد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1983م.
- 98- الصورة الفنية في النقد الشعري- دراسة في النظرية والتطبيق، د. عبد القادر الرباعي، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى، 1405هـ-1984م.
- 99- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محق الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية، 1407هـ - 1987م.
- 101- فن الشعر، إحسان عباس، دار الشروق، عمان، 1996م.
- 102- فنون الأدب المعاصر في سورية، د. عمر الدقاق، دار الشروق العربي، بيروت.
- 103- في الأدب والنقد، د. محمد مندور، نُهضة مصر، 1988م.
- 104- في حادثة النص الشعري، د. علي جعفر العلاق، دار الشروق للنشر، عمان، الطبعة الأولى، 2003م.

- 105- في العروض والقافية، د. بريكان الشلوي د. فوزي خضر، خوارزم العلمية للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، 1428هـ-2007م.
- 106- في علم اللغة العام، د. عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1984م.
- 107- في الموسيقى الشعرية، د. أحمد عبدالمجيد خليفة، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى، 2002م.
- 108- في الميزان الجديد، د. محمد مندور، نشر وتوزيع مؤسسات ع. بن عبدالله، تونس، الطبعة الأولى، 1988م.
- 109- في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة.
- 110- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1428هـ-2007م.
- 111- قراءة جديدة لشعرنا القديم، صلاح عبدالصبور، دار العودة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1982م.
- 112- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة عشر، 2004م.
- 113- القومية والإنسانية في شعر المهجر الجنوبي، عزيزة مريدن، الدار القومية للنشر والتوزيع.
- 114- القيم الروحية في الشعر العربي، ثريا عبد الفتاح، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت.
- 115- عامان في عمان، خير الدين الزركلي، تحقيق ومراجعة عيسى الحسن، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2009م.

- 116- عبقریات شامية، عبدالغني العطري، مطبعة الهندي، دمشق، الطبعة الأولى، 1986م.
- العروض وموسيقى الشعر العربي، د. محمد علي سلطاني، جامعة دمشق، الطبعة الأولى، 1982م.
- 117- عضوية الموسيقى في النص الشعري، د. عبدالفتاح صالح نافع، مكتبة المنار، الزرقاء  
الأردن، الطبعة الأولى، 1405هـ- 1985م.
- 118- علم النفس الاجتماعي، د. حامد عبدالسلام زهران، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السادسة،  
1424هـ- 2003م.
- 119- العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده ابن رشيق القيرواني، حققه محمد محي الدين عبد  
الحميد، دار الجيل، سوريا، الطبعة الخامسة، 1401هـ- 1981م.
- 120- العنوان في الأدب العربي، د. محمد عويس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى،  
1408هـ.
- 121- العنوان في الشعر السعودي بوصفه مظهراً إبداعياً، د. عبدالله بن سليم الرشيد، أبحاث الملتقى  
الأدبي، نادي القصيم الأدبي، 1422هـ.
- 122- العين، الخليل بن أحمد، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية  
والنشر، العراق، 1984م.
- 123- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي الفاروقي، المؤسسة المصرية العامة للترجمة والطباعة  
والنشر، مصر، 1963م.
- 124- لسان العرب، ابن منظور، تصحيح أمين محمد عبدالوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار  
إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1419هـ - 1999م.
- 125- لغة الشعر العربي الحديث، د. السعيد الورقي، دار النهضة العربية، بيروت، 1404هـ-  
1984م.

- 126- لغة القرآن الكريم في جزء عمّ، محمود أحمد نحلة، دار النهضة العلمية للطباعة والنشر، 1981م.
- 127- ما الأدب، جون بول سارتر، ترجمة محمد غنيمي هلال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1971م.
- 128- مارأيت وماسمعت، خير الدين الزركلي، تقديم وتعليق عبدالرزاق كمال، دار الشعب، القاهرة، مكتبة المعارف، الطائف.
- 129- مبادئ النقد الأدبي، رداردز، ترجمة د.مصطفى بدوي د.لويس عوض، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة مصر، 1963م.
- 130- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، 1412هـ-1992م.
- 131- المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1994م.
- 132- محيط المحيط، المعلم بطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت.
- 133- المخصص، ابن سيده الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 134- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبدالله الطيب المجذوب، الدار السودانية، بيروت، الطبعة الأولى، 1970م.
- 135- المصباح المنير، أحمد الفيومي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 1425هـ-2004م.
- 136- مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية، د.عبدالحليم حفني، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1987م.

- 137- مفهوم الإبداع في الفكر النقدي عند العرب، د. محمود طه، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى.
- 138- مفهوم الحرية، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، 1993م.
- 139- مقالات في النقد الأدبي، ت.س. إليوت، ترجمة لطفية الزيات.
- 140- المقاييسات، أبو حيان التوحيدي، تحقيق حسن السندوبين، المطبعة الرحمانية، القاهرة.
- 141- معالم الثقافة الإسلامية، د.عبدالكريم عثمان، مؤسسة الأنوار، الرياض، الطبعة الخامسة، 1398هـ-1978م.
- 142- المعذب في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان، ماجد قاروط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999م.
- 143- المعجم الأدبي، جبور عبدالنور، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1979م.
- 144- معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المبتدئين، المطبعة التعااضدية للنشر والتوزيع، صفاقس- تونس ، الطبعة الأولى، 1986م.
- 145- معجم المصطلحات العلمية والفنية، يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت.
- 146- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة - مصر، الطبعة الرابعة، 1426هـ-2005م.
- 147- المنتخبات، أحمد لطفى السيد، مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، 1945م.
- 148- موسيقى الشعر، محمود عسران، مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2007م.

- 149- موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، د. صابر عبد الدايم، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1413هـ-1993م.
- 150- النزعة الإنسانية في شعر العقاد، د. عبد الحي دياب، دار النهضة العربية، القاهرة.
- 151- النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، فصل سالم القيسي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2006م.
- 152- النزعة الإنسانية في الشعر العربي، د. إبراهيم محمد حور، مكتبة المكتبة، الإمارات العربية المتحدة، 1998م.
- 153- النزعة الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ودار المطبوعات، الكويت، 1403هـ-1982م.
- 154- نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1399هـ-1979م.
- 155- نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، تامر سلوم، دار الحوار، اللاذقية، الطبعة الأولى، 1983م.
- 156- النقد الأدبي، أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، 1957م.
- 157- النقد الأدبي، د. علي عبد المنعم، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، 1979م.
- 158- النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، بيروت، 1973م.
- 159- النموذج الإنساني في أدب المقامة، د. علي عبد المنعم، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، الطبعة الأولى، 1994م.
- 160- الهوامل والشوامل، أبو حيان التوحيدي، نشر أحمد أمين وأحمد صقر، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، 1951م.

161- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة العاشرة، 2000م.

ثالثاً - الدوريات :

162- صحيفة الحياة الجديدة، العدد 5788، الجمعة 21 محرم 1433هـ-16 كانون الأول 2011م.

163- صحيفة الفرات، دير الزور، سوريا، 5/4/2009م.

164- صحيفة الاقتصادية، العدد 4068، الثلاثاء 8/10/1425هـ.

165- مجلة إبداع، العدد السادس، 1984م.

166- مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الثامن، الآداب، 1416هـ-1996م.

167- مجلة الشعر، العدد السادس، 1977م.

168- مجلة فصول، العدد الثاني، المجلد الثالث، 1983م.

## فهرس المحتويات

الموضوعات	الصفحة
ملخص الدراسة باللغة العربية.....	1
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية.....	2
إهداء.....	3
المقدمة.....	4

### التمهيد:

٣ - مفهوم الاتجاه الإنساني.....	9
1- الدلالة اللغوية والاصطلاحية.....	10
2- المفهوم الغربي للإنسانية.....	17
3- الإنسانية في الأدب.....	20
٤ - خير الدين الزركلي (سيرة حياة).....	27

### الفصل الأول: روافد الاتجاه الإنساني عند الزركلي

(36 - 83)

٧ - المبحث الأول: الدين الإسلامي.....	37
٨ - المبحث الثاني: الشعر العربي.....	45
٩ - المبحث الثالث: الصحافة.....	62



- ١٠ - المبحث الرابع: العمل السياسي ..... 67
- ١١ - المبحث الخامس: أسفاره ..... 76
- ١٢ - المبحث السادس: روافد أخرى ..... 80

### الفصل الثاني: مظاهر الاتجاه الإنساني في شعر الزركلي

(84 - 197)

- ٨ - المبحث الأول: الوطنية ..... 86
- ٩ - المبحث الثاني: الحرية ..... 103
- ١٠ - المبحث الثالث: الغربة والحنين ..... 120
- ١١ - المبحث الرابع: قضايا المجتمع ..... 142
- ١٢ - المبحث الخامس: المساواة والإخاء ..... 156
- ١٣ - المبحث السادس: موقفه من الحرب الكونية وتداعياتها ..... 168
- ١٤ - المبحث السابع: النموذج الإنساني ..... 182

### الفصل الثالث: البناء الفني لشعر الاتجاه الإنساني عند الزركلي

(198 - 308)

- ١ - المبحث الأول: العنوان والهيكلة العام ..... 201
- ١ - العنوان ..... 201
- ٢ - المطلع ..... 207
- ٣ - الطول والقصر ..... 213
- ٤ - الخاتمة ..... 217

222.....	٢ - الصورة الفنية.....
244.....	١ - مصادر الصورة.....
218.....	٢ - أنماط الصورة.....
258.....	٣ - المعجم الشعري.....
260.....	1- دلالة الألفاظ.....
268.....	2- سمات الألفاظ.....
273.....	3- الأسلوب.....
284.....	٤ - الموسيقى.....
285.....	١ - الموسيقى الخارجية.....
305.....	٢ - الموسيقى الداخلية.....
309.....	الخاتمة.....
313.....	فهرس المصادر والمراجع.....
328.....	فهرس المحتويات.....